إسبانيا تدعم مبادرة المغرب لحل قضية الصحراء

ص2

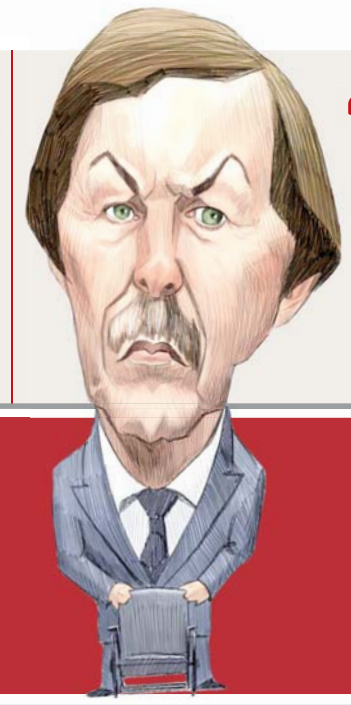

السعيد بوتفليقة

حاكم فعلي للجزائر تطرح به الأقدار إلى السجن

ص8

15 كاتبة عربية في ملف عن المرأة والتفكير النقدي

ص10-14

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/09/29

30 محرم 1441

السنة 42 العدد 11482

Sunday 29/09/2019

42nd Year, Issue 11482

نبيل القروي من محبسه لـ«العرب»: عدم تكافؤ الفرص قد يدفعني إلى الطعن في نتائج الانتخابات

المرشح المغيّب يتّهم منافسه سعيّد بطرح رؤية بعيدة عن الواقع التونسي

تونس – تعهّد نبيل القروي، المرشح لخوض الدور الثاني في الانتخابات الرئاسية التونسية، بأن يطعن في النتائج لانعدام تكافؤ الفرص مع المرشح الثاني قيس سعيد إذا لم يتم إطلاق سراحه للقيام بالحملة الانتخابية والمشاركة في الانتخابات المقررة في الثالث عشر من أكتوبر القادم، مشددا على أن برنامجه مستمدّ من معرفة دقيقة بأوضاع الناس وواقعهم.

وقال القروي، من سجنه في حوار مع "العرب" عبر محاميه، إنهم "لم يتيحوا لي المجال لأعرض برنامجي، ومنعت من التواصل مع الناخبين بقرار قضائي في توقيت مستراب"، مشددا على أنه "في صورة تفوق المرشح الآخر (سعيد) سأطعن في نتائج الانتخابات لخرقها مبدأ تكافؤ الفرص الذي هو الضامن لمصداقية نتيجة الانتخابات".

وأوقف القروي في 23 أغسطس بتهمة تبييض الأموال، لكن مقربين منه يقولون إن الأمر يتعلق بمؤامرة سياسية. وأثار توقيفه قبل عشرة أيام من بدء الحملة الانتخابية تساؤلات حول تأثير السياسة على القضاء.

ووصف المرشح المحبوس، الذي تتوقع استطلاعات الرأي أن يحقق حزبه "قلب تونس" نتائج قوية في الانتخابات التشريعية، مشاركته بالدور الثاني في الانتخابات الرئاسية رغم وجوده بالسجن بأنها "سابقة تكاد تكون فريدة من نوعها وحالة سريالية".

وبعد مشاهدة الحوار الذي أجراه منافسه على التلفزيون الرسمي، الخميس، قال القروي مجيبا عن أسئلة "العرب" التي سلمها إليه محاميه، "تبين لي أن أطروحته تقوم على نظرية طوباوية مثالية بعيدة كل البعد عن واقعنا السياسي والاقتصادي".

وحذر من أن تصوّر قيس سعيد للديمقراطية الشعبية "يقتضي اعتماد دستور جديد وآليات تسيير غير معهودة، والحال أن بلادنا في وضع حرج على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والشعب ينتظر حلولا ملموسة على أرض الواقع على المدى القريب".

ولفت القروي إلى أن الاعتماد على نظرية الديمقراطية الشعبية المحلية، كما يطالب بذلك سعيد، أي انتخاب هياكل (ممثلين ونواب) من الأحياء والقرى والمدن والجهات، "أمر يتطلب مراجعة كلية للنظام السياسي في مدة زمنية قد تطول".

ومن المتوقّع أن يصدر القضاء قرارا، الأربعاء، بشأن ما إذا كان سيوافق على إطلاق سراح القروي، رجل الأعمال وصاحب قناة نسمة التلفزيونية، والذي حصل على المرتبة الثانية في الدور الأول.

وعزا مراقبون هذه النتائج التي لم يحققها أي حزب بما في ذلك حركة النهضة التي سيطرت على الحياة السياسية طيلة السنوات الثماني الأخيرة، إلى الأنشطة الخيرية والتواصل مع الفئات الشعبية المهمشة والفقيرة في الشمال الغربي والوسط على وجه الخصوص.

وأضاف القروي في حواره لـ"العرب" مفسرا أسباب فوزه بالدور الأول أن "برنامجنا يعتمد على نظرة واقعية تنطلق من معاينة ميدانية وخبرة ومعرفة دقيقة لأهم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأمنية للمجتمع التونسي، والتي تستدعي حلولا جريئة وملموسة في حيز زمني قصير".

وكشف أن نساء ورجالا من حزبه "قلب تونس" من الذين لهم خبرة ومعرفة ميدانية دقيقة بواقعنا الاجتماعي والاقتصادي والأمني هم من أعدوا هذا البرنامج، ثم "قمنا بعرضه على العديد من الخبراء والمختصين في كل المجالات" كي يظهر متماسكا وقويا.

وضاعف فوز نبيل القروي ومشاركته في الدور الثاني سلسلة من الضغوط على الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، التي عملت ما في وسعها على إطلاق سراحه ولو بشكل مؤقت للمشاركة في الحملة الانتخابية والالتقاء بجمهوره من باب تكافؤ الفرص بين المرشحين.

وقال العضو القيادي بالهيئة أنيس الجربوعي، السبت، إن "هيئة الانتخابات وجدت نفسها في وضعية محرجة للغاية ومزعجة نظرا إلى عدم تمتع المرشحين للانتخابات الرئاسية في دورتها الثانية بالحظوظ ذاتها ببقاء القروي في السجن".

أي مصداقية للانتقال الديمقراطي

وأوضح الجربوعي، أن "الهيئة متخوفة جديا من إمكانية الطعن في نتائج الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية، ومن عدم القبول بنتائج الانتخابات من قبل الرأي العام إذا استمر وجود القروي في السجن".

ويضغط الرأي العام في تونس والخارج لتمكين نبيل القروي من الحضور في التلفزيون الرسمي سواء بشكل شخصي في حوار مطول مثل الحوار مع قيس سعيد، أو في صيغة مناظرة بين المرشحين المتنافسين، لكن إلى الآن لم يتحقق شيء من هذه المطالب التي يهدد غيابها مصداقية الانتخابات ومن ورائها الانتقال السياسي في البلاد.

وأعلن التلفزيون الرسمي التونسي استعداده لإجراء المناظرة داخل السجن إذا لم يسمح للقروي بالخروج منه.

ومن المقرّر إجراء مناظرتين، مدة كل منهما ساعة، خلال الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية التي سيكون موعد إجرائها في 13 أكتوبر.

وخلال الدورة الأولى أجرى التلفزيون التونسي ثلاث مناظرات شارك فيها 24 من أصل 26 مرشحا واعتبرت خطوة إضافية نحو تعزيز الديمقراطية في البلاد.

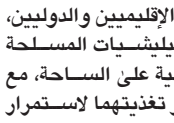

أنيس الجربوعي

هيئة الانتخابات تتخوف من الطعن في نتائج الدور الثاني

عودة الاتحاد الأفريقي إلى الأزمة الليبية تربك غسان سلامة

طرابلس - دب نشاط سياسي مفاجئ في مجلس السلم والأمن الأفريقي لاستعادة علاقته مع الأزمة الليبية، ما أوحى برغبة في البحث عن حل سياسي ولو أدى إلى منافسة البعثة الأممية في ليبيا بقيادة غسان سلامة الذي عجز عن أي اختراق لتحريك الحوار.

ويأتي هذا الدور الأفريقي بعد أن زاد الحديث عنه مع اقتراب عقد مؤتمر دولي في ألمانيا خاص بالأزمة الليبية، وبدأت تحضيراته تأخذ طابعا جديا.

وفي بيان صدر عقب اجتماع وزاري نظّمه المغرب على هامش الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة، أعرب مجلس السّلم والأمن عن "قلقه العميق إزاء خطورة الوضع" في ليبيا و"تداعياته الخطيرة على أمن واستقرار المنطقة".

وأبدى المجلس في البيان "قناعته بضرورة الانخراط الفعلي والعاجل للاتّحاد الأفريقي في البحث عن حلّ سياسي دائم للأزمة في ليبيا".

وكشفت مصادر ليبية لـ"العرب" أن تحرك مجلس السلم الأفريقي، يلقى قبولا من دوائر مختلفة، دولية وإقليمية وليبية، وإن كانت أهدافها متناقضة أحيانا، كاشفة عن أن فرنسا تلعب دورا كبيرا في الدفع بهذه المسألة إلى الأمام ضمن جهودها للتشويش على قمة برلين بشأن ليبيا المقرر انعقادها في أواخر أكتوبر.

وأشارت المصادر لـ"العرب" إلى أن القوة الثانية التي تدفع باتجاه تضخيم الدور الأفريقي، هي عناصر قوية محسوبة على النظام القديم في ليبيا، لها علاقات نافذة في مجلس السلم والأمن، ومع رئيس اللجنة الرئاسية رفيعة المستوى الخاصة بليبيا، التي ترأسها الكونغو برازافيل، وتريد دخول اللعبة السياسية، واحتلال مقعد متقدم فيها.

وعلمت "العرب" أن بعض القوى الإقليمية لا تمانع في انخراط الاتحاد الأفريقي في حلحلة الأزمة الليبية، بهدف تقليص مساحة الحركة أمام غسان سلامة مبعوث الأمم المتحدة إلى ليبيا، بعد فشله في تبني مبادرة قابلة للتطبيق الفترة الماضية، أو لإفساح الطريق أمام مشاركة النظام القديم في التسوية.

وحاول الاتحاد الأفريقي الدخول على خط الأزمة الليبية منذ بدايتها عام 2011 ولم يستطع القيام بدور مهم وقتها، في وجود توازنات إقليمية ودولية معقدة.

وتوجهت قوى ليبية عدة على مدار السنوات الماضية إلى الدائرة الأفريقية، وعقدت مؤتمرات في تشاد وجنوب أفريقيا وإثيوبيا وأوغندا والسنغال، وجميعها فشلت لأن دولا أفريقية عديدة مرتهنة في توجهاتها لمواقف دول غربية لها حسابات مغايرة في الأزمة.

وقال أحمد أهمومة عضو مجلس الدولة في ليبيا لـ"العرب"، "إن الاتحاد الأفريقي كمؤسسة إقليمية قد يكون له دور بارز في محاولة إخراج ليبيا من محنتها، مستبعدا أن يكون ذلك بديلا عن الدور الذي تلعبه الأمم المتحدة".

وأشار إلى أنه "لا يمكن الحكم على جهود سلامة بالفشل، ونحن في مجلس الدولة كنا ولا زلنا منفتحين على جميع الخيارات والحلول المطروحة والتي سوف يطرحها الاتحاد الأفريقي أو غيره من الدول الفاعلة على الساحة الدولية".

محمد الزبيدي

طالما بقيت الميليشيات فإن آفاق الحل السلمي في ليبيا تظل مستحيلة

ولفت متابعون إلى أن الحديث عن دور لمجلس السلم والأمن الأفريقي، سوف يفتح الباب للحديث عن أدوار تجمعات إقليمية أخرى، مثل الجامعة العربية، وتجمع الساحل والصحراء الذي تعاني بعض دوله من تأثيرات الأزمة الليبية على جهود مكافحة الإرهاب.

وقلل محمد الزبيدي، أستاذ القانون الدولي في ليبيا، من الرهان على دور محوري للاتحاد الأفريقي، لأن غالبية دوله تعاني من مشكلات عديدة، بما ينعكس على رؤية قياداتها لحل الأزمة الليبية.

وأضاف لـ"العرب"، أن الأزمة أكبر من جهود المبعوثين الإقليميين والدوليين، وطالما بقيت الميليشيات المسلحة والتنظيمات الإرهابية على الساحة، مع مواصلة تركيا وقطر تغذيتهما لاستمرار الصراع، فإن آفاق الحل السلمي سوف تظل مستحيلة، مؤكدا على ضرورة حسم المعركة عسكريا لصالح الجيش الليبي، وحينئذ تصبح المؤتمرات والندوات والحوارات والمبادرات لها معنى وقيمة على الأرض.

المنطقة العازلة.. حلم أردوغان المحكوم بمزاج ترامب

الرئيس التركي عاد من نيويورك خالي الوفاض

أنقرة – لم تنجح التصريحات التركية المهدّدة بفرض المنطقة العازلة كأمر واقع في التأثير على مزاج الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الذي يعلن أحيانا تفهمه لمطالب نظيره التركي رجب طيب أردوغان، لكنه ينظر دائما إلى مصلحة الأكراد السوريين كحليف استراتيجي دائم لواشنطن، في وقت عاد الرئيس التركي من زيارته إلى نيويورك دون نتيجة.

واتفقت أنقرة وواشنطن في أغسطس الماضي على إنشاء "منطقة آمنة" في شمال سوريا. ورغم أن تركيا تواصل التشديد على أنه تجب إقامتها قبل نهاية سبتمبر يبقى الموقف الأميركي الذي يتسم بالغموض والمراوغة هو المحدّد.

وفي خطابه أمام الجمعية العامة في الأمم المتحدة، هذا الأسبوع، كشف الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عن خارطة تظهر الخطط الطموحة لهذه المنطقة. وأوضح في مقابلة أجرتها معه الصحافة التركية لدى عودته من نيويورك، هذا الأسبوع، أن المنطقة سيبلغ طولها 480 كلم على طول الحدود في شمال سوريا وعمقها 30 كلم.

وقال إنها يمكن أن تسمح لثلاثة ملايين لاجئ سوري بالعودة إلى بلادهم، في وقت يواجه انتقادات داخلية بسبب وجود 3.6 مليون لاجئ سوري في تركيا، وهو أعلى رقم في العالم.

وتحدث الرئيس الأميركي عن عمق مماثل للمنطقة الآمنة. لكن قوات سوريا الديمقراطية تشير إلى منطقة بعمق خمسة كيلومترات أو حتى تسعة ومن الممكن أن تصل إلى 14 كلم في بعض المناطق بين رأس العين وتل أبيض.

والسبب الرئيسي لمطالبة أردوغان بهذه المنطقة هو قيام منطقة عازلة بين حدودها والأراضي الخاضعة لسيطرة وحدات حماية الشعب الكردية، المتحالفة مع الولايات المتحدة.

ويعتقد محللون وخبراء في الشأن السوري أن الاستجابة للخطة التركية سواء من الولايات المتحدة أو من الأكراد أمر صعب إن لم يكن مستحيلا.

واعتبرت دارين خليفة المحللة في مجموعة الأزمات الدولية "تبين أن بلوغ اتفاق مقبول لتركيا ووحدات حماية الشعب الكردية في الوقت نفسه أمر صعب. ويبدو أن مطالبهما الأساسية لا يمكن التوفيق بينها".

وقالت "لكن الولايات المتحدة كانت واضحة جدا حيال واقع أنها لم توافق على الاتفاق، الذي يشمل الإعادة غير الطوعية للسوريين إلى هذه المنطقة".

ويرى حسن أونال الأستاذ في جامعة مالتيبي أن أنقرة وواشنطن تواجهان صعوبة أيضا في التوصل إلى اتفاق. وقال "يبدو أنه ليس هناك اتفاق واضح وجلي بين الطرفين، والتسوية تبدو هشة".

بالإضافة إلى ذلك يرى المحلل أن أردوغان عاد من نيويورك "خالي الوفاض".

وكان أردوغان حذر، في الأسابيع الماضية، من أنه في حال لم تتم إقامة "المنطقة الآمنة" قبل نهاية سبتمبر فإن تركيا ستتولى الأمور بنفسها وصولا إلى إطلاق عملية عسكرية شمال شرق سوريا.

ويرى الخبير في شؤون سوريا فابريس بالانش أنه "من غير الممكن إرسال ثلاثة ملايين شخص إلى تلك المنطقة حيث مساحة المناطق التي يمكن السكن فيها محدودة، لأن غالبية المنطقة شبه صحراوية".

وفي المشروع الذي عرضه أمام وسائل الإعلام التركية ونظرائه في الجمعية العامة للأمم المتحدة تحدث أردوغان عن خطة بناء قرى ومدن يمكنها استقبال ما يصل إلى مليون شخص.

وقال بالانش إن هدف أردوغان هو إقامة "حزام عربي" مؤيد على الحدود التركية عبر إبعاد الأكراد عن تلك المنطقة.

وتابع الباحث "إذا كان أردوغان يريد وضع اللاجئين على الحدود، فسيؤدي ذلك إلى تشتيت لحمة السكان الأكراد".

ويؤكد حسن أونال على أن الأراضي التي تخطط تركيا أن تبني فيها "تعود ملكيتها لجهات أخرى". إلى ذلك يبقى السؤال، من يقبل بالسكن فيها.

الرجل الذي حاول إنقاذ سوريا

خيرالله خيرالله

ص4

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

إسلاميو الجزائر يناورون في التعاطي مع الانتخابات الرئاسية

حركة حمس تدعم خيار المرشح التوافقي لإعادة التموقع في السلطة

الجدل حول الانتخابات الرئاسية في الجزائر مع رفض حراك الشارع المتواصل إشراف النظام على الاقتراع، يكشف بدوره انقسام الأحزاب الإسلامية حول السباق الرئاسي المرتقب والتي تناور لأجل إعادة التموقع في المشهد السياسي الجديد بالبلد، فبينما تبدي حركة حسم تأييدها لخيار المرشح التوافقي بين السلطة والمعارضة، ترفض جبهة العدالة والتنمية مشاركة أحزاب موالية للنظام السابق في الحدث الانتخابي.

مقري يريد اقتناص الفرص

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر- رحّلت الأحزاب الإسلامية الجزائرية، مسألة الفصل في مواقفها من الانتخابات الرئاسية إلى اجتماعات هيئاتها الوطنية، بغية بلورة موقف لا يريد القادة تحمل وزره لوحدهم، في ظل غموض الوضع الداخلي وتأثيره على مساراتها السياسية المستقبلية، خاصة وأن عقيدتها البراغماتية لا تريد معاداة الشارع المنتفض ضد السلطة، ولا التفريط في تحالفاتها الكلاسيكية مع السلطة نفسها.

> الرجل الأول في حركة حمس عبدالرزاق مقري، ألمح إلى إمكانية مشاركة الحركة في الانتخابات، وأعاد مقاربة مرشح التوافق بين السلطة والمعارضة إلى الواجهة

وتتوجه أنظار المتابعين في الجزائر إلى نتائج القرارات التي ستتوج بها اجتماعات الهيئات القيادية في حزبي جبهة العدالة والتنمية وحركة مجتمع السلم الإخوانيين، بشأن موقفهما من الانتخابات الرئاسية المقررة قبل نهاية العام الجاري، حيث دخلت هيئتا مجلسي الشورى السبت في مشاورات لبلورة موقف نهائي من الاستحقاق الرئاسي.

وعكس الأحزاب السياسية والشخصيات المستقلة المعارضة التي أعلنت عن معارضتها للاستحقاق الرئاسي، على غرار عبدالعزيز رحابي، أحمد بن بيتور وإسماعيل لالماس.. وغيرهم، على خلفية عدم توفر الشروط اللازمة لإجراء الانتخابات المذكورة، وبروز معالم توظيف السلطة للاستحقاق من أجل تجديد نفسها، فان أكبر الأحزاب الإسلامية المحسوبة على المعارضة اختارت التريث وتوريط مؤسساتها القيادية في القرار النهائي.

وكان الرجل الأول في حركة "حمس" عبدالرزاق مقري، قد ألمح في تصريحات صحافية وتدوينات شخصية، إلى إمكانية مشاركة الحركة في الانتخابات، وأعاد مقاربة مرشح التوافق بين السلطة والمعارضة على شخصية وطنية إلى الواجهة، بغية إخراج البلاد من مأزق خطير ومعقد.

وتبنت حمس، خيار مرشح التوافق، استنادا إلى مبادرتها السياسية (التوافق الوطني)، التي أطلقتها العام 2018، ودخلت حينها في اتصالات مع مختلف القوى السياسية والشخصيات، بما فيها السلطة الحاكمة آنذاك، حيث التقى مقري حينها لعدة مرات مع الرجل القوي في الرئاسة سعيد بوتفليقة، شقيق ومستشار الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة.

ورغم أن المسعى تحول إلى شبه تهمة في رقبة عبدالرزاق مقري، في إطار ما بات يعرف بـ"المؤامرة" التي قادتها دوائر سياسية ورسمية للانقلاب على تشكيل عسكري والمساس بمؤسسات الدولة، وهو ما أدى إلى سجن عدد من الفاعلين في نظام بوتفليقة، بسبب مشاوراته مع سعيد بوتفليقة، قبل اندلاع احتجاجات الحراك الشعبي، إلا أن حمس أعادت المبادرة إلى الواجهة.

والى غاية اللحظات التي تسبق الموقف النهائي من الاستحقاق، ظل عبدالرزاق مقري، يتبنى موقفا وسطا من الانتخابات الرئاسية، وإن لم يتحمس لها فهو لم يعارضها تماما، ونقل عنه تصريحه "فشل تنظيم الانتخابات في الـ12 ديسمبر القادم سيكون خطيرا على البلاد، وتنظيمها في هذه الظروف والشروط لا يفضي إلى رئيس شرعي بل إلى أزمة جديدة".

ولتكريس خيار التوافق الذي تدافع عنه حركته، اقترح مقري بشكل غير رسمي ترشيح الشخصية المستقلة ورئيس الحكومة السابق في مطلع الألفية أحمد بن بيتور، ليكون مرشح السلطة والمعارضة في آن واحد، إلا أن رغبة إسلاميي الجزائر اصطدمت برفض الرجل خوض السباق الانتخابي لعدم "اقتناعه بالشروط والظروف غير المناسبة".

في المقابل يبدو أن رئيس جبهة العدالة والتنمية عبدالله جاب الله، أكثر تشاؤما من قيادة الحزب الغريم، بشأن الاستحقاق الرئاسي في ظل دفع السلطة لتنظيمه في موعده المحدد، دون مراعاة لمطالب المعارضة ولا الحراك الشعبي، مما يؤكد حسب رأيه "نوايا التجديد للنظام بآليات ووجوه جديدة".

ويرى جاب الله، بأن الانخراط المبكر لما كان يعرف بأحزاب التحالف الرئاسي في عهد الرئيس السابق، في مسعى تنظيم الانتخابات القادمة، مؤشر على ترتيب مآلات الاستحقاق لصالح مرشح السلطة، أو وضعه في سياق لا يخرج الرئيس القادم عن دائرة السلطة، وأن الرهان على أكثر من مرشح يفضي إلى نتائج لا تخرج عن رغباتها.

ولا يستبعد أن يضع الحزب الإسلامي الثاني في البلاد، قضية أحزاب السلطة كشرط أساسي للمشاركة من عدمها، وهو ما عبر عنه في الجلسة الافتتاحية لاجتماع مجلس شورى حزبه، بطلبه "إقصاء أحزاب الموالاة من المشاركة في الاستحقاق، لإثبات نوايا التغيير"، وبرر ذلك "بتورط تلك الأحزاب في الأزمة السياسية التي تتخبط فيها البلاد".

وفيما لا يزال موقف الحزب الأول في البلاد (جبهة التحرير الوطني) غامضا بسبب الأوضاع الداخلية بعد سجن أمينه العام محمد جميعي، وتقدم رئيس الحكومة السابق عبدالمجيد تبون، كمرشح مستقل رغم أنه ينتسب للحزب المذكور، فإن الحزب الثاني (التجمع الوطني الديمقراطي)، ينتظر أن يسحب استمارات الترشح اليوم الأحد، لأمينه العام الجديد وزير الثقافة الأسبق عزالدين ميهوبي.

وذكر جاب الله في مداخلته "نؤمن بعدم إقصاء أي طرف، لكن يجب أن تتم معاقبة الأحزاب التي كانت سببا في الأزمة بعدم المشاركة في الانتخابات لأنها ضرورة وواجبا"، وهو ما يمثل المستحيل في ظل رهان سلطة الأمر الواقع على أذرع النظام السابق لتمرير أجندتها.

وكانت لجنة الحوار والوساطة بقيادة كريم يونس، قد أقصت الأحزاب المذكورة من مشاوراتها السياسية، إلا أن السلطة اعتمدت على أغلبيتها في غرفتي البرلمان لتمرير التعديلات الجديدة في قانون الانتخابات وتأسيس السلطة المستقلة للانتخابات، وهو ما يعتبر تناقضا صارخا في مواقف الحكومة الانتقالية في الجزائر.

الداخلية التونسية تنفي مزاعم علمها بهجوم باردو

تونس – أكدت وزارة الداخلية التونسية، السبت، أن الوثيقة التي نسبت لها مؤخرا وتضمنت معلومات تزعم علمها بهجوم باردو الإرهابي قبل وقوعه، "مفتعلة ولا وجود لها إداريا وقانونيا". وجاء ذلك في بيان صادر عن الوزارة تعليقا على "وثيقة" نسبت إلى المؤسسة الأمنية جرى تداولها مؤخرا على مواقع التواصل الاجتماعي تتضمن معطيات تتوقع حدوث هجوم متحف باردو بالعاصمة تونس الذي وقع في 18 مارس عام 2015.

وتزعم الوثيقة أن المدير العام للأمن العمومي أعلم المدير العام للأمن الوطني اعتزام مجموعة إرهابية القيام بعملية نوعيّة لاستهداف البرلمان أو المتحف الأثري في باردو، وهو الهجوم الذي أسفر عن مقتل 22 شخصا.

وأكدت الداخلية أنه بتاريخ 8 مارس 2015 المدون بهذه الوثيقة، فإنه لا وجود قانونيا ولا إداريا لخطتي المدير العام للأمن العمومي المنسوب إليه إمضاء الوثيقة والمدير العام للأمن الوطني الموجهة له.

وأشارت الوزارة إلى أنه وفق تقاليدها في إعداد المراسلات والتقارير الإدارية من حيث المفردات والمصطلحات المستعملة وكذلك في طريقة عرض المواضيع، يكتفي المدير العام للأمن العمومي في مثل هذه الحالات والخاضع إداريا لإشراف المدير العام للأمن الوطني بإحاطته بالموضوع على سبيل الإعلام دون أن يتوجّه إليه بصفة مباشرة بما يجب عليه اتخاذه من قرارات أو احتياطات.

وحذرت وزارة الداخلية من ترويج ما وصفته "مزاعم تمثل استباحة للمؤسسة الأمنية ومساسا بمصداقية هياكلها ومنتسبيها بصورة قد تنعكس سلبا على أمن واستقرار البلاد".

ونبّهت الرأي العام إلى عدم الانسياق وراء ما يتم تداوله حول المؤسسة الأمنية واستقاء المعلومات ذات العلاقة باختصاصها من المصادر الرسمية.

وقالت الوزارة إنها تحتفظ بحقها الكامل في التتبع العدلي ضد كل من قام وساهم في ترويج هذه الوثيقة المفتعلة.

وكانت هيئة الدفاع عن المعارضين السياسيين شكري بلعيد ومحمد البراهمي اللذين اغتيلا في 2013، قد اعتبرت الوثيقة "دليلا آخر" في قضية ما يسمّى "الجهاز السري لحركة النهضة".

إسبانيا تتجاهل طرح البوليساريو وتدعم مبادرة الحكم الذاتي

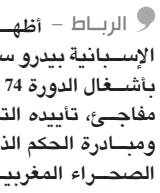

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط – أظهر رئيس الحكومة الإسبانية بيدرو سانشيز خلال كملته بأشغال الدورة 74 للأمم المتحدة، بشكل مفاجئ، تأييده التام للحل السياسي ومبادرة الحكم الذاتي في النزاع حول الصحراء المغربية، متجاهلا خيار "استفتاء تقرير المصير" المتقادم الذي ما زالت تدافع عنه الجزائر وجبهة البوليساريو الانفصالية.

وقال سانشيز إن "طريق الحل السياسي العادل والدائم والمقبول من لدن الأطراف للنزاع المفتعل حول الصحراء المغربية، يمرّ حصريا عبر الأمم المتحدة"، مؤكدا "الالتزام الإسباني برؤية الأمم المتحدة حول قضية الصحراء المغربية، ومواصلتها دعم مجهودات الأمين العام للأمم المتحدة للوصول إلى حل سياسي وفقا للقرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي".

وتشرف الأمم المتحدة على مفاوضات بين المغرب والبوليساريو بحثا عن حل نهائي للنزاع. وتقترح الرباط حكما ذاتيا موسعا تحت سيادتها، فيما تدعو البوليساريو إلى استفتاء لتقرير المصير.

وهذه هي المرة الأولى التي لم تلمح فيها إسبانيا إلى عدم تنظيم أي استفتاء قصد حل هذا النزاع، وهو ما يكشف تغيرا في الموقف الإسباني، وانحيازا لمبادرة الحكم الذاتي وتأييده تسوية سياسية تحت مظلة الأمم المتحدة.

ويشير هشام معتضد، الباحث المتخصص في الدراسات والسياسات الأمنية الدولية، إلى أن الموقف الرسمي الإسباني يترجم التزام مدريد بالمواقف الأممية بخصوص ملف الصحراء من جهة، وحرصها على الاستمرار في تبني سياسة الحياد الإيجابي من خلال تقديم الدعم اللازم لإنجاح عملية التسوية تحت رعاية الأمم المتحدة من جهة ثانية.

ويبدّد الموقف الإسباني غيوم التوتر الذي خلفته تصريحات سابقة لسانشيز عبّر فيها عن دعم توسيع صلاحيات بعثة الأمم المتحدة لتنظيم استفتاء في الصحراء المغربية (المينورسو) لتشمل مراقبة حقوق الإنسان، وهو ما ترفضه الرباط جملة وتفصيلا.

وحول التراجع الإسباني عن دعم توسيع صلاحيات بعثة المينورسو لتشمل مراقبة حقوق الإنسان وتنظيم الاستفتاء حول تقرير المصير بالصحراء الذي تؤيده البوليساريو، يرى معتضد أنه بمثابة استدراك سياسي على مستوى الخطاب والموقف الرسمي الإسباني ومحاولة من سانشيز لتدارك انزلاقاته الأيديولوجية التي يقف خلفها طموح براغماتي.

ويعد وقوف إسبانيا على الحياد من قضية الصحراء مكسبا جيواستراتيجيا مهما، وذلك لجهة أنها تعتبر مؤثرة تاريخيا وحاملة لمسؤولية تاريخية تجاه ملف الصحراء المغربية.

ويعتبر المغرب الصحراء مسألة وجود ولا يمكن التنازل عن شبر من سيادته عليها، ويرفض أي حل لهذا النزاع خارج مبادرة الحكم الذاتي. ويبقى الموقف الرسمي والشعبي للمغرب موحدا حول مركزية قضية الصحراء، حيث أكد رئيس الحكومة سعدالدين العثماني، في الكلمة التي ألقاها أمام الأمم المتحدة، أن سيادة المغرب الكاملة على أقاليمه الجنوبية غير قابلة للمساومة، وأن المغرب يسعى بجدية لإيجاد حل سياسي ونهائي لهذا النزاع الإقليمي المفتعل.

وبدوره شدّد وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة على أن المملكة المغربية قامت باقتراح مبادرة للحكم الذاتي لجهة الصحراء مفعمة بروح من الجدية والمصداقية والواقعية من أجل تحقيق السلام للمنطقة وتجسيدا لمبدأ احترام السيادة والوحدة الترابية للدول، مشيرا إلى أن هذه المبادرة هي الحل النهائي والوحيد لهذا النزاع.

وشدد الدبلوماسي المغربي، خلال الاجتماع الوزاري لحركة عدم الانحياز الذي انعقد على هامش الدورة الـ74 للجمعية العامة للأمم المتحدة، على أن "قضية الصحراء المغربية هي أولا وقبل كل شيء قضية استكمال لوحدة المغرب الترابية، وسيادته على أقاليمه الجنوبية غير قابلة للتفاوض ولا المساومة".

ويرى مراقبون أن جبهة البوليساريو ما فتئت تسعى إلى تقويض كافة الجهود الإقليمية والدولية لإيجاد حل سياسي واقعي تمثله مبادرة الحكم الذاتي المشهود لها دوليا بالمصداقية.

ورغم دور الوساطة الذي تلعبه موريتانيا في ملف الصحراء، كونه يقع ضمن الملفات الأساسية في السياسة الداخلية والخارجية لنواكشوط، إلا أن الرئيس الموريتاني محمد ولد الشيخ الغزواني تجاهل في كلمة أمام الأمم المتحدة التطرق إلى هذا الملف.

ورأى هشام معتضد في تجاهل الرئيس الموريتاني الجديد لقضية الصحراء إشارة إيجابية من الرئاسة الموريتانية للمغرب وتغيّرا ملموسا لموقف نواكشوط بخصوص ملف الصحراء، خاصة أن موقفها التقليدي غالبا ما تميّز بنوع من الحياد السلبي.

ولم يسلم الرئيس الموريتاني من هجوم جبهة البوليساريو الانفصالية بعد تصريحاته أمام الجمعية العامة الذي رجح فيها مصلحة بلاده وسيادتها، مؤكدا أن موريتانيا حافظت وبصفة منتظمة على سياسة النأي بالنفس عن الصراعات وعلى علاقات حسن الجوار.

العثماني: سيادة المغرب على أقاليمه الجنوبية غير قابلة للمساومة

واعتبرت البوليساريو هذا التجاهل يعكس ما أسمته سياسة "النفاق الإيجابي" التي يتعامل بها النظام الموريتاني مع قضية الصحراء، وهي القضية التي تمت إثارتها أثناء الحملة الانتخابية للرئاسيات الموريتانية، حيث كانت مجرد ورقة انتخابية تتلاعب بها الأحزاب الإسبانية والموريتانية.

> موقفا إسبانيا وموريتانيا يحملان تأكيدا على أن الحل السياسي مبني على المبادرة المغربية ويمكن ربطه بما تقوم به البوليساريو من انتهاكات حقوقية

واستغرب رئيس الجمعية الموريتانية المغربية للدفاع عن الوحدة المغاربية، شيخاني ولد الشيخ تناقض تصريحات عناصر من جبهة البوليساريو الانفصالية بخصوص الموقف الموريتاني الأخير.

وأشار ولد الشيخ في تصريح لـ"العرب" إلى أن "استهداف البوليساريو للرئيس الموريتاني الجديد قد يشوّش على الموقف الرسمي للدولة الموريتانية من قضية الصحراء الذي يطبعه الحياد الإيجابي، للتوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف تحت طاولة الأمم المتحدة."

ويستنتج المراقبون أن موقفي إسبانيا وموريتانيا يحملان تأكيدا ضمنيا على أن الحل السياسي مبني على المبادرة المغربية، ويمكن ربطه بما تقوم به البوليساريو من انتهاكات حقوقية ومالية وتدخلاتها القمعية ضد المنتفضين على قياداتها.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

نداء السودان يرتب أوراقه تمهيدا لدمج الجبهة الثورية في المؤسسات الانتقالية

المرحلة الجديدة تتطلب تقوية المكونات السياسية التي قادت الثورة

تهدف اجتماعات تحالف نداء السودان والجبهة الثورية، المنعقدة في منتجع العين السخنة الواقع شرق العاصمة المصرية، إلى بلورة رؤية سياسية جديدة للتعامل مع مرحلة بناء مؤسسات السلطة الانتقالية بالسودان، وهو ما يفرض عدم فقدان الاتصال السياسي بين القوى السياسية في الداخل وقادة الحركات المسلحة في الخارج.

الحاجة لغطاء سياسي وشعبي

أحمد جمال
صحافي مصري

العين السخنة (مصر) – بدأت اجتماعات تحالف نداء السودان والجبهة الثورية السبت، في منتجع العين السخنة (شرق القاهرة)، والتي من المقرر أن تنتهي الأحد وتستهدف التمهيد لدمج الحركات المسلحة المنضوية تحت لواء الجبهة الثورية في مؤسسات السلطة الانتقالية بالسودان، قبل أيام من بدء مفاوضات السلام التي تنطلق في 14 أكتوبر المقبل.

> الاجتماعات ستنتهي بعدم السماح بتكرار التفسخ الذي حدث من قبل بين الأحزاب المدنية والجبهة ودعم انخراط الحركات المسلحة في العملية السياسية وفقا لرؤية السلام المنتظرة

وحضرت مكونات نداء السودان، المسلحة والحزبية، مكان انعقاد اجتماعات الجبهة الثورية التي انطلقت قبل أسبوع، برعاية مصرية، في خطوة ترمي إلى إزالة الغيوم التي غطّت سماء العلاقة بين الطرفين، بعد توقيع الإعلانيين السياسي والدستوري بين قوى الحرية والتغيير، والتي يعد نداء السودان أبرز هياكلها، والمجلس العسكري من دون مشاركة الجبهة الثورية.

وتأسس تحالف قوى نداء السودان في العام 2014 ويضم قوى سياسية وعسكرية واجتماعية أبرزها: حزب الأمة القومي وحزب المؤتمر السوداني وحزب الاتحاد الديمقراطي الموحد، بالإضافة إلى فصائل وحركات الجبهة الثورية السودانية وعدد من منظمات المجتمع المدني.

وقالت مصادر مطلعة لـ"العرب"، إن الاجتماعات ستنتهي إلى إعادة تشكيل الهياكل التنفيذية للتحالف، بما يؤدي إلى صياغة دور الجبهة الثورية الجديد، وعدم السماح بتكرار التفسخ الذي حدث من قبل بين الأحزاب المدنية والجبهة، ودعم انخراط الحركات المسلحة في العملية السياسية وفقا لرؤية السلام المنتظرة، التي أقرت بتأجيل تشكيل باقي مؤسسات السلطة الانتقالية، أي المجلس التشريعي ورؤساء الولايات الاتحادية، إلى ما بعد الوصول إلى اتفاق شامل للسلام.

وتأتي اجتماعات العين السخنة عقب استقالة تقدم بها الإمام الصادق المهدي رئيس حزب الأمة القومي من رئاسة نداء السودان في 18 سبتمبر، ودعا من خلالها مكونات التحالف إلى اجتماع عاجل لمراجعة الموقف وهيكلة التحالف، وعلاقته بالتحالفات الأخرى، حسب ما تتطلبه المرحلة الانتقالية.

وعلمت "العرب" التي كانت قريبة من اجتماعات العين السخنة السبت، أن الاجتماع يناقش أسباب الاستقالة التي تقدم بها المهدي إلى وسائل الإعلام من دون الرجوع إلى مكونات التحالف، لأنها جاءت في توقيت أضحى فيه التحالف من دون جسد سياسي، ما انعكس على سرعة الدعوة للاجتماعات للإبقاء على تماسك القوى الموجودة داخله وعدم السماح بانهياره.

وأكد عمر الدقير، رئيس حزب المؤتمر السوداني والقيادي بقوى الحرية والتغيير، أن الاجتماعات تعقد في توقيت مهم للغاية بعد تشكيل هياكل السلطة الانتقالية وفقا للوثيقة الدستورية، ويقود ذلك القوى السودانية للدخول في مرحلة جديدة تتطلب فيها تقوية المكونات السياسية التي قادت الثورة، وعلى رأسها نداء السودان، وأن ذلك يصب مباشرة في صالح قوى الحرية والتغيير المشكّلة للحكومة الحالية.

وأضاف الدقير، لـ"العرب" أن الاجتماعات تهدف إلى بلورة رؤية سياسية جديدة للتعامل مع واقع ما بعد سقوط نظام عمر حسن البشير، والرؤية المرتبطة بقضية السلام، وأن تشكيل الهياكل الجديدة يريد التواصل مع القوى السياسية في الداخل وقادة الحركات المسلحة في الخارج، وعدم تكرار فقدان الاتصال السياسي بين الطرفين عقب نجاح الثورة.

ويبدو أن توسيع الجبهة الثورية بعد أن أضحت تضم خمس حركات مسلحة بجانب أربع قوى سياسية، يتطلب إدخال تعديلات في هياكل نداء السودان بما يسمح لها بدور أوسع، وسيكون ذلك من مسؤولية الهيكل التنفيذي الجديد ومهمته زيادة فعالية الحركات المسلحة في القضايا السياسية المطروحة مستقبلا.

وأوضح الدقير لـ"العرب"، أن اجتماعات العين السخنة تناقش العديد من الأسئلة التي لم تجد لها إجابات حتى الآن، ومرتبطة بكيفية تأسيس دولة المواطنة بمشاركة جميع القوى والمكونات والعرقيات السودانية، وأن يكون هناك توافق على البنود الأساسية للسلام، بما يساهم في تأسيس دولة مدنية.

وهناك رغبة مصرية في أن يكون دور القاهرة يساهم في انطلاق مفاوضات السلام التي ستكون أحد الأطراف الراعية له، الأمر الذي انعكس على دفعها لأن تكون الاجتماعات مكثفة ومحددة الأهداف والملامح، بما يشي بأن اجتماعات نداء السودان تعدّ جزءا أصليا من هندسة الدبلوماسية المصرية لمسارات اتفاق السلام التي جرى التوافق عليها بين الحركات المنضوية داخل الجبهة الثورية أخيرا.

وقال أسامة السعيد، الناطق الرسمي باسم الجبهة الثورية، إن تحالف نداء السودان سيدخل تعديلات جذرية على الأساسات المكونة له، ومن المفترض أن يتم إجراء تغيير في دستور التحالف باعتباره المؤسس لهياكل المجلس الرئاسي والمجلس القيادي والأمانة العامة لنداء السودان، بما يتواكب مع التحولات السياسية التي تتطلب تغييرا على مستوى وضع النداء داخل قوى الحرية والتغيير.

وأضاف السعيد،"العرب"، أن الهدف حاليا هو الحصول على دعم جميع القوى، ومن ثم فإن إعلان جوبا بين الجبهة الثورية والسلطة الانتقالية سيكون محل نقاش من مكونات نداء السودان، بجانب استحداث رؤية جديدة تدعم الأهداف الرئيسية وتساعد على دمج الجبهة الثورية بشكل أكبر.

وأشار إلى أن الجبهة اتخذت قرارا خلال اجتماعاتها السابقة بالاستمرار في تحالف نداء السودان وعدم الخروج من قوى الحرية والتغيير، بالتالي فإن نقاشات العين السخنة تعد بوابة لإعادة تموضع الجبهة بين القوى التي تشكل الحكومة لتكون غطاء سياسيا وشعبيا بالنسبة للاتفاق المزمع التوصل إليه.

ويذهب متابعون للتأكيد على أن تحركات الجبهة الثورية تقطع شوطا في طريق اندماجها السياسي عبر خوض الانتخابات التشريعية المقبلة، وأن ذلك ظهر عبر توسيع قاعدتها وفتحها الباب أمام انضمام حركات شبابية، وتأكيدها المستمر على تطلعها للمستقبل من خلال التغيير الشامل، وهو ما ستحاول تحقيقه على أرض الواقع عبر مناقشات حثيثة مع قوى نداء السودان، لأنها تشكل كتلة عريضة تساهم في انخراطها في مؤسسات الدولة الانتقالية والمستقبلية.

السعودية تضبط لائحة السلوك العام في إطار خطة الانفتاح السياحي

الرياض – أعلنت السعودية السبت، أنها ستفرض غرامات على 19 مخالفة تتصل بالذوق العام مثل ارتداء ملابس غير لائقة والتصرفات الخادشة للحياء العام، وذلك في إطار انفتاح المملكة على السائحين الأجانب.

ويتزامن قرار وزارة الداخلية مع إطلاق نظام تأشيرات يتيح للسائحين من 49 بلدا زيارة أحد أكثر بلدان العالم انغلاقا. وحتى الآن فإن معظم الزائرين للمملكة من الحجاج ورجال الأعمال.

وتشمل الانتهاكات المدرجة على الموقع الإلكتروني للتأشيرة الجديدة إلقاء النفايات في غير الأماكن المخصصة لها والبصق وتخطي طوابير الانتظار بالأماكن العامة والتقاط الصور والتسجيلات المصورة لأشخاص دون استئذان وتشغيل الموسيقى في أوقات الأذان وإقامة الصلاة. وتتراوح الغرامات بين 50 ريالا (13 دولارا) وستة آلاف ريال (1600 دولار).

وقال بيان إعلامي حكومي إن هذه الضوابط تهدف للتأكد من أن الزوار والسائحين في المملكة على دراية بالقانون المتصل بالسلوك العام بحيث يلتزمون به.

وذكر البيان أن الشرطة السعودية هي فقط المخولة برصد المخالفات وتطبيق الغرامات، وهو تعليق يهمّش على ما يبدو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي جرى تكبيل سلطاتها لملاحقة المشتبه بهم أو القبض عليهم في 2016.

وكانت الشرطة الدينية، التي يطلق عليها المطوعون، تعمل على التأكد من أداء الناس للصلاة خمس مرات يوميا وارتداء النساء الحجاب. كما فرضت أيضا حظرا على الموسيقى والمشروبات الكحولية والاختلاط بين الجنسين وقيادة النساء للسيارات.

ولا تزال الكحوليات محظورة وهو ما قد يؤدي إلى عزوف بعض السياح، كما لم يتضح ما إذا كان سيسمح لأي رجل وامرأة من الأجانب غير متزوجين بالإقامة في غرفة فندق واحدة.

سلوك المرأة أبرز محاور النهج الانفتاحي

وكانت المملكة قد أعلنت الجمعة أنها ستصدر للمرة الأولى في تاريخها تأشيرات سياحيّة، وهو ما يصب في سياستها الجديدة الهادفة إلى تنويع اقتصادها الذي يعتمد حاليًا على النفط.

وكشفت السعودية أيضا عن عزمها التخفيف من قواعد اللباس للنساء الأجنبيات، وهو ما سيسمح لهن بالتنقل من دون ارتداء العباءة.

ويعتبر السعوديون المحافظون العباءة رمزا للحشمة، لكن ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان ألمح العام الماضي إلى تغيير محتمل في مسألة فرض ارتداء العباءة في الأماكن العامة عندما قال إن حشمة المرأة لا تعني لبسها لها.

ووصف أحمد الخطيب، رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للسياحة والتراث، فتح أبواب السعودية أمام السيّاح الأجانب بأنه "لحظة تاريخية لبلادنا".

وقال الخطيب إن "الزوار سيفاجأون باكتشاف الكنوز التي لدينا للمشاركة: خمسة مواقع مدرجة على قائمة التراث العالمي لليونسكو وثقافة محلية نابضة بالحياة وجمال طبيعي يقطع الأنفاس".

ولم تكن المملكة تصدر تأشيرات إلا للحجاج والأجانب العاملين على أراضيها، لكن منذ فترة وجيزة بدأت بإصدارها للراغبين في حضور مباريات رياضية ونشاطات ثقافية.

وأكد الخطيب أن "السعودية تسير باتجاه الانفتاح. اقتصادنا ومجتمعنا ينفتحان" على العالم.

ويُعتبر إطلاق قطاع السياحة أحد أهمّ أسس رؤية 2030، وهي خطّة طموحة طرحها الأمير محمد بن سلمان لإعداد أكبر اقتصاد عربي لمرحلة ما بعد النفط.

وفي وقت سابق، رفعت السعودية الحظر المفروض على قيادة النساء للسيارات كما ازدهرت أعمال أماكن الترفيه العامة وبعضها كان محظورا مثل دور السينما. وألغت الكثير من المطاعم والمقاهي الحواجز التي كانت تفصل بين الجنسين ولم تعد توقف الخدمة في أوقات الصلاة.

> الشرطة السعودية هي فقط المخولة برصد المخالفات وتطبيق الغرامات وهو ما يهمش هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي جرى تكبيل سلطاتها في 2016

وتتوقع الحكومة أن يؤدي قطاع السياحة إلى خلق مليون وظيفة جديدة.

وأنفقت السعودية مليارات الدولارات لمحاولة بناء قطاع سياحي من الصفر. وفي أغسطس 2017، أعلنت المملكة عن مشروع كلفته مليارات الدولارات لتحويل 50 جزيرة ومواقع طبيعيّة خلابة أخرى على ساحل البحر الأحمر إلى منتجعات فاخرة.

ولدى السعودية أيضا مواقع أثرية مثل مدائن صالح التي تضمّ قبورا مبنية بالحجر الرملي وتعود إلى الحضارة النبطية التي بنيت في عهدها معالم أثرية معروفة بينها مدينة البتراء الأردنية.

وتشترك السعودية في الحدود مع العراق شمالا ومن اليمن جنوبا، وعلى الرغم من انتشار مساحات صحراوية واسعة بها فإنها حافلة أيضا بالجبال الخضراء والشواطئ البكر والمواقع التاريخية ومنها خمسة مواقع مسجلة في قائمة التراث العالمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو).

افتتاح معبر القائم – البوكمال بين العراق وسوريا

بغداد – أعلنت بغداد عن افتتاح معبر القائم الحدودي مع سوريا الاثنين بعد موافقة رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي على ذلك، وفق ما ذكرت وكالة الأنباء العراقية في أحدث مؤشر على تطبيع العلاقات بين بغداد ودمشق.

وذكرت الوكالة الجمعة أن رئيس هيئة المنافذ الحدودية كاظم محمد بريسم العقابي أكد "جهوزية المنفذ لمرور المسافرين وأيضا للتبادل التجاري".

وكان من المفترض أن يتم افتتاح المعبر مطلع الشهر الحالي لكن تم تأجيل ذلك. وأوضح قائم مقام قضاء القائم أحمد جديان في وقت سابق، أن "المهلة ستمتد لحين الانتهاء من الترتيبات اللوجيستية من توفير الطاقة الكهربائية والمياه".

واستعادت الحكومة العراقية في نوفمبر 2017 بلدة القائم الواقعة بمحافظة الأنبار في غرب البلاد من تنظيم الدولة الإسلامية، حيث كانت البلدة التي تبعد 300 كيلومتر غربي بغداد آخر معقلا للتنظيم قبل سقوطه في العراق.

وتم تحرير مدينة القائم قبل ثلاث سنوات من قبضة تنظيم داعش.

والقائم متاخمة لبلدة البوكمال السورية والتي كانت أيضا معقلا للتنظيم المتشدد. وتقع البلدتان على طريق إمدادات استراتيجي وكان المعبر مفتوحا أمام حركة المرور الحكومية والعسكرية فقط.

وبين العراق وسوريا معبرين آخرين هما: معبر ربيعة – اليعربية، ومعبر الوليد – التنف.

وأعلن العراق النصر على تنظيم الدولة الإسلامية في العام 2017 كما فقد آخر أراض له في سوريا هذا العام.

ودعت الحكومة العراقية في الآونة الأخيرة إلى إعادة سوريا إلى عضوية الجامعة العربية بعد تعليقها عام 2011 بسبب قمع الاحتجاجات في بداية الحرب الأهلية.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

الرجل الذي حاول إنقاذ سوريا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

هناك الكثير الذي يمكن قوله عن جاك شيراك الذي غادر عالمنا قبل أيام عن ستّة وثمانين عاما قضى منها 12 عاما رئيسا للجمهورية الفرنسية. من السهل القول إن شيراك كان آخر كبار الرؤساء الفرنسيين، خصوصا أن الذين خلفوه، في مقدّمهم نيكولا ساركوزي، كانوا مجرّد أقزام في السياسة بالمقارنة مع ما كان يمثله ذلك الرجل الذي تربّى في ظل جورج بومبيدو، خليفة شارل ديغول.

عرف بومبيدو كيف المحافظة على إرث شارل ديغول في الأيام الصعبة التي مرّت فيها الديغولية التي كانت مدرسة بحدّ ذاتها. كانت تعني أوّل ما تعني الإيمان بعظمة فرنسا وبفكر مستنير يرفض أي تبعية عمياء للولايات المتحدة.

بعد خروج شيراك من الرئاسة في العام 2007، لم تعد فرنسا وحدها في حال يرثى لها، خصوصا بعدما تبيّن أن ساركوزي كان مستعدا لمساومات وصفقات مع النظام السوري الذي يرأسه بشّار الأسد الذي تعرف فرنسا تماما دوره في تغطية اغتيال رفيق الحريري.

مع رحيل جاك شيراك من عالمنا، نجد أنّ ليس الشرق الأوسط وحده الذي يتغيّر، بل إن أوروبا أيضا بدأت تتغيّر في غياب رجال كبار عرفوا كيف يعيدون للقارة القديمة أمجادها وإعادة بنائها بعد كلّ ما دمّرته الحرب العالمية الثانية. استطاع هؤلاء التعايش مع الحرب الباردة ومع التهديد الذي كان يمثّله الاتحاد السوفييتي وفكره التوتاليتاري. ليس في أوروبا هذه الأيّام زعيم واحد يستطيع أن يسأل، حتّى، إلى أين يأخذ دونالد ترامب العالم أو هل يمكن وضع حدّ للسياسات الإيرانية التي لا حدود لتهوّرها ولتلك السياسات التي يمارسها فلاديمير بوتين الهارب الدائم من الأزمات الداخلية لروسيا إلى مناطق مختلفة في العالم مثل أوكرانيا أو سوريا؟

ليس في الإمكان تجاهل أن جاك شيراك حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، أكان ذلك في سوريا أو لبنان، وقبل ذلك في العراق وفلسطين حيث اصطدم في أثناء زيارته للقدس في 1996 بالشرطة الإسرائيلية وقوات الجيش التي أرادت منعه من الاتصال بالفلسطينيين، أهل المدينة المقدّسة الحقيقيين والأصيلين. امتلك جاك شيراك شجاعة قول الأشياء كما هي مدافعا عن حقوق الشعب الفلسطيني وعن أرض فلسطين ومن القدس بالذات... وذرف دمعة على ياسر عرفات.

من الصعب استعادة جاك شيراك الذي أمضى ما يزيد على أربعة عقود في السياسة. كان رئيسا لبلدية باريس طوال 18 عاما. كان وزيرا. كان رئيسا للوزراء، حتّى في ظل رئيس اشتراكي هو فرنسوا ميتران، وجد نفسه مضطرا لـ"مساكنة" الديغوليين. جاء ذلك تمهيدا لوصوله إلى قصر الإليزيه في العام 1995 ليغادره في 2007 تاركا فراغا ليس بعده فراغ.

كان مثيرا تركيز كلّ وسائل الإعلام العالمية على الموقف الذي اتخذه جاك شيراك في مرحلة الإعداد للحرب الأميركية على العراق. أظهر الرئيس الفرنسي وقتذاك بعد نظر ليس بعده بعد نظر في موقفه من جورج بوش الابن الذي لم يكن يمتلك أي نوع من الاستيعاب لمعنى تسليم العراق على صحن من فضّة إلى إيران وماذا تعني إزالة العراق من معادلة التوازن الإقليمي. لكنّ الحلقة الغائبة في معظم التغطية للدور الذي لعبه جاك شيراك على صعيد الشرق الأوسط كانت تلك المتعلّقة بمحاولته إنقاذ سوريا. راهن على بشّار الأسد الذي خلف والده في العام 2000. اعتقد جاك شيراك أنّ بشّار ينتمي إلى جيل مختلف من الحكام العرب الذين كانوا على تواصل مع كلّ ما هو حضاري في العالم. جيل يريد التعاطي مع الثورة التكنولوجية التي نقلت العالم إلى عالم مختلف. استثمر، بتشجيع من رفيق الحريري، في مساعدة سوريا.

فرفيق الحريري كان يعرف تماما أنّ ازدهار لبنان من ازدهار سوريا والعكس صحيح وأنّ مساعدة سوريا على التخلّص من نظام بيروقراطي عفا عنه الزمن سيساعدها في القيام بالنقلة النوعية التي يحتاجها دخول القرن الحادي والعشرين. استقبل جاك شيراك بشّار الأسد، قبل أن يصبح الأخير رئيسا للجمهورية وتعاطى معه بهذه الصفة. أتبع ذلك بسلسلة من الإجراءات العملية شملت إرسال خبراء فرنسيين إلى دمشق من أجل تحسين أداء الإدارة السورية.

ذهبت كلّ جهود جاك شيراك هباء. اكتشف مع الوقت أن النظام السوري لا يمكن إصلاحه وأن العقلانية، وإن بنسبة قليلة، التي ميزت عهد حافظ الأسد لم يعد لها من وجود يذكر في عهد بشّار الأسد. اكتشفت فرنسا واكتشف اللبنانيون مع وصول بشّار الأسد إلى قصر المهاجرين أن طبيعة العلاقة السورية – الإيرانية تغيّرت كلّيا. صارت إيران صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في دمشق وصار "حزب الله" بمثابة جزء لا يتجزّأ من تركيبة النظام السوري.

أدركت فرنسا ذلك باكرا وأدركت خصوصا أن رهانها على إصلاحات في سوريا لم يكن في محلّه. وهذا ما يفسّر إلى حدّ كبير عودة العلاقات الفرنسية – الأميركية إلى طبيعتها بعد تجاوز الفتور الذي رافق الغزو الأميركي للعراق ومن ثمّ عمل الدبلوماسيتين الأميركية والفرنسية على صياغة القرار رقم 1559 الذي يدعو إلى حل كلّ الميليشيات، أي حل ميليشيا "حزب الله" التي بقيت وحدها حيّة ترزق في لبنان، وانسحاب كلّ الجيوش الأجنبية من البلد. والمعني بالجيوش الأجنبية الجيش السوري الذي لعب في لبنان منذ 1976 دور قوّة الاحتلال.

> اكتشفت فرنسا واللبنانيون مع وصول بشّار الأسد إلى قصر المهاجرين أن إيران صارت صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في دمشق وصار «حزب الله» بمثابة جزء لا يتجزأ من تركيبة النظام السوري

دعم جاك شيراك سوريا ودعم لبنان الذي عرف كلّ زعمائه فردا فردا وكبار الشخصيات فيه. كان الردّ الإيراني – السوري، على القرار 1559 الذي صدر في الثاني من أيلول – سبتمبر 2004، تمديد ولاية رئيس الجمهورية إميل لحود وسلسلة من عمليات الاغتيال توجت بتفجير موكب رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005. قال جاك شيراك للزميلة والصديقة جيزيل خوري في سياق حديث أجرته معه في الذكرى الأولى لاغتيال رفيق الحريري: القرار 1559 شكّل الخطر الأكبر على حياة رفيق الحريري.

قبل حدوث ما حدث في العراق، سعى جاك شيراك إلى إنقاذ سوريا. فشل فشلا ذريعا. لكن فشله يثبت كم كان بعيد النظر. قبل محاولته ثني جورج بوش الابن عن خوض مغامرة اجتياح العراق في 2003، حاول مساعدة بشّار الأسد على المساهمة في بناء دولة عصرية بدل البقاء في أسر لعبة إيران ومشروعها التوسّعي الذي قضى في نهاية المطاف على سوريا. يكاد هذا المشروع الإيراني أن يقضي على لبنان أيضا. لبنان الذي أحبّه جاك شيراك ودعمه باكرا من بوابة الاقتناع بأن المشروع الوحيد الذي كان يمكنه إنقاذ البلد هو مشروع رفيق الحريري الذي اسمه "الإنماء والإعمار" والذي يظهر أن صفحته طويت في السنة 2019... سنة رحيل جاك شيراك.

القاسم المشترك هو إيران

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

لم تكن لتجفّ بعد دماء ناقلة النفط البريطانية "ستينا أمبيرو" التي قرصنتها حكومة طهران بتنفيذ من الحرس الثوري الإيراني المرتبط مباشرة بدولة الملالي والمصنّف مجموعة إرهابية على لوائح مكافحة المنظمات الإرهابية في واشنطن، حتى اندلعت أزمة دولية نتجت عن هجوم غير مسبوق على أراضي المملكة العربية السعودية استهدف منشأتين نفطيتين تابعتين لشركة أرامكو في محافظتي بقيق وخريص.

وتم تنفيذ الهجوم بواسطة عشر طائرات مسيّرة (درون) ونجم عنه تدمير واسع في المنشأتين أدى إلى انخفاض إنتاج النفط السعودي إلى نصف حجمه.

التحقيقات الجارية حول الهجوم ستؤكد ما إذا كان الاعتداء قد تمّ بالدرون فقط أم أنه قد دُعّم بصواريخ كروز، حيث تتوارد معلومات عن أن الطائرات انطلقت من الأراضي الإيرانية وليس من اليمن طبقا لمعلومات متطابقة نشرتها صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية.

أما عن ردود الفعل على المستوى الحكومي الأميركي، فقد سارع وزير الخارجية مايك بومبيو إلى اتهام إيران بأنها وراء الاعتداء على الأراضي السعودية ومنشآتها الحيوية في محافظتي بقيق وخريص في المنطقة الشرقية، مستبعدا انطلاق الهجمات من اليمن بسبب المسافة الفاصلة التي لا يمكن أن تجتازها طائرات الدرون.

وغرّد بومبيو على حسابه في تويتر قائلا "تقف طهران وراء ما يقارب من مئة هجوم على السعودية بينما روحاني وظريف يدّعيان التزامهما بالدبلوماسية".

وأكّد عضو مجلس الشيوخ الأميركي توم كاتن في تصريح رسمي أصدره حال وقوع الهجمات الإرهابية، على تعهد الولايات المتحدة بحماية أمن المملكة العربية السعودية قائلا "الولايات المتحدة الأميركية تقف إلى جانب الشركاء السعوديين في مواجهة حملة إيران الإرهابية عبر الشرق الأوسط".

وأضاف كاتن في بيانه الرسمي "أن الجهود اليائسة التي يبذلها آية الله لشلّ أسواق النفط العالمية ستدفعنا إلى تجديد التزامنا بتطبيق أقصى الضغوط على إيران؛ يجب على النظام الإيراني ووكلائه مواجهة عواقب هذه الهجمات".

أما الرئيس الأميركي دونالد ترامب، فقد اتصل هاتفيا بولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان وعرض دعمه للسعودية في "الدفاع المشروع عن النفس"، مضيفا أن الولايات المتحدة "ما زالت ملتزمة بضمان استقرار أسواق النفط العالمية، وأن تلك الأسواق لديها إمدادات النفط اللازمة".

التحقيقات جارية لكشف مكان انطلاق طائرات الدرون، فمن المستبعد بشكل كبير أن تكون انطلقت من اليمن الذي يفصل حدوده عن مكان الهجمات مسافة 500 ميل رغم إصدار الحوثيين بيانا رسميا يتبنون فيه الهجمات الأوسع منذ تشكيل التحالف العربي بقيادة المملكة لدحر وكلاء إيران من الميليشيات الحوثية في اليمن.

ورغم إشارة محققين من الأمم المتحدة إلى أن الحوثيين حصلوا على طائرات دون طيار متطورة يمكن أن يصل مدى طيرانها إلى 930 ميلا، الأمر الذي يترك الباب مفتوحا أمام احتمال أن تكون الطائرات دون طيار المستخدمة في الاعتداء قد حلّقت من الأراضي التي يسيطر عليها الحوثيون في اليمن. ومهما كشفت التحقيقات عن مكان انطلاق الهجمة، فإن القاسم المشترك بين جميع الفرضيات والمعطيات هو أن إيران، والحرس الثوري الإيراني إضافة إلى أذرعه المدربة والمسلحة والعابرة للحدود في المنطقة، هي مجتمعة صاحبة المصلحة الأولى في بث الفوضى في سوق النفط العالمي لترسل من جهة رسالة إلى الولايات المتحدة بأنها قادرة على زعزعة ليس فقط الاستقرار في المنطقة بل استقرار الأسواق العالمية؛ ورسالة موازية لمنافسها الإقليمي، المملكة العربية السعودية، بأنها أصبحت مجهزة لتضرب ضربات موجعة في العمق السعودي.

فبعد أن اتضح لإيران وعملائها أن السعودية محصنة بشكل فائق ضد صواريخ الحوثيين، وقادرة على اعتراضها وإسقاطها قبل أن تبلغ هدفها، لجأ فيلق القدس التابع للحرس الثوري إلى حملة تدريب واسعة لميليشياته من اليمن إلى لبنان مرورا بسوريا والعراق من أجل استخدام تقنية بديلة للهجوم على السعودية، بل قام بنقل بعض الأفراد من الميليشيات التابعة له لتدريبهم في إيران على تجميع الطائرات المسيّرة وإدارتها وإصلاحها.

> القاسم المشترك بين جميع الفرضيات والمعطيات هو أن إيران، والحرس الثوري بأذرعه المدربة والمسلحة والعابرة للحدود في المنطقة، هي مجتمعة صاحبة المصلحة في بث الفوضى وزعزعة الاستقرار في الأسواق العالمية

أما الاعتداء الأخير فيقدّم لنا صورة لما يمكن أن تسببه طائرات صغيرة دون طيار لا يتجاوز ثمنها بضعة آلاف من الدولارات ومتوفرة لمجموعات إرهابية تديرها طهران، من اضطراب في أمن الدول، وما تلحقه من أضرار وخسائر بخزينتها تتجاوز قيمتها المليارات من الدولارات!

من نافلة القول إن إقالة حارس العقوبات على إيران، الصقر المتشدد جون بولتون، قد أعطت إشارة إلى طهران بأن رحيل الرجل الأصعب والأكثر حرصا في الإدارة الأميركية على شدّ الحبل على عنق طهران، يفتح لها بابا ستنفذ من خلاله لمحاولة الانتقام من الولايات المتحدة، واستهداف ثروات المملكة ومنعها من متابعة خطتها في القضاء على الميليشيات الإيرانية العابرة للحدود؛ وفي الوقت عينه الاستمرار بمد أذرعها العدوانية في دول الجوار بغية تصعيد نفوذها.

ومن نافلة القول أيضا إن الهجمات على أرامكو النفطية حملت تحدّيا خطيرا للولايات المتحدة وسبرا لقدرتها على المواجهة مع إيران بعد أن استفحل شرّها في المنطقة، والآن يتطاول على أمن العالم.

فصل المقال أنه لا بد للرئيس ترامب أن يتخذ موقفا مستحَقا في هذه اللحظات المفصلية من ردع إرهاب حكام إيران ووكلائهم، إذ يبدو أن العقوبات الاقتصادية وحدها لا تكفي لردع هذا النوع من التغوّل العدواني الذي يَسِمُ النهج الحكومي في طهران.

أما العقوبات الدبلوماسية والمقاطعة للرسميين الإيرانيين فيجب أن تُفعّل فورا ويتم منعهم من دخول الأراضي الأميركية وحضور جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة. أما الرد العسكري على هجمات بقيق وخريص فأصبح فرض عين على واشنطن وإلا انفلت الطوق عن رقبة الوحش ليكون حرّا في قضم المنطقة بلدا إثر بلد وأمنا إثر أمن.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

المبادرة الفصائلية الفلسطينية الجديدة القديمة

مروان كنفاني
المستشار السياسي للرئيس الراحل ياسر عرفات

منذ أيام قليلة تقدمت بعض الفصائل الفلسطينية بورقة مشتركة حول قيادة فلسطينية جديدة وجماعية تتآلف مع التطورات التي يجابهها العمل الفلسطيني. قوبلت الورقة – المشروع باهتمام متواضع من قبل المواطنين والنقابات والجمعيات.

من الطبيعي أن لا تعلق السلطة الوطنية الفلسطينية بالرفض أو القبول باعتبار أنها المقصودة بالتغيير، لكن الأمر الذي يمكن أن يكون قد دفن هذه المبادرة نهائيّاً هو عدم اهتمام أو تعليق أو إبداء الرأي، حتى وقتنا الحاضر، على الورقة الفصائلية من قبل فتح والسلطة الوطنية.

تضمنت الورقة – المشروع تكرارا للعودة إلى الاجتماعات الفصائلية وقراراتها منذ عام 2008 وضرورة المصالحة بين المنظمات المتصارعة وإعادة الحياة لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومشاركة الفصائل في القيادة الجديدة والتمسّك بالثوابت ورفض الإملاءات الأميركية والمخالفات الإسرائيلية.

بدت المبادرة الفصائلية الثُمانيّة الأخيرة أنها صك تقاسم بين الفصائل للأرض الفلسطينية، وللشعب وحكوماته وحرياته وأمواله، بحيث أن موضوعا واحدا لم تتطرق إليه الورقة المشتركة هو دور الشعب صاحب الشرعية والولاية الوحيد في مهمة اختيار قيادة شرعية منتخبة جديدة.

يرى معظم المتابعين والمراقبين للتطورات التي تمر بها الفصائل أن مثل هذه المحاولات أصبحت سمة العمل السياسي الفصائلي، على الأقل في الأعوام الـ12 الأخيرة، والتي لم تحقق نجاحا ولا تقدماً في المطلب الأساسي للشعب في إعادة الوحدة والحفاظ على ما تبقى له من أرض فلسطينية، وأن هذه المحاولات، على أهميتها، ليست جزءا من الاهتمام والمصداقية الحقيقيين للفصائل بقدر ما هي وسيلة للخروج من المأزق الحالي الذي يعاني منه أصحاب المقاومة وأصحاب السياسة.

يثير الحراك الفلسطيني الجديد القديم تساؤلات هامة ومعقّدة، أولها أن الرئيس محمود عباس وحركة فتح لم يوافقا على المبادرة الفصائلية، وكافة الاتفاقات السابقة التي أدرجتها المبادرة الفصائلية الجديدة التي صدرت بموافقة الفصائل دون استثناء منذ سنوات طويلة، ولم يتم تنفيذها أو التعامل معها. وثانيها أن ما عرضه الرئيس أبومازن من على منصة الأمم المتحدة في نيويورك أخيرا مبادرة جديدة ومتعارضة وتقصد إنهاء السيطرة الفصائلية غير الشرعية، بما فيها حركة فتح. وهناك اليوم مبادرتان فلسطينيتان مطروحتان في يوم واحد.

المبادرات الجادة لا تتم باستحلاب تجارب فاشلة وتشابك الأيادي بعلامات النصر أمام كاميرات المراسلين، إنما تنجح بترافقها مع برنامج يقود لاصطفاف جماعي

جدية المبادرات الفصائلية تتأتى من خلال القواعد الموضوعة للإسقاط الفوري للولاية غير الشرعية التي تتمسك بها الفصائل لحكم الشعب الذي لم ينتخبها ولم يخترها. وتسليم السلطة مؤقتاً لمجموعة وطنية محترمة ومؤهلة، من خارج الفصائل الحالية، لوضع خطة طريق للتوصل لانتخابات رئاسية وتشريعية فيها مرشحون حزبيون، تتولى الحكم نتيجة لانتخابات نزيهة.

الشعب الفلسطيني والعالم يدركان أن أي اقتراحات ومبادرات لا تؤمّن حق المواطنين في اختيار قياداتهم هي مجرد استنزاف للجهد ورفض للشرعية الوطنية.

المبادرات الجادة لا تتم باستحلاب تجارب فاشلة وتشابك الأيادي بعلامات النصر أمام كاميرات المراسلين، إنما تنجح بترافقها مع برنامج سياسي واجتماعي يقود المواطنين والأحزاب والفصائل لاصطفاف جماعي تجاه التحديات والعقبات التي تواجه الشعب الفلسطيني، وعلى ماذا سيتفق الفلسطينيون، على مشروع دولة أم مشروع ثورة؟

السؤال المطروح المهمل هو: لماذا تقودنا فصائل ذات امتدادات عسكرية ينضوي تحتها شباب ولا أشجع، بينما قياداتها الأكبر منهمكة في التوصل لاتفاقات سلام وتهدئة مع العدو الرابض على أرضنا؟ وكيف نشغل أنفسنا بمواجهات عسكرية بينما نحن وسط محيط من دول مشغولة بالدفاع عن وجودها وكيانها نتيجة لأخطار، إسرائيل ليست منها؟

لقد أعطينا العالم دروساً مخضّبة بالدم، وصموداً عجز عنه الصخر في حب بلادنا والتمسك بحقنا، لكن ذلك كان في وقت توفر فيه الأمل بالنصر، وقد كان.

عندما أجبرتنا العصابات الصهيونية في عام 1948 على النزوح من بلادنا، نتيجة للجرائم والمذابح والمؤامرة الدولية، بقي جزء من شعبنا صامداً على أرضه. كانوا أقل من مائة ألف فلسطيني في الأراضي التي احتلتها إسرائيل آنذاك، ثم احتلت بعد سنوات كل فلسطين، ثم استرد الفلسطينيون في وقت لاحق جزءا عزيزا من أرضهم. وفي ذلك الجزء يقيم اليوم أكبر تجمّع للفلسطينيين في العالم، أكثر من اللاجئين الفلسطينيين في مجموع أنحاء الأرض. ماذا يعني ذلك وماذا يفرض على عملنا السياسي والمقاوم؟

ليس هناك خطر من احتلال إسرائيل لقطاع غزة أو أجزاء منه، لأن ذلك ليس في برنامجها التوسعي. لكن الدفاع عن غزة واجب مقدّس على الفلسطينيين، كما أي جزء من أرضنا. والدفاع عن مكمن التطلّع الاستيطاني في الضفة الغربية والقدس واجب يتحتم أن يكون على أولويات العمل السياسي والمجتمعي والمقاومة، لكنه يحمل في طياته الخطر ويتطلب الحذر. الدفاع عن الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية يجب أن يعتمد على ركيزتين أساسيتين، الأولى هي المقاومة بالتصدي الجماهيري السلمي وإجبار الإسرائيليين على الظهور لشعوب وحكومات العالم على حقيقتهم وإجرامهم تجاه شعبنا، والثانية هي اصطفاف حكومات وشعوب العالم لإدانة ورفض الاستيطان ومصادرة الأراضي وتهويد القدس.

لقد أبهر شعبنا العالم بتضحياته للعودة إلى أرضه، بأي صورة ووسيلة. لكن هذا النجاح قد يتعرّض للفشل اليوم نتيجة لأعمالنا التي تنتهزها إسرائيل.

يشهد شعبنا اليوم موجة جديدة للتحرك. موجة تغادر معها فئة من الشباب بلادها وأرضها وشعبها بشكل يحتّم القلق. قد يغادر الشباب رهاناً على المجهول الذي يبدو لهم أكثر أماناً. وقد يكون انعدام فرص العمل أو التطلع للأفضل خارج الوطن أو اليأس من انفراج الغمّة سبباً لذلك. لكن الواقع يضيف أيضاً ويشير إلى مسؤولية القائمين علينا. المتعصّبون لآرائهم وقناعاتهم، والكاتمون للأفواه والأقلام، والمتمسكون بالسلطة والمراتب.

لقد حان الوقت لاحترام حق الشعب الفلسطيني في اختيار ممثليه وليس الخضوع لفصائل تدعي حقها في القيادة استناداً لما لديها من جنود وسجون.

هل نحن في مرحلة تمتين الثورة أم في مرحلة تطوير الدولة؟

مشروع الدولة يتطلب جهاداً مختلفاً. جهاد يحافظ على أرواح الشباب والفتيات، ويحمي البيوت والحقول والأماكن المقدسة. إن الأرض التي تم استردادها هي جزء عزيز ورويت بدماء عزيزة علينا، ولا تستحق أن نفقدها بطعنة أو طلقة يدفعها الظلم والعذاب الذي يتعرّض له الأطفال والشباب وعامة الشعب، وعلينا أن ندعم صمودنا، ونمتّن تحالفاتنا مع أصدقائنا في العالم.

إن الذي أوقف أحلام نتنياهو بضم الغور والمستوطنات لم يكن قوتنا العسكرية بل موقف دول العالم التي تسابق في الرفض والإدانة والشجب. مبدأ المقاومة والدفاع عن الحق والأرض قائم وثابت ما دام هناك ظلم وقهر ومستوطنات واستيلاء على الأراضي وتهويد للقدس، هذا حق لا يسقطه اتفاق أو استعلاء.

يتطلب مشروع الثورة الذي يتم تحاشيه باتفاقات أو تهدئة، الاستعداد لحرب ضروس، وتركيزا على الجهاد على الأرض الفلسطينية. ليس هناك أرض أخرى حولنا أو بجوارنا تسمح بالتواجد عليها، لن يكون هناك في رام الله أو غزة أو أي مدينة أو قرية مكان بعد نفخ بوق الحرب لرؤساء ولا لوزراء ولا لسفراء، ولا مواكب لسيارات فارهة تتجول حيث يكمن الخوف والقهر والفقر في الشوارع، ولا أموال تتدفق عند الرضا وعلى من رضي من بنوك أو حقائب.

مطلوب مبادرات تصيب مرمى الهدف

واشنطن ترفض شرعنة الدور الروسي في سوريا دون حلّ سياسي

رانيا مصطفى

تسابق موسكو الزمن في تنفيذ استراتيجيتها في سوريا، لفرض نظام الأسد، كأمر واقع، رغم أنه لا يسيطر إلا على 60 بالمئة من الأراضي السورية، وذلك عبر ابتسار مقررات جنيف1، والقرار الأممي 2254، بإصلاحات دستورية، تعيد إنتاج النظام، بمشاركة صورية من المعارضة، وبالتنسيق مع أنقرة، مستغلة رفضها للأجندات الانفصالية الكردية شرق الفرات، وبعد أن حشرتها في زاوية ضيقة من ملف إدلب، بين مطرقة القبول بالشروط الروسية بفتح الطرق الدولية، وإنهاء ملف تحرير الشام وبقية الجهاديين، وسندان عودة الهجوم العنيف وقضم مناطق المعارضة والتسبب بأزمة نزوح تفوق احتمال تركيا.

الأزمة السورية تسببت بتوترات أميركية مع الحليف التركي، ما أدى إلى تقاربه مع روسيا، عبر تحالفات أستانة واتفاقات خفض التصعيد والمصالحة وصولا إلى إتمام صفقة أس- 400، والتلويح بإمكانية شراء طائرات السوخوي الروسية

في نفس توقيت الإعلان عن تشكيل لجنة دستورية، وفق وصفة مؤتمر سوتشي الروسي لـ"الحوار الوطني" المنعقد في مطلع 2018، صدرت ردود أفعال أميركية رافضة للخطوة الروسية، وإن كانت برعاية أممية؛ فقد أكد مايك بومبيو، وزير الخارجية الأميركي، أن نظام الأسد مسؤول عن ارتكاب المجازر، وأنه استخدم غاز الكلورين في 9 مايو في هجوم على إدلب، وهو "تحت الأضواء" لاستخدامه الأسلحة الكيميائية، ويعتمد على شبكات دعم غير مشروعة للبقاء في السلطة، وأن الولايات المتحدة ستواصل الضغط على "النظام الخبيث"، خاصة بسبب العلاقات التي تربطه بالنظام الإيراني. هذا عدا ملف العقوبات على النظام السوري، والتي تنتظر توقيع الرئيس ترامب، وأهمها "قانون سيزار" و"قانون محاسبة الأسد".

وفي التوقيت نفسه، أعلنت وزارة الخزانة الأميركية عن عقوبات على ثلاثة أفراد وخمس سفن شحن وشركة وهمية مقرها موسكو، شاركت في نقل الأموال والوقود إلى القوات الروسية التي تدعم نظام الأسد.

ومنذ أيام، أصدر "معهد السلام الأميركي"، عبر المجموعة الخاصة بسوريا، وبطلب من الكونغرس، توصيات حول السياسة الأميركية في سوريا، تصوب الاستراتيجية الأميركية المترنحة بين الانسحاب من سوريا والشرق الأوسط وضرورة حماية المصالح الأميركية.

حيث وجد التقرير أن الانسحاب دون تحقيق انتقال سياسي سيقوّي عودة داعش في سوريا والعراق، ويوسّع النفوذ الإيراني إلى شرق الفرات، ويساهم في فتح ممر إيراني عبر العراق وسوريا إلى لبنان.

وجدت الولايات المتحدة نفسها في مأزق متعدد الجوانب حيال دورها الممكن في تغيير مجرى الصراع في سوريا باتجاه حل يحقق مصالحها ومصالح حلفائها في المنطقة.

فأولاً؛ كانت واشنطن تخشى من انتقال فوضى الاحتجاجات والحرب المرافقة لها إلى دول الجوار، بحيث تصعب السيطرة عليها، وهي تريد حماية مصالحها في العراق، ومصالح حلفائها في الخليج العربي، ومصلحة إسرائيل وأمنها.

وثانياً؛ تعوّل واشنطن على قوات سوريا الديمقراطية لمحاربة داعش ومنع عودتها، وبالتالي هي مضطرة لإبقاء التحالف معها، حتى التوصل إلى حل سياسي. والمشكلة أن قوات سوريا الديمقراطية وعبر مجلسها المدني، عجزت عن فرض نفسها كقوة صالحة للحكم، وما زالت حدة التوترات تتصاعد مع القبائل العربية، نتيجة سياسات التمييز والانتهاكات التي تقوم بها الوحدات الكردية في مناطق سيطرتها.

ثالثاً؛ الأزمة السورية تسببت بتوترات عميقة مع الحليف التركي، ما أدى إلى تقاربه مع روسيا، عبر تحالفات أستانة، واتفاقات خفض التصعيد والمصالحة، وصولاً إلى إتمام صفقة أس- 400، والتلويح بإمكانية شراء طائرات السوخوي الروسية. في حين فشلت المحاولات الأميركية لإقناع تركيا بآلية أمنية بدلاً من المنطقة الآمنة العريضة التي تريد أنقرة خلوها من وحدات الحماية الكردية وسلاحها، وأن تكون تحت سيطرتها.

وتعيق الولايات المتحدة المضي بمنطقة آمنة، ترضي الأتراك بعد فشلهم في إدارة مناطق "عفرين" و"درع الفرات"، واستمرار انتهاكات الفصائل المرتبطة بها بحق السكان، وعدم تقديم سياسة تنموية تحقق الاستقرار.

إضافة إلى استمرار الحشد التركي على الحدود السورية، والتهديدات بشن هجوم على شرق الفرات، الأمر الذي يدفع الولايات المتحدة إلى المزيد من الدعم المالي والتسليح لقوات سوريا الديمقراطية لردع التدخل التركي، ما يعني المزيد من الانهماك الأميركي في الملف السوري، الأمر الذي سيؤثر أكثر على العلاقات الأميركية التركية خارج سوريا، خاصة شراكتهما في حلف شمال الأطلسي، واتفاقيات الدفاع المشترك، التي تتعرض لهزّات كبيرة، مع استمرار حصول أنقرة على منظومات ردع روسية.

رابعاً؛ التوغل الإيراني، العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي، في سوريا، والذي يبدو للولايات المتحدة أن المنافسة الروسية – الإيرانية ضمن دوائر النظام لم تصل إلى درجة حسم موسكو موقفها باتجاه منع التوغل الإيراني، ويبدو أنه ورقة بيد روسيا للضغط على أميركا لتقديم التنازلات في ما يتعلق بالموقف من النظام وسحب العقوبات وعودة العلاقات الدولية والإقليمية معه.

خامساً؛ تواجد فصائل تابعة لتنظيم القاعدة في سوريا، وترك حسمها رهناً للتوافقات التركية الروسية، ما يزيد فرصة تناميها، خاصة أن هيئة تحرير الشام – جبهة النصرة المسيطرة على إدلب، والتي شكلت حكومة إنقاذ تابعة لها، تضمّ في صفوفها جهاديين أجانب، ولم تتخلّ عن الفكر الجهادي. وقد قام التحالف بضرب مقر لتنظيم حراس الدين في إدلب، في رسالة عن نية للتدخل وإنهاء هذه التنظيمات، قبل أن تتحول المنطقة إلى أفغانستان جديدة.

تواجه واشنطن طهرانَ في سوريا عبر دعمها للضربات الإسرائيلية التي تحدّ من تجذّر القواعد والمقرات العسكرية لإيران وحلفائها في سوريا، وعبر استمرارها بسياسة العقوبات على نظام الأسد وإيران ومن يدعمهما. لكن هذا غير كافٍ لردع إيران، كما أن الصراع ينبئ بإمكانية اندلاع حرب إيرانية – إسرائيلية في الجولان لا تريدها واشنطن.

رغم تخبط الاستراتيجية الأميركية في سوريا، بين الانسحاب والمخاوف من فقدان السيطرة على المنطقة، ومن انتقال التوتر إلى بلدان أخرى، تبدو الولايات المتحدة غير مستعجلة على فرض حلّ سياسي وفق مقررات جنيف1، وهي ما زالت تنتهج سياسة وضع العصي في عجلة المحاولات الروسية لتمرير ملفات تتعلق بعودة الاعتراف بالنظام والتطبيع معه، خاصة في ما يتعلق بتمويل إعادة الإعمار. فيما تشكل المساعي الإسرائيلية للتقريب بين الروس والأميركيين باتجاه حل وسط، بطرد الميليشيات الإيرانية، والقبول بإعادة الإعمار وعودة اللاجئين في ظل نظام الأسد، بوابة لحل يحقق المصالح الإسرائيلية بإبعاد ميليشيات إيران عن حدودها مع سوريا ولبنان أولاً، وتقليص الدور التركي في سوريا، غير المحبب لإسرائيل.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

الاحتجاجات في مصر تنعكس حرب أنباء كاذبة حامية الوطيس

● نشر مستخدمون لموقع فيسبوك صورة مفبركة يظهر فيها السيسي وهو يسير متقدما على رئيسي الصين شي جين بينغ وروسيا فلاديمير بوتين، في حين أن الرئيس المصري يظهر في الصورة الأصلية، التي التقطت عند افتتاح "منتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي"، في الطرف الأيمن إلى جانب الرئيسين وليس أمامهما.

بيروت - قابلت الهدوء، الذي تعاملت به السلطات المصرية مع الاحتجاجات التي شهدتها شوارع القاهرة وبعض المدن المصرية، معركة أنباء كاذبة حامية الوطيس بين المعسكرين المؤيد للنظام والمعارض له، على وقع صور مركّبة ومقاطع فيديو ملفقة تدعم فريقا ضد الآخر. واشتدت الحماسة في هذه الحرب بدخول وسائل إعلام خارجية على خط التّحمية.

وشهدت مصر الجمعة 20 سبتمبر تظاهرات محدودة في مناطق مختلفة سرعان ما تم تفريقها، ثم تجددت بحجم أقل الجمعة الماضي في عدد من المناطق وقابلها تجمع للآلاف من أنصار الرئيس في القاهرة لاستقباله وهو عائد من نيويورك.

ومع الاصطفافات الإقليمية، تتخذ بعض هذه الأنباء الكاذبة أبعادا خارج مصر، لاسيما ما نشره المغني المصري الشهير محمد رمضان ونسبه إلى نشرة أخبار قناة "الجزيرة" القطرية مدعيا أنه كاذب. وتداول المنشور الآلاف من المستخدمين والصفحات المؤيدة للسيسي على مواقع التواصل.

وينقل الفيديو الذي نشره رمضان في 22 سبتمبر 2019 على حسابيه على فيسبوك وتويتر، مقطعا من نشرة أخبار "الجزيرة" عن تظاهرات مصر، تليه مشاهد يظهر فيها جمع من الأشخاص يصورون بواسطة هواتفهم، فيما تسمع هتافات ضد السيسي.

> طغت على تغطية الاحتجاجات في مصر معركة أنباء كاذبة بين المعسكرين المؤيد للنظام والمعارض له، على وقع صور مركبة ومقاطع فيديو ملفقة تدعم فريقا ضد الآخر

وبعد ذلك، يردُ شريط مكتوب في أسفل المقطع، يؤكد أن المشاهد المنقولة مركّبة وتعود إلى ما قبل تظاهرات مصر، وهي تصوّر جمهور المغني ذي الشعبية الواسعة في مصر. ويلي ذلك الفيديو الأصلي وهو خال من الهتافات ويظهر في أوله محمد رمضان.

وكتب المغني معلّقا على المنشور "عتابي على قناة الجزيرة عرض فيديوهات قديمة لجمهوري على أنها مظاهرات في مصر". وردّت "الجزيرة" ناشرة الأصلي من نشرة أخبارها، وهو لا يتضمن المشاهد المنسوبة إليها، بل يواصل المذيع تقريره فيتحدث عن تظاهرات في محافظة سيناء.

زاد من حرارة الجدل التفاعل على مواقع التواصل الاجتماعي. ونشر مصور نال أكثر من 14 ألف مشاركة على مواقع التواصل، على أنه مسرب من طائرة السيسي، في حين أنه في الحقيقة مقطع دعائي لشركة أميركية لتجهيز الطائرات.

وعثر فريق تقصي صحّة الأخبار في وكالة فرانس برس من خلال البحث بواسطة كلمات مفتاح تتضمن اسم الشركة، على نفس المنشور وجزء منه على أنه للطائرة الرئاسية المصرية، وهو في الواقع مقطع دعائي للشركة نشر في ديسمبر 2018.

في سياق تضارب الصور، نشر مستخدمون لموقع فيسبوك صورة يظهر فيها السيسي وهو يسير متقدما على رئيسي الصين شي جين بينغ وروسيا فلاديمير بوتين، معلقين عليها "رؤساء أكبر وأعظم دولتين في العالم.. ماشين وراك يا سيسي"، وقد حصدت الصورة الآلاف من المشاركات على عدة صفحات.

لكن البحث عن الصورة عبر محرك "Yandex" أرشد إلى الصورة نفسها، ويظهر فيها السيسي في الطرف الأيمن إلى جانب الرئيسين وليس أمامهما. والتقطت الصور الواردة على موقع وكالة "يو.بي.أي" الأميركية للأنباء، بحسب الوصف المرافق لها، عند افتتاح "منتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي" الثاني في بكين في 26 أبريل 2019 بمشاركة رؤساء دول وشركات ومنظمات من العالم لبحث هذه المبادرة الصينية الضخمة لمشاريع البنى التحتية في العالم.

وفي المقابل، تداول المئات من المستخدمين على مواقع التواصل تظاهرة ضخمة على أنها جرت في ميدان التحرير بوسط القاهرة مساء السبت 21 سبتمبر 2019 للمطالبة برحيل السيسي، ولو أن اللافتات المرفوعة فيها تحمل صورا للسيسي، ما يشير إلى أن التظاهرة مؤيدة له.

وعثر فريق تقصي صحة الأخبار على الصورة نفسها منشورة في مواقع إخبارية مصرية مرفقة بتاريخ 28 يناير 2015، ما يثبت أنها استخدمت مؤخرا بشكل مضلل.

وتحركت الاحتجاجات الأخيرة في مصر استجابة لمقاطع فيديو نشرها المقاول المصري محمد علي على فيسبوك من مقر إقامته بإسبانيا، واتهم فيها السيسي وبعض قيادات الجيش بالفساد.

الوضع «يستاهل» يا سيادة الرئيس

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

الدعوات إلى التظاهر لا تقلق الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، ولا نعلم إن كان هذا مجرد كلام أريد منه بث الطمأنينة في قلوب المصريين، أم حقيقة يؤمن بها السيسي، الذي أكد أن "الوضع مش مستاهل خالص".

وحسب الرئيس المصري، فإن الإسلام السياسي هو المسؤول عن الاضطرابات التي حدثت وتحدث في المنطقة. الاتهام وإن كان صحيحا إلا أنه يخفي حقيقة يجري تجاهلها دائما.

دعونا نطرح بعض الأسئلة: متى ظهر الإسلام السياسي؟ وفي أي مكان كان ظهوره الأول؟ وما هي العوامل التي أدت إلى ظهوره، ومن ثم تحوله إلى ظاهرة إرهابية مقلقة، للمنطقة ولدول العالم أجمع؟

الإسلام السياسي بدلالاته الحالية، ظهر إثر انهيار الدولة العثمانية، بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، وقيام كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة الإسلامية، يوم 3 مارس عام 1924، ملغيا الاعتماد على الشريعة الإسلامية في المؤسسات التشريعية.

هذا يجيب على متى، أما لماذا، فإن الإجابات عليها عديدة، هناك الكثير من المفكرين الذين يربطون بين ظهور الإسلام السياسي بالمستوى الاقتصادي المتدني لمعظم دول العالم الإسلامي، وكان هذا سببا لانتشار الأفكار الاشتراكية مع بداية الأربعينات، بتأثير من الاتحاد السوفييتي، حيث جرت عملية تسويق لتلك الأفكار على أنها الحل الأمثل للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية. إلا أن فشل الأنظمة التي تبنت الاشتراكية وطبقت التأميم، سوريا ومصر والجزائر وليبيا نموذجا على ذلك، فتح المجال أمام الإسلاميين لطرح الإسلام بديلا، تحت شعار "الإسلام هو الحل".

تزامنت هذه التغيرات مع نشوء الحركة القومية العربية، بتأثير من القوميين العرب، وجمال عبدالناصر، وحزب البعث العربي الاشتراكي. لم تدم تجربة القومية طويلا، لتنتهي إلى الفشل. وتبعها الإطاحة بشاه إيران وإعلان الجمهورية الإسلامية، والتدخل السوفييتي في أفغانستان، وصعود ضياء الحق إلى السلطة في باكستان، وحرب الخليج الثانية.

تلك عوامل، مجتمعة، ساهمت بما سمي "صحوة" الإسلام السياسي، خلال فترة الثمانينات والتسعينات، لتأخذ تلك الصحوة طابعا عنيفا في الجزائر وسوريا وفلسطين والسودان ونيجيريا، وكانت الطامة الكبرى صعود حركة طالبان إلى الحكم في أفغانستان، وظهور تنظيم القاعدة بزعامة، أسامة بن لادن، ليبدأ فصل طويل من استخدام العنف باسم الإسلام، وكانت أحداث 11 سبتمبر 2001 المنعرج الحاسم في إعلان الحرب على ما سمي بالإرهاب، الذي ارتبط غالبا بالإسلام السياسي.

وكان لصعود حزب "العدالة والتنمية" للحكم في تركيا بقيادة رجب طيب أردوغان كبير الأثر على تنظيمات الإسلام السياسي.

> المنطقة ستظل مهددة بمد الإسلام السياسي طالما، بقيت دولها فاشلة، خاصة على الصعيد الاقتصادي، وعاجزة عن حل مشكلة الفقر والجوع والبطالة وتأمين الرعاية الصحية والاجتماعية، للجميع دون استثناء

باختصار، فشل الأنظمة في الدول الإسلامية، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وغرور قادتها، الذين أحاطوا أنفسهم بجوقات إعلامية "غلطتهم" وحولتهم إلى أشباه آلهة، هو التربة التي أنبتت الإسلام السياسي.

الآن يمكننا أن نجيب على سؤال لغز، من جاء قبل الآخر البيضة أم الدجاجة؟ الفشل أم الإسلام السياسي؟ عندما كانت الدولة الإسلامية في أوج ازدهارها وكان الإسلام في أوجه، لم يكن هناك إسلام سياسي، وعندما انهارت الدولة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى وأصبحت أمة الإسلام فاشلة، ظهر الإسلام السياسي.

السيسي، اعتبر في حديث له مع الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، أن المنطقة ستظل في حالة عدم استقرار، طالما مازال هناك إسلام سياسي يسعى للسلطة.

ترامب، قد لا يرى المشكلة من نفس الزاوية التي ينظر منها السيسي لأزمات المنطقة. كان الأجدر بالرئيس المصري أن يقول إن المنطقة ستظل مهددة بمد الإسلام السياسي طالما، بقيت دولها فاشلة، خاصة على الصعيد الاقتصادي، وعاجزة عن حل مشكلة الفقر والجوع والبطالة وتأمين الرعاية الصحية والاجتماعية، للجميع دون استثناء، والقضاء على مشكلة الفساد والرشوة، في القطاع العام والخاص.

طالما لم تنجح الدول في تقديم الحلول لتلك المشاكل، سيكون هناك ألف سبب للقلق، وسيكون الأمر "مستاهل تماما". لكن عندما يتحقق النجاح وتقدم الحلول، لن تكون هناك مبررات لصعود حركات الإسلام السياسي، عندها فقط سيبقى الإسلام ويغيب السياسي.

مصر تتخلى عن حذرها في الردّ على تركيا

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

لن تكون الانتقادات القاسية التي وجهتها القاهرة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان استثناء في طريقة التعامل الجديدة مع أنقرة، طالما استمر في نشر الشائعات والتحريض عليها. فقد حمل بيان وزارة الخارجية المصرية مساء الثلاثاء الماضي، ردا عنيفا على ادعاءات أردوغان أمام الأمم المتحدة حول وفاة الرئيس الإخواني محمد مرسي، وبصورة لم تعهدها دبلوماسية اعتادت الهدوء، لأن الرجل تجاوز كل حدود اللياقة والمنطق، وصمّم على الاستماع لصوته فقط. وذكرت القاهرة في رسالتها نقاطا جوهرية تمثل الدليل على عبثية حديث أردوغان عن العدالة أمام العالم.

تعبّر اللغة الجديدة التي استخدمتها القاهرة مع أردوغان، عن غضب وضجر واسعين من تصرفاته. وتؤكد أن سياسة ضبط النفس التي التزمت بها القاهرة، أملا في أن يعود الرئيس التركي إلى الصواب ويكف عن التدخل في الشؤون الداخلية، لم تعد مجدية.

وهذه من المرات النادرة التي تردّ فيها جهة رسمية بحدة وقسوة معا في السنوات الأخيرة على تصريحات لأردوغان أو غيره، وصلت فيها درجة اتهامه صراحة بالإرهاب والإشارة إلى جرائم حرب ارتكبها في حق شعبه ودولة مجاورة، هي سوريا.

اتسمت إدارة ملف السياسة الخارجية في مصر عموما بتجنب التصعيد، وفتح الأبواب والنوافذ مع دول عديدة، في سياق رغبة في الانخراط أولا في هموم الداخل وحل أزمات متراكمة قبل الشروع في الاشتباك مع أي من القوى الإقليمية.

لكن في حالة أنقرة تشابكت أزمات الداخل مع الخارج، لأن الرئيس التركي بات واحدا ممن يسخّرون تصوراتهم الشخصية وأفكارهم العقائدية في إدارة العلاقات بين الدول، وهو ما ظهرت تجلياته مع مصر التي قررت التخلي عن سياسة رد الفعل بعد أن لازمتها فترة طويلة، والتوجه نحو الهجوم كخير وسيلة للدفاع.

وجهت بعثة مصر لدى الأمم المتحدة في نيويورك الأربعاء، خطابا رسميا إلى الجمعية العامة للتحقيق في ادعاءات وفاة محمد مرسي. وهي أول ضربة دولية تريد تفريغ كلام أردوغان من معانيه. وقد تتلوها ضربات أخرى في ملف الأزمة الليبية، حيث تؤكد تفاصيل كثيرة تورط أنقرة في دعم ميليشيات ومتطرفين وإرهابيين ومرتزقة يعرقلون التسوية السياسية.

وهناك الكثير من الأدلة الدامغة التي تثبت تورط أنقرة، والتي سيتم تفعيلها في الفترة المقبلة، بآليات متباينة ربما لا تترك أمامها منفذا للهروب منها.

ولعل دخول مفوضية الأمن والسلم التابعة للاتحاد الأفريقي، وترأس مصر الدورة الحالية للاتحاد، على خط الأزمة الليبية من بين الأوراق التي ستقوم القاهرة بتفعيل دورها قريبا، وتتصدى للدول التي ساهمت خروقاتها في استمرار تعثر عملية التسوية السياسية، وفي مقدمتها تركيا، التي وجدت في إجراءات البعثة الأممية إلى ليبيا ملاذا لمواصلة اعتداءاتها.

لدى مصر معلومات كثيرة حول طبيعة العلاقة التي تربط قيادات إسلامية ليبية تقيم في إسطنبول، وصفقات تم عقدها سرّا مع شخصيات نافذة في حزب العدالة والتنمية الحاكم، وحجم رؤوس الأموال النشطة والخاملة في البنوك التركية، والتي ورثتها حكومة الوفاق من العهد السابق، والكثير من العناصر الإرهابية التي نقلت من الأراضي السورية، ومنها إلى تركيا ثم إلى الأراضي الليبية. وبعضها أسماء موضوعة على لوائح إرهاب دولية، إذا تم الإفصاح عنها وتقديمها إلى الأمم المتحدة سوف يجد الرئيس أردوغان نفسه في مأزق بالغ الحساسية، ويضاعف من خسائره في الصراعات التي قرر الانخراط فيها.

فشلت تصورات القاهرة بشأن إمكانية تراجع أردوغان عن غيّه، وأخفقت إشارات اقتصادية متنوعة حول عدم المساس بمشروعات تركية بمصر في أن تفرض عليه التعقل، وتعامل مع التريث والحذر على أنهما ضعف، ما جعله يتمادى في التصعيد على أكثر من جبهة.

تيقّنت القاهرة أن أردوغان لن يتخلى عن سياسته رغم ما يتكبده من خسائر، لأنها جزء من مشروعه، وإذا تخلى عنها قد ينهار حكمه، في وقت يعاني فيه من تفسخ داخل حزبه، وعراقيل خارجه، وربما تستثمر هذه اللحظة لتوجيه المزيد من اللكمات السياسية، بما يشتت انتباهه، ويردعه عن التركيز في استهداف النظام المصري.

سجلت القاهرة عددا من الأهداف في مرمى تركيا بشأن غاز شرق البحر المتوسط، ونجحت في تطوير علاقاتها مع دول رئيسية في المنطقة ومن خارجها، لها علاقة بملف الغاز، بشكل أدى إلى تضييق الهامش السياسي أمام أنقرة، وجعلها تلوّح باللجوء إلى خيارات عسكرية لتحقيق أغراضها. الأمر الذي كبحته قوى دولية لها مصالح حيوية في شرق المتوسط. وفرض على أنقرة عدم التوقف عن التدخلات السافرة في بعض الملفات الإقليمية، جريا وراء مساومة هنا أو هناك تقلل مما تتكبده من خسائر سياسية واقتصادية.

> السياسة المصرية إذا واصلت ربط تحركاتها بمدى ما يقع عليها من أضرار ستظل تدور في حلقة مفرغة، لأنها تمنح الخصوم فرصة المبادرة وتوجيه الدفة نحو الأهداف التي يريدونها، وهو ما بدأت تنتبه إليه جيدا

يأتي القصف السياسي ضد تركيا من خلال دوائر عديدة، في سياق أشمل يتعلق بتوجهات ترى أن مصر بلغت مرحلة جيدة من النضج في مجال الاستقرار يمكنها من الإمساك بزمام المبادرة والاقتراب من بعض الملفات الإقليمية التي مرجح أن تشهد تحولات مصيرية في الفترة المقبلة، سوف تؤثر تداعياتها على البلاد، إذا استمر العزوف عن المشاركة بفاعلية في قضايا مهمة، أو واصلت التحرك على جبهات عدة، بعضها وصل حد التناقض، أو حافظت على ترددها في عدم حسم مواقفها من الملفات. وقد تكون كمن يريد أن يربح كل شيء، فيخسر كل شيء، لأن هذه السياسة أصبحت مزعجة لدول تعول على مصر أن تكون حليفا استراتيجيا قويا لها.

الحاصل أن القاهرة مالت كثيرا نحو سياسة الخطوط المتوازية والمعادلات المتوازنة، لكنها يمكن أن تتخلى عن حذرها المعهود عندما يرتبط الأمر بوقوع أضرار مباشرة عليها، فهي تحركت بقوة لمواجهة تركيا بعد أن بدأت ممارسات الأخيرة وشائعاتها المتباينة تجد أصداء إيجابية لدى البعض، وأبدت ملاحظات على أداء إثيوبيا أمام الأمم المتحدة في ملف سد النهضة عقب تيقّنها من أن أديس أبابا لا تحرص تماما على التفاهم سريعا مع القاهرة.

وإذا واصلت السياسة المصرية ربط تحركاتها بمدى ما يقع عليها من أضرار ستظل تدور في حلقة مفرغة، لأنها تمنح الخصوم فرصة المبادرة وتوجيه الدفة نحو الأهداف التي يريدونها. وهو ما بدأت تنتبه إليه جيدا، بعد أن تكبّدت خسائر كبيرة جراء التمسك بحذر مبالغ فيه، وتريث أوحى بالضعف، وتعيد ترتيب أوراقها بما يسمح باستخدام سلاح المبادأة مع دولة مثل تركيا، ربما تضطرها إلى التفكير ألف مرة قبل أن تقدم على تصرّف يمس مصالح مصر.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

أعداد نادرة من مجلة الدعوة تفضح المستور من سياسة الإخوان

مقالات تندد بتظاهر النساء ضد المستعمر وتشوّه الأحزاب وتنتقد سينما الخمسينات «الخليعة»

التاريخ لا يرحم

يفشل الإخوان في كل مرة يحاولون فيها إظهار أنفسهم بمظهر الديمقراطية والحداثية التي لا تتعارض مع الأيديولوجيا. وذلك أن جوهرهم بني على الأفكار المضادة لذلك والتي لا تنفع في إخفائها أي محاولة تجميلية. فالطبع يغلب التطبع عندهم، وحتى بعد أكثر 90 سنة من تأسيس جماعة الإخوان، ورغم ما مرت به من متغيرات، تبقى الأفكار التي نقلها المؤسسون وتلاميذهم، حاضرة بقوة رغم انتهاء تاريخ صلاحيتها.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

القاهرة - في القاهرة، ثمة سوق شهير لبيع الكتب القديمة بمنطقة السيدة زينب، يشهد كل فترة عروضا لوثائق وكتب وإصدارات نادرة. من بين المعروضات التي وقعت بين أيدينا مجلد ضخم يضم 63 عددا من مجلة "الدعوة" الأسبوعية الصادرة عن جماعة الإخوان برئاسة تحرير صالح عشماوي مسلسلة من العدد 3 حتى العدد 65 خلال الفترة من 20 فبراير 1951 إلى 13 مايو سنة 1952.

ظلت هذه المجلة تصدر حتى الصدام الحاصل بين الرئيس المصري جمال عبدالناصر وجماعة الإخوان سنة 1954. واختفت بعد ذلك معظم أعدادها، التي تعتبر من المراجع الهامة التي تؤرخ لبداية الجماعة وأفكارها وتوجهاتها. وتكمن أهميتها في أن كتاباتها أكثر وضوحا وصراحة، لذلك فالحصول على أي من أعدادها اليوم يعتبر مفتاحا للكثير من الأسرار التي تحاول الجماعة القفز عليها ومواقف تنكرت لها ومبادئ تتعامل معها بأسلوب التقية في قضايا مثل المرأة والأقباط والديمقراطية.

تضمنت الأعداد التي اطلعت عليها مقالات لكتاب ومنظرين وكوادر معروفين بانتمائهم وصلاتهم مع الجماعة، في مقدمتهم سيد قطب، صالح عشماوي، محمد الغزالي، عبدالقادر عودة، عبدالعزيز كامل، عبدالمنعم النمر، سيد سابق، أحمد عادل كامل، أحمد الملط، وعبدالحكيم عابدين.

احتكار الإيمان

تبرز المقالات خلطا واضحا بين الإخوان وبين المؤمنين، ويتحدث كتّابها عن التيارات السياسية الأخرى باعتبارها تسير على منهج غير منهج الله. وينزلون الإخوان في منزلة الصحابة. وكلما ورد ذكر حسن البنا جاء الاسم مصحوبا بـ"الإمام الشهيد رضي الله عنه".

من ثوابت المجلة الافتتاحية بقلم صالح عشماوي، رئيس التحرير، ويليها في الصفحة الثانية مقال لسيد قطب، وفي الصفحة الثالثة مقال من مقالات حسن البنا، وإلى جواره صورته ولقب "الشهيد".

واغتيل البنا في فبراير 1949 ردا على اغتيال الجماعة لرئيس الحكومة المصرية وقتها محمود فهمي النقراشي. ومن الأبواب الثابتة: العالم الإسلامي، أخبار المجتمع، قضية، الأسرة، قصص ديني، فضلا عن أخبار الجماعة ونشاط المرشد العام. ويعكس المضمون حالة عداء شديد تجاه كافة الأحزاب السياسية، وعلى رأسها حزب الوفد الذي كان يمثل الأغلبية وقتها.

ونقرأ في العدد الرابع مثلا بتاريخ 20 فبراير 1951 لعمر التلمساني المحامي، الذي تولى في ما بعد منصب مرشد الجماعة، أن "حكومة الوفد من يوم أن وليت الحكم حنثت بعهودها وعادت إلى سابق عهدها من محسوبيات واستغلال نفوذ أمر ليس بالجديد عليها".

في العدد نفسه يطل رسم كاريكاتوري يسخر من زعيم الوفد مصطفى النحاس ويرسمه وهو مُنحن وبيده بندقية لا يفعل بها شيئا، ويقول له أحد الفدائيين "أعطني البندقية وأنا أوقف لك فظائع الإنكليز".

هناك أمثلة عديدة أخرى تكشف موقف الإخوان من الأحزاب بشكل عام، تكاد تنطبق عليها هذه الأيام، منها ما كتبه أمين إسماعيل عضو الجماعة في العدد السابع بتاريخ 13 مارس سنة 1951 يهاجم فيه الكاتب إحسان عبدالقدوس لأنه نشر في العدد 1186 من مجلة "روزاليوسف" خبرا حول اعتزام الشيخ أحمد حسن الباقوري، عضو جماعة الإخوان الخروج من الجماعة والانضمام إلى حزب سياسي جديد، وكان مما كتبه "أنت وغيرك تعرف أن الأستاذ الباقوري لا يمكن أن يحيا في جو الحزبية الخانق لأنه رجل دعوة لا تلحق بمثار نقع أقدامها مبادئ جميع أحزاب العالم". وانشقّ الشيخ الباقوري عن الجماعة لاحقا، وأعلن براءته من العمل معها.

والعداء للأحزاب لم يقابله انتقاد للملك، بل بالعكس، تعكس تهنئة الملك فاروق بمناسبة عيد جلوسه على العرش، الصادرة في العدد 64 بتاريخ 6 مايو سنة 1952، انتهازية الإخوان ونفاقهم.

معارك صليبية

تخلط بعض مقالات المجلة خلطا متعمّدا بين الديمقراطية والامبريالية، بل إنها تعتبر مهمة الإسلام تتمثل في محاربة الديمقراطية الغربية، فيكتب مثلا محمود لبيب، أحد قيادات الجماعة في العدد 19 بتاريخ 5 يونيو 1951، مقالا يقول فيه "يا جنود الرحمن، لقد انتهت الجولة الأولى في فلسطين بمآسيها ومخازيها فلتستعدوا للجولة الثانية، والتي سيكون ميدانها أرض وطننا. ستحاربون الديمقراطية الاستعمارية والرأسمالية الصهيونية الأميركية والشيوعية اللادينية".

هناك رؤية ثابتة لدى الجماعة تفترض أن حركات الاستعمار جميعها حركات صليبية، ويكتب عن ذلك صالح عشماوي في العدد التاسع بتاريخ 27 مارس 1951 مقالا يقول فيه "نعم هي حرب صليبية يشنها الاستعمار على المسلمين". ثم يقول متسائلا "هل يفهم الزعماء السياسيون الأمور على حقيقتها، فيدركون أنهم يخوضون حربا صليبية لا حربا استعمارية".

ولا تخلو المقالات من دعوات ضمنية وصريحة إلى الجهاد، ووصف كافة المتهمين من الجماعة في العمليات الإرهابية بالأبطال والمجاهدين والشهداء. ويتم الاحتفاء بالقضاء المصري العادل عندما يحكم ببراءة المتهمين لعدم كفاية الأدلة، وينظر بإجلال واحترام للذين يدينهم القضاء بتهمة القتل أو العنف. وهو ما يحدث حاليا.

كتب عبدالمنعم النمر، مثلا في العدد الثامن بتاريخ 20 مارس 1951، مهنئا إخوانه الذين حصلوا على البراءة في حادث السيارة "الجيب"، وهي قضية إرهابية شهيرة للجماعة، لكنه يُحيي في الوقت ذاته الذين أدينوا ويصف ذلك بعبارة "في سبيل الله ما لاقوه".

احتفت المجلة بالمتهمين في حادث السيارة "الجيب" في ستة أعداد متتالية، وعندما حصل بعض المتهمين على البراءة حرص رئيس التحرير صالح عشماوي على أن ينشر لنفسه صورة مع أحد المتهمين وهو سيد فايز.

بعد ذلك، تفصل الجماعة في ما بعد صالح عشماوي، رئيس تحرير المجلة، وينسف الجهاز الخاص للإخوان منزل سيد فايز لتتخلص منه بعبوة ناسفة تم وضعها في علبة حلوى في سنة 1954. تنضح مقالات المجلة بإيماءات وتلميحات متعددة تحمل تحريضا ضد الأقباط، فنقرأ مثلا مقالا للدكتور حسن حتحوت، في العدد العاشر بتاريخ 3 أبريل سنة 1951، بعنوان "أخي جرجس" يقول فيه "إنني لأخذني العجب يا جرجس أن أعرف أن نفرا من المنتسبين إلى المسيحية لا يكادون يتقنون إلا عداوة الإسلام وكراهية المسلمين، وهم بذلك ينسون أنهم من أبناء المسيحية وأتباع عيسى عليه السلام".

ثم يتكرر التحريض على المسيحيين من خلال استهداف بعض الكتاب والأدباء منهم مثلما كتب محمد فهمي في العدد 25 من المجلة تحت عنوان "جورجي زيدان والإسلام" ما يلي "هذا الأديب نشر قصصا وحكايات عن الإسلام كلها أباطيل. ورواياته كلها حملات مشحونة بالتحامل والتصغير من شأن أمجاد الإسلام، وما دامت أعماله تنشر وتُقرأ فذلك خطر كبير".

ونقرأ في العدد 65 بتاريخ 13 مايو 1952 هجوما مماثلا على الكاتب المصري سلامة موسى تحت عنوان "سلامة موسى يدعو إلى الفجور" لأنه كتب مقالا في جريدة "أخبار اليوم" عن شاب قام بتقبيل حبيبته.

وعكست المقالات مواقف الجماعة السلبية من الفن في ذلك الوقت، من خلال عدة أخبار، منها مثلا خبر في العدد 20 بتاريخ 12 يونيو 1951، جاء فيه أن مصطفى السباعي، رئيس الإخوان المسلمين في سوريا، التقى محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصري وأبلغه استياء علماء الدين في سوريا من الأفلام السينمائية الخليعة في مصر.

كذلك نقرأ خبرا في العدد 28 بتاريخ 14 أغسطس 1951 يقول إن إخوان سوريا اعترضوا على اكتتاب السوريين لعمل تمثال للزعيم يوسف العظمة، ورأوا ذلك "حراما". بل إنهم سبقوا السلفيين في تحريم الاحتفال بأعياد المصريين الشعبية، فنقرأ مثلا في العدد 53 بتاريخ 19 فبراير 1952 خبرا بعنوان "شم النسيم عيد غير إسلامي. متى يعرف المسلمون أعيادهم"، وفيه أن علماء الدين لا يجيزون الاحتفال بأي عيد غير الأعياد الإسلامية.

في العدد ذاته نجد دعوة إلى تحطيم التماثيل الخاصة بأوروبا في مصر، بينها تمثال الفرنسي فرديناند ديلسيبس صاحب فكرة شق قناة السويس، بل نشرت المجلة صورة للتمثال تحت حذاء مارد عملاق وكتبت "متى يتم هدم تمثال ديلسيبس؟" والمؤسف في الأمر أن التمثال تم هدمه فعلا سنة 1956 تحت ضغط الدعوات الشعبية.

وفي الحديث عن دور المرأة، التي كانت حاضرة بقوة في المشهد السياسي النضالي ضد المستعمر، كررت مقالات المجلة القول إن المرأة لا يجب عليها المشاركة في الحياة السياسية مرشحة أو حتى ناخبة، وأن دورها يقتصر على رعاية بيتها وأبنائها.

> في العدد 53 بتاريخ 19 فبراير 1952 نجد دعوة إلى تحطيم التماثيل، بينها تمثال فرديناند ديلسيبس صاحب فكرة شق قناة السويس

وعن هذا نقرأ في العدد العاشر من المجلة بتاريخ 3 أبريل سنة 1951 خبرا يقول "بعث إلينا اللواء عبدالواحد سبل الأمين العام لاتحاد عام الهيئات الإسلامية البرقية التالية: إن إقحام النساء في مظاهرة 14 نوفمبر يشوه جلال الموقف ويشنع على سمعة مصر في العالم الإسلامي ويسجل على المصريين تهاونهم في صيانة المحرمات. ويحتج الاتحاد على ذلك، ويناشد المسؤولين أن ينصحوا السيدات بالمكوث في بيوتهن والتفرغ لتنشئة الجيل الجديد. كما يرجو الاتحاد أبناء الوطن أن يضنوا بكرامة نسائهم أن يدنسها الاختلاط بالرجال".

الإخوان اليوم

تغيرت الأحوال وحدثت تطورات في الحياة الاجتماعية والسياسية ولا تزال غالبية المفاهيم التي جرى ترديدها في السنوات الأولى للجماعة على حالها، وإن جرى تجميلها وفق المتغيرات.

وثمة إشارات متنوعة في أعداد العامين الأولين للمجلة بشأن اتصالات وعلاقات الجماعة بالخارج، إذ ينشر كل عدد لقاء لسعيد رمضان، والد الدكتور طارق رمضان مسؤول الاتصال الخارجي للجماعة بأصدقاء في المغرب وتونس والجزائر ودول أوروبية عدة، وحتى إيران التي وصفها رمضان بأنها نموذج للإسلام الصحيح، عندما التقى زعامات شيعية رفيعة.

رسم كاريكاتوري صدر في العدد الرابع من مجلة الدعوة بتاريخ 20 فبراير 1951 يسخر من زعيم الوفد مصطفى النحاس ويرسمه وهو مُنحن وبيده بندقية لا يفعل بها شيئا، ويقول له أحد الفدائيين «أعطني البندقية وأنا أوقف لك فظائع الإنكليز».

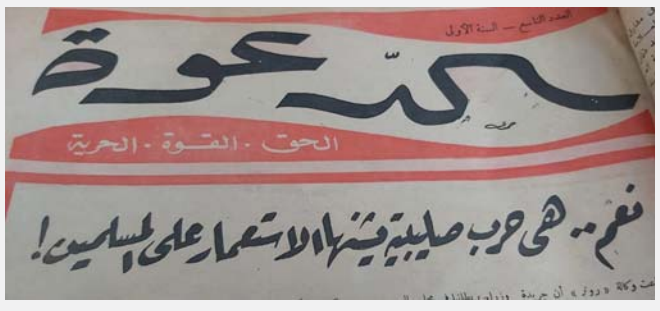

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

حاكم فعلي للجزائر تطرح به الأقدار إلى السجن

السعيد بوتفليقة
الزعيم الخفي ولعنة الكرسي

أبو بكر زمال
كاتب جزائري

رنّ جرس الباب. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشر صباحا. فتح الباب وظهر شخص بسحنة واهنة كان يبدو عليه الإرهاق والتعب كان كمن لم تأخذه سنة من النوم. "سي السعيد لدينا أوامر لكي ترافقنا". ارتبك الرجل، فهذه المرة الثانية التي تظهر على ملامحه علامات الهلع والرعب. كان الأمر يشبه ذلك اليوم حين شاهد الملايين من المتظاهرين في الشوارع المصرية وهي تمزّق صور الرئيس المخلوع حسني مبارك وتدوس على صور ابنيه علاء وجمال، يذكر أحد الذين كانوا معه في تلك اللحظة "كان يتابع الحدث بصمت ثقيل كالرصاص. كنت أتخيّل أن ألف سؤال وسؤال يدور برأسه في تلك اللحظة. ماذا يمكن أن يحدث لو انتفض الشعب الجزائري كما يفعل الآن الشعب المصري؟ هل سيحدث لي ما أراه الآن أمام عينيّ. تغيّر لون وجهه واصفرّ. طلب أن يُجري اتصالا. ولكنه أجرى 3 اتصالات بلا جدوى. بعدها أخذ معطفه وأدويته وركب برفقة ضباط من أمن الجيش.

> سي السعيد الصغير، «المعلّم» أو «الباترون» أو «الزعيم» ذلك بعض ما كان يطلق عليه من أوصاف وصفات وألقاب لمن يعرفه عن قرب، ولمن يتواصل معه في السر والعلن. والفاسد والعرّاب ورئيس العصابة والحاكم الفعلي للجزائر وسارق ختم الجمهورية. وتلك صفاته الأخرى التي سترافقه إلى حيث هو الآن

اتجهوا إلى مبنى وزارة الدفاع، حيث قضى ليلته هناك قبل أن يتجهوا به إلى المحكمة العسكرية أين سيسجن بتهمة التآمر ضد سلطة الجيش والدولة. وهو يقبع هناك وحيدا في زنزانته، يقلّب الأمور ويعكسها وينظر إلى الجدران الضيقة والسماء التي لا تظهر علّها تأتيه بماء معين. لا أحد يعرف بمن اتصل في تلك اللحظة المغلفة والغامضة والمشحونة بتوتر عال وضغط رهيب، حيث لم يكن أحد يتوقع أن تأخذ الأمور هذا الشكل من التصعيد والرفض والقوة في الشارع الذي خرج منتفضا ضد ترشح أخيه عبدالعزيز للعهدة الخامسة.

سي السعيد الصغير، "المعلّم" أو "الباترون" أو "الزعيم" ذلك بعض ما كان يطلق عليه من أوصاف وصفات وألقاب لمن يعرفه عن قرب، ولمن يتواصل معه في السر والعلن. والفاسد والعرّاب ورئيس العصابة والحاكم الفعلي للجزائر وسارق ختم الجمهورية. وتلك صفاته الأخرى التي سترافقه إلى حيث هو الآن.

السيد 15 بالمئة

متواجد في كل مكان، متخفٍ أو من وراء الستار، بعيون عميقة تومئ بالإشارات، ينظم ويخطط ويرسم، فهو في كل محفل، في كل استقبال رسمي. الكل يبحث عن ظله وأمره. في كل اجتماع رفيع للدولة. من مكتبه المتواضع في البناية الفخمة للرئاسة. يدير كل شيء بالهاتف أو بوسائل أخرى، والأهم أنه كثّف حضوره في السنوات الأخيرة في الجنازات، كان ذلك بأوامر من أخيه الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة الذي أقعده المرض وجعله لا يقدر على التنقل إلى تلك الربوع، وهو الذي كان لا يضيّع فرصا مثل هذه وفاء للتقاليد والأعراف وحسن الجوار. لذا غدت جلّ صور السعيد المتداولة حتى الآن هي صورة ملتقطة في هذه المواعيد الحزينة حيث تراب القبور والدموع والحسرة والأحزان. يتركهم يأخذون صوره بشكل عفوي. يتواجد وسط الجموع. بين الرّسميين، المسؤولين، المواطنين العاديين.

قد يُرى بين أكتاف الجنرالات، وقد تلقاه وسط وزراء أو خلفهم أو يتقدمهم، لا تكاد تخطئه العين. الكل يتمنى أن يصادفه في منعرجات القبور والأضرحة. يكاد أصحاب الجنازة يُنسوا من شدة اهتمام الناس بالسعيد. ينظر إلى الجميع وينظر إليه الجميع. يتقربون إليه أو منه أو من بعيد. يبتسم لهذا، ويحيّي ذاك. تلتقط صوره بكثافة بالآلات المحترفة أو بالهواتف النقالة. عادة لا تظهر ابتسامته إلا نادرا في هذه الصور التي تنشر، فهو مهموم ومثقل على ظهره الأحمال والمسؤوليات العظام.

من نعِم السعيد أيضا أنه موجود في كل صفقة وفي كل مشروع كبير وضخم، كأنفاق المترو والمطارات والترامواي والحافلات ومصانع السيارات الفخمة والطرقات السيّارة، شرقا وغربا، حتى في المستوردات والصادرات.

اسمه يرد همسا في الصالونات تحت شيفرة باتت معروفة للجميع "السيد 15 بالمئة"، كما قال عنه السفير الأسبق الفرنسي بالجزائر بيار باجولي في رواية، وهو يشير إلى النسبة التي كان يحصل عليها من المشاريع والصفقات التي كانت تمنح بقرار منه وهي نفس الروايات تقريبا التي كانت تتردد عن الجنرالات في عهود سابقة.

هكذا يتطاير السعيد ويحط في الأفواه وفي العيون. تركب مع سائق سيارة الأجرة فيخبرك أن هذا الفندق الضخم والجميل وراءه السعيد. هذه المباني المتكاثرة في أرقى أحياء العاصمة هي جزء من ثروته. هذه الأراضي الشاسعة والواسعة في الهضاب والوديان هي ملك يمينه. وعندما يصطدم أي مقاول أو أي صاحب ثروة بعراقيل تحول دون أن ينجز مشروعه فيكفي أن ينطق باسم السعيد أو يسرب في وسط الإدارة عن طريق إعلامية أو وسائط أخرى أو في دوائر ضيقة أن للسعيد يدا فيها، حتى تتحلحل الأمور وتنفرج. أينما وليّت وجهك وحيث ما وضعت أذنيك في المقاهي والكواليس والأمكنة وحتى في الكباريهات أين يتداول كم هائل مما يطبخ أو يتم طبخه من معلومات وأيضا من الصفقات ستجد السعيد، ستجده أيضا في التجمعات الصاخبة اليوم في الشوارع وفي غيرها من الأمكنة والأزمنة، ستصلك معلومات صحيحة أو خاطئة أو مفتريات أو من فتات القيل والقال عن حجم ما فعله السعيد بالبلاد والعباد، لن يكون بمقدور أي أحد أن يقتنع أن الرجل أبيض أو صفحة بيضاء.

الرجل فاحش الثراء قارون زمانه، وحش ومصاص الدماء و"كانيبال"، مضاف إلى سجله الخراب والمحسوبية والانتفاع والمحاباة ومنكرات أخرى تشيب لها الولدان والوالدون والبشر والحجر.

كنوز آل بوتفليقة

جابت مصالح الأمن في عهد الجنرال القوي توفيق المسجون حاليا الجزائر غربا وشرقا وجنوبا وشمالا، دققوا في أدق التفاصيل حتى تلك التي بحجم خرمة إبرة، سألوا ونقبوا وفتحوا صناديق البنوك وكسروا الأقفال وفككوا الملفات ونقبوا المغارات بحثا عن كنوز آل بوتفليقة فلم يعثروا على شيء يذكر، هكذا انتهى التقرير بلا شيء وهو ما أسرّ به الجنرال توفيق إلى الجنرال نزار في جلسة خاصة.

فمن أين استقى السعيد هذا الجبروت والطغيان والتسلط؟ كيف لرجل بسيط لا يعرف حتى كيف ينسق ملابسه وكأنه لم ينشأ في العز والرضا. كيف أمكن أن تكون له كل هذه القوة والذكاء والدهاء والمكر والحيلة؟ من وضع رجليه على طريق الجزائر وقد كانت تلملم الجراح والدماء؟ من أدخله إلى قصور الحكم ودسه في الزوايا ومنعطفات النظام والملك ليغدو فجأة هو من تسعى إليه الأقدام وتشرئبّ له الأعناق وتنتظر منه البركة؟ كيف دانت له الرقاب من بعيد وهللت بأنفاسه ولفتته؟

لا أحد يعرف. سيبقى هذا من الأسرار التي ستلعب وستمتد في رأس التاريخ والحياة والواقع.. ربما كان لأخيه المعزول اليوم عبدالعزيز دور حاسم في وضعه في هذا المكان. فقد كان السعيد ظله الذي يتبعه أين ما حل وارتحل أو قذفت به الأقدار. علبته السوداء كما يحلو للمحللين والفقهاء والخبراء نعت الأمر.

ربما كان لمحيط العائلة والتربية الفعالة للأم التي توصف بالقسوة والشدة والصرامة الدور الكبير في التقويم وضبط مسار العائلة الذي ما زال الغموض يغلف مساماتها وجذورها وسلالتها رغم ما كتب ودوّن عنها. ربما كانت الشروط التي عاشت فيها العائلة هي السبب في كل هذا حيث لم تعرف الاستقرار ولا الطمأنينة خاصة بعد ما لاحقت عبدالعزيز تهم الاختلاس والسرقة وهي كانت ضربة قاصمة لم يعان منها هو فقط، بل جرّت كل العائلة إلى المستنقع تتخبط فيه بأمل النجاة منه، لذا حرصت ككل أمّ على التصدي والوقوف في وجه هذه المحن، وقامت بإبعاد السعيد إلى فرنسا حيث تابع دراسته هناك بعيدا عن الضغط الذي عصف بالعائلة.

درس السعيد الذي ولد عام 1957 وهو الابن الأصغر لعائلة تتكون من 5 أفراد، في جامعة كانت بؤرة للحركات الطلابية والنقابية كانت المكان المفضل لليساريين والشيوعيين، وكمثلهم ربما كان يحلم بمجتمع لا سلطة فيه ولا كلمة فيه إلا للشعب، وحيث لن يظلم أحد. الثروة للجميع توزع بإنصاف وعدالة ودون تمييز.

كانت له جولات نضالية باهتة يقول بعض من عرفوه في الجامعة، انتمى إلى اليسار أو أصبح شيوعيا، موضة ذلك العصر وتلك الأوقات الحالمة والطوباوية، ولكنه كان خجولا ولا يحبّ الأضواء. يحب العمل في الظلام وهي عبارة تعني وراء الستار حيث تدار لعب أخرى أكثر نفعا ونفوذا. قال الرئيس الراحل هواري بومدين لأخيه عبدالعزيز لما كان وزيرا للخارجية إنه سيجعل من السعيد رجلا لامعا في المخابرات، لما لمسه فيه من حدة الذكاء وصمت محيّر ومعبر، ولكن أمنية بومدين لم تتحقق، ولازم السعيد أخاه عبدالعزيز ورافقه في بعض أسفاره خارج الوطن حين كان وزيرا للخارجية.

هناك خبر الوجوه والتجارب والعمل السياسي والدبلوماسي وبلغة أخرى فهم كيف تدار الأمم والشعوب وبأي أدوات؟ كان عينا لاقطة، وأذنا مصغية، وعقلا منفتحا يستوعب ويتعلم ويستنتج وينتج بسهولة الفعل ورد الفعل مهما كانت الدروس والحكايا والمواضيع، وهي خبرة مكنته وأهلته للحصول على دكتوراه في الذكاء الاصطناعي.

بين الحكمة والدهاء

خلق مساحة واسعة لنفسه في سرايا الحكم بعد أن أصبح عبدالعزيز بوتفليقة رئيسا للبلاد، فقد كان هذا الأخير لا يثق في أحد، خاصة بعد أن طعنه في الظهر، كما قيل، أقرب مقربيه آنذاك علي بن فليس، حين ترشح ضده عام 2014.

عيّن الرئيس السعيد مستشاره الخاص وهي وظيفة خالية من الامتيازات والحوافز بالمعنى المعروف عنها، ولكن الأخير عرف كيف يحيطها بهالة كبيرة من النفوذ والسيطرة المطلقة على دواليب النظام. فقام بترتيب كل البيت من جديد بصبر وأناة وحكمة ودهاء.

وكانت الخطوة الأولى تقريبه لأصحاب المال من دوائر القرار، وكان أول المنتفعين الإخوة كونيناف المسجونين اليوم. وكونيناف الأب هو صديق حميم للرئيس عبدالعزيز، كانت بينهما علاقة طويلة منذ الشباب وعندما دارت الدوائر على هذا الأخير لم يجد من يعيله إلا صديقه كونيناف، فأغدق عليه الكثير وساهم في حملاته الانتخابية. ولكن

خلافات عميقة دبّت بين الرجلين لا يعرف أحد أسبابها الحقيقية، وحاول كونيناف معرفة الأسباب دون جدوى وظل بوتفليقة على عناده حتى بعد أن تدخل أحد أهم رجالات الدولة الجزائرية وقد كان سفيرا للجزائر في عدد من عواصم العالم وعضوا فاعلا في أعرق حزب سياسي في الجزائر، ولكنه رفض حتى الاتصال به عندما مرض إلى أن توفي، عندها كسّر بوتفليقة الحاجز وعزّى العائلة وأبناء كونيناف، وفي لفتة أعطى إشارات خاصة للسعيد كي يكون دوما بجانبهم، ومن ثم بدأت هذه العلاقات التي تربّت في الأسرار والغموض، وتوارت خلف الجدران لا يعرف مداها أحد، وهنا حدث ذلك التحول والتغير وطرح السؤال: كيف تحول السعيد من شيوعي إلى محب للإقطاعيين وأصحاب المال؟ هل تم الأمر بين ليلة وضحاها؟ أم أن ما كان يؤمن به من قيم اليسار لم تكن سوى ملهاة ومضيعة للوقت أمام سكرات وبريق الذهب؟

لا يعرف الكثير عن السعيد سوى ما يقال هنا وهناك أو يرشح من معلومات شحيحة عما كان يفعله في الرئاسة بعد تواري أخيه عن الأنظار مريضا وعلى عتبة الوهن والموت وأصبح كالشبح، قيل إنه كان يتجول حاملا ختم الرئيس يعيّن من يشاء ويعزل من يشاء، وهي صورة تبدو كاريكاتورية ومضحكة وهزلية، فيكف لدولة كاملة بمختلف أجهزتها ورجالاتها تسمح لشخص مهما كانت رتبته ونفوذه أن يلعب بختم رسمي ومقدس هكذا أمام الملأ وفي وضح النهار.. طبعا تضخيم هذا الأمر هو جزء من لعبة كبيرة متخفّية وضعت الدولة كلها في قلب أزمة معقدة ستترك بصماتها لسنوات طويلة في ذاكرة الوطن الكسير اليوم بسبب غياب رمز يلتف حوله الكل.

من بين المواقف اللافتة للسعيد والتي لم تكن واردة في مفكرة أحد، دعمه شخصيا للروائي رشيد بوجدرة عندما تعرض إلى إهانة علنية من طرف إحدى القنوات الخاصة حين نزل السعيد بنفسه إلى الشارع المنتفض ضدها، وقدم كامل دعمه ووقوفه إلى جانب بوجدرة، صديقه، في لفتة أسالت اللغط والجدل خاصة أن هذه القناة، كما قيل، كانت تأتمر بهاتفه وتطيعه في السراء والضراء.

المتقشف الغامض

لم يغيّر السعيد سيارته في جل تنقلاته، وهي سيارة قديمة من طراز أواسط الثمانينات، فرغم أن بين يديه ترسانة من أفخم السيارات الرئاسية إلا أنه بقي يجول ويصول في العاصمة وتقريبا دون حراسة واضحة بنفس سيارته الشاهدة على كل شيء، فهو كما يروي الكثيرون ممن تقاطعوا معه في الطرقات لا يجري بسرعة كبيرة، ولا يتجاوز الإشارات المرورية، ويمر أمام الحواجز المنصوبة كأيها مواطن عادي، حتى لما تعطلت سيارته فضّل أن يقود سيارة أخرى مستعملة.

> كلمات الرئيس الراحل هواري بومدين لا تزال تتردد على مسامع الجزائريين، حين قال لوزير خارجيته آنذاك عبدالعزيز بوتفليقة إنه سيجعل من السعيد رجلا لامعا في المخابرات لما لمسه فيه من حدة الذكاء وصمت محير ومعبر

هل كان كل ما سبق مجرد تمويه وتغليط وتورية لمعدنه المخيف المتسلط أم أن الأمر برمته عفوي وصادق وحقيقي وكل ما توارد عنه تضخيم عمد إليه مقربوه أو أصدقاؤه أو حواريوه كي يظلوا أول وآخر المستفردين والمستفيدين، ولأن لمعان السلطة والكرسي والحكم والنفوذ قد يغري ويضبب الرؤية فليس من المستبعد إطلاقا أن يكون السعيد قد ساهم في خلق هذا الوجه العبوس القمطرير المتواري خلف الحجب، وذاق حلاوة أن يكون منبع كل الكلام والأفعال والأنظار.

سينطق أو سيسكت السعيد أثناء محاكمته، سيان عنده الأمر فقد عرف اليوم حجمه. دخل تاريخا مزيّفا صنعه بأيدٍ فاسدة وحقودة على الجزائر بوعي أو بغيره. لكن المحكمة العسكرية لم تجعله ينتظر طويلا، فقد قضت عليه قبل أيام بالسجن لـ15 عاما بتهمة التآمر ضد سلطة الدولة والجيش. وهو اليوم وحيد في زنزانته يلوك مصيرا مرّا ربما كان يراه أمام ناظريه في كل لحظة مضت وهو يدفع بكرسي أخيه الرئيس الذي بات خاليا اليوم.

● اسم السعيد موجود في كل صفقة وكل مشروع ضخم، كأنفاق المترو والمطارات والحافلات ومصانع السيارات والطرقات، وحتى في المستوردات والصادرات.

● سر السعيد سيبقى مجهولا. فمن أين استقى هذا الجبروت والطغيان والتسلط؟ ومن وضع رجليه على طريق الجزائر وقد كانت تلملم الجراح والدماء بعد العشرية السوداء؟

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

ظاهرة ثقافية تونسية في رجل واحد

علي اللواتي

الناقد والمسرحي الذي يتبع شاعرا

● اعتزال اللواتي الظهور العلني يترك فراغا كبيرا في الحياة الثقافية التونسية، بعد أن أدار مركز الفن الحي سنوات طويلة، وترجم الشعر وكتبه، واشتغل في النقد الفني ورسم وأدار منصات مسرحية، ووضع سيناريوهات للمسلسلات التلفزيونية «الصورة لمركز الموسيقى العربية والمتوسطية الذي أسسه اللواتي».

فاروق يوسف
كاتب عراقي

الناقد الفني والشاعر والرسام وكاتب المسلسلات والمترجم والمسرحي ومنسق المعارض ومؤسس المنشآت الفنية في شخص واحد. تلك ظاهرة لم يمثّلها في مستواها الرفيع سوى رجل واحد في العالم العربي هو علي اللواتي.

لم يكن في كل ما فعله دون مستوى الاحتراف العالي.

لذلك فقد كان اعتزاله الظهور العلني قد ترك فراغا كبيرا في الحياة الثقافية التونسية بعد أن أدار مركز الفن الحي لسنوات طويلة.

حين النظر إليه فإن كل جهة من جهاته تكفي لتأكيد موقعه الاستثنائي، لا بين أفراد جيله المتمرد حسب بل وأيضا بين مثقفي التنوير التونسيين عبر الأجيال.

وهب الفن التشكيلي التونسي قوة دفع، حين تبنّى تجارب فنية، كان من الممكن أن تقع ضحية لسوء فهم ثقافي.

وفي الشعر سعى أن لا ينخرط في الشعرية التونسية بعد أن ارتقى بلغته إلى مستوى رائعة سان جون بيرس "أناباز". فكان معجمه الشعري لا يعتمد المفردة لذاتها بل بما هي مشحونة به من صور.

مبتكر أفكار ثورية

في حياته العملية كان بارعا في تأسيس قواعد ثابتة للعمل الثقافي ولم تغره التظاهرات المؤقتة التي لا تزال تهيمن على الحياة الثقافية في تونس وهي سبب غياب التجارب الأصيلة وسط ضباب الاحتفالات الاستعراضية.

كان في عمله رجل مبادئ لم تتعرض للاهتزاز أو التراجع.

لذلك فقد تعرضت كل المنشآت التي أقامها إلى النسف بعد غيابه بسبب طغيان الروح الشعبوية التي لم تستطع التفاعل مع مبادئه.

حداثوي غير أن شغفه بالشعر العربي القديم لا يُعلى عليه. وفي الفنون، كانت لديه رؤيا خاصة لمعنى الأصالة الفنية وهو الذي ترجم كتاب ألكسندر بابادوبولو الأساسي في المكتبة العالمية "جماليات الفن الإسلامي". وكتب مقدمة لذلك الكتاب بعنوان "جماليات الرسم الإسلامي".

وكما أرى فإن التونسيين كانوا محظوظين بمؤرخ فن من نوع اللواتي الذي تميز بأحكامه المنصفة، بحيث استطاع أن يضع كل شيء في مكانه في ظل ضجيج الانقلابات وحركات التمرد التي شهدها المشهد الفني في تونس.

لقد تحمس نقديا للفنانين الذين ظهروا أواخر ستينات القرن الماضي وبداية سبعيناته غير أن ذلك لم يمنعه من أن يتعامل باحتراف المؤرخ وحياديته مع تجارب الفنانين المؤسسين "جماعة مدرسة تونس". وهو ما جعل من كتبه مرجعا لا يمكن الاستغناء عنه حين النظر إلى الماضي.

ولد اللواتي في تونس عام 1947. تخرّج من المدرسة الصادقية وحاز على إجازة في القانون الخاص من كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية والسياسية. قبل أن يغادر الجامعة كان قد ترجم قصائد إدغار آلان بو وغيوم أبولينير.

بعد تخرّجه من الجامعة التحق بالعمل في وزارة الثقافة ليدير قسم الفنون التشكيلية ما بين عامي 1974 و1986. لم يكتف بمهماته الوظيفية فقد كان يطمح إلى تحقيق انتقالة في الوعي الثقافي لدى عامة الناس تنسجم مع ما حققه الفنان التونسي الحديث من إنجازات فنية فأسس مركز الفن الحي وأداره. وترأس مهرجان قرطاج لعامي 1985 و1986. بعدها أسس دار الفنون بحديقة البلفدير، وهي منصة لا تزال تعرض التجارب الفنية الحديثة. وإلى جانب اهتمامه بالفنون التشكيلية قام اللواتي بتأسيس مركز الموسيقى العربية والمتوسطية بدار البارون درلنجي بضاحية سيدي بوسعيد.

أصدر اللواتي عبر مسيرة حياته كتبا في الشعر والمسرح والنقد الفني وتاريخ الفن. كما كتب مقدمات لعشرات الكراسات التي ترافق إقامة المعارض الفنية وكتب سيناريوهات وحوارات العديد من الأفلام التلفزيونية. يعتبر كتابه "مغامرة الفن الحديث في تونس" واحدا من أهم مراجع الحداثة الفنية في تونس.

نال جائزة الدولة للنقد الفني عام 1997 وجائزة الطاهر حداد عام 2001. وتوزع نشاطه بين الخدمة العامة والتأليف الشخصي. وفي كلا الجانبين كان أثره واضحا في الحياة الثقافية بسبب عمق أفكاره وثبات ثقته المطلقة بالفن. فهو وإن كان متمرّدا على القوالب الجاهزة في العمل الثقافي فإنه انحاز إلى تحصين فكرة المؤسسة القادرة بكفاءة على الحفاظ على الموروث الفني، وتطوير الوعي الجمالي لدى عامة الناس والارتفاع بذائقتهم الجمالية إلى مستوى يليق بهم مثلما لا يحط من قيمة العمل الفني.

كان رجل تاريخ متوازن مثلما كان ناقدا شرسا.

لغة الشعر التي يتبعها

"أولا وأخيرا أنا شاعر" يقول اللواتي في جواب على سؤال تقليدي يتكرر ذي علاقة بتعدد انشغالاته الفنية. وفي ذلك تفسير لشغفه بما يقوم به كما لو أنه يكتب الشعر. "إنه الغلالة التي تغلّف كل فعل خلاق بالرقة". تعريف يُخرج الشعر من نطاقه الكتابي إلى دائرة صفاته. فالشعر يحضر في كل ما يقوم به من غير أن تكون هناك قصائد مكتوبة.

أصدر اللواتي "أخبار البئر المعطلة" تلاه بكتاب "في مجيء المياه". ربما أصدر كتبا شعرية أخرى لا علم لي بها، غير أن ترجمته المدهشة لقصيدة الشاعر الفرنسي سان جون بيرس الطويلة "أناباز" تعتبر واحدا من أهم إنجازاته الشعرية. ذلك لأن بيرس كان واحدا من أصعب الشعراء الفرنسيين على مستوى اللغة. وحين يتمكّن المترجم من تفكيك تلك اللغة وإعادة تركيب بنيتها الداخلية عبر لغة أخرى فإن ذلك الإنجاز يشير إلى طاقة شعرية لا يملكها إلا شاعر.

الرسام الهارب من الكتابة

ولأن ذلك العمل قد أُعتبر إعجازيا فقد صار نص "بيرس" بلغة اللواتي بمثابة حاجز صعب على الكثيرين اختراقه في محاولاتهم ترجمة بيرس.

ذلك ما انعكس على تجربة اللواتي الشعرية التي تميزت بقوة اللغة من الداخل، فكانت شعرية المشاعر والأشياء تتبع شعرية اللغة في غموض مقاصدها وتنوع دلالاتها.

أن يكون الرسام ناقدا بحجم علي اللواتي فتلك في حد ذاتها معضلة كبيرة. لقد ألّف اللواتي عن الفن التشكيلي الحديث في تونس، ناقدا ومؤرخا كتبا عديدة، نذكر منها "مغامرة الفن الحديث في تونس" و"التجريد في الرسم التونسي" و"رؤى الرسم السريالي" و"الرسم الأوروبي بتونس" و" علي بن سالم" و"فتحي بن زكور" و"الهادي السلمي" و"أحمد الحجري" و"الفن التشكيلي في تونس".

أهمية اللواتي ناقدا تكمن في انفتاحه على التاريخ والعكس صحيح أيضا. ذلك لأن أهميته مؤرخا تكمن في حسه النقدي الرفيع وقدرته على التمييز بين ما هو ضروري وراسخ وعميق وبين ما هو سطحي وزائل ومؤقت.

حياته العملية تقوم على تأسيس قواعد ثابتة للعمل الثقافي. لم تغره التظاهرات المؤقتة التي لا تزال تهيمن على الحياة الثقافية في تونس وهي سبب غياب التجارب الأصيلة وسط ضباب الاحتفالات الاستعراضية

لذلك احتلّت كتاباته موقعا متقدّما في الفكر الفني الحديث بتونس، وهو ما جعل منه واحدا من أهم نقاد الفن ومؤرخيه في العالم العربي.

غير أن اللواتي حين يمارس الرسم فإنه "يضع نفسه في مأزق". يقول البعض ممن يرى أن ما قدّمه اللواتي رساما لا يرقى إلى مستوى إنجازه النقدي. يقول اللواتي توضيحا لذلك الالتباس ما معناه إنه يُمارس الرسم ليتسلّى. وهو في ذلك إنما يضع الرسم في مجال الهواية وليس الاحتراف. فهو يتجه إلى الرسم حين يتعب من الكتابة.

الرسام الهارب من الكتابة هو بالنسبة للواتي ضرورة حياة، كما أن التجربة العملية تجعل الناقد قريبا من مواد وتقنيات الرسم وهو أمر فيه الكثير من الفائدة.

فإذا كان الشاعر يرعى لغته فإن الرسام يقوده في نزهات مفعمة بالحيوية.

أهمية اللواتي مؤرخا تكمن في حسه النقدي الرفيع وقدرته على التمييز بين ما هو ضروري وراسخ وعميق وبين ما هو سطحي وزائل ومؤقت

العرب الثقافي
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

مغامرة الكاتبات العربيات في حقل التفكير النقدي

مقالات وشهادات لـ15 كاتبة عربية في ملف أدبي فكري

هذا العدد يحتوي على ملف لمقالات وشهادات فكرية ونقدية بأقلام كاتبات من أحد عشر بلدا عربيا هي العراق، سوريا، مصر، البحرين، الأردن، لبنان، السعودية، ليبيا، عمان، تونس، الكويت. تنشر بالاتفاق مع مجلة "الجديد" الشهرية الثقافية اللندنية، التي كرست عددها لهذا الشهر إيلول/سبتمبر لملف واسع تحت عنوان "المرأة ناقدة ومفكرة– مغامرة الكاتبة العربية في حقل التفكير النقدي" ضم مقالات ودراسات وشهادات وحوارات وعروض كتب ورسائل تتعلق بمساهمة النساء العربيات في حقل الفكر والتفكير النقدي. نصوص جريئة تتقصّى دور المرأة في التأسيس لنقد أدبي وفكري معاصر مرتبط حكما بالظواهر الأدبية والفكرية والجمالية التي أنتجتها مشاركة المرأة في الأدب العربي المعاصر وكرّسها منجزها الأدبي والنقدي.

يغطي الملف ويتتبع مساحة معتبرة من التجارب والأفكار والأسئلة والتطلعات النقدية التي برزت وميزت النشاط النقدي والفكري للمرأة الكاتبة في الثقافة العربية على مدار أكثر من نصف قرن. وهو بمثابة محاولة للإجابة عن أسئلة طالما طرحت في الفضاءات الثقافية العربية حول طبيعة حضور الكيان النسوي في المدونة النقدية العربية، والحيز الذي شغلته المرأة في حقل الاشتغال الفكري، وبالتالي محاولة استكشاف مدى مساهمة النساء الكاتبات في إنتاج الفكر وصوغ السؤال النقدي في الثقافة العربية.

تكشف النصوص المنشورة في هذا الملف عن صوت المرأة وفكرها وقراءتها لموقع النساء الكاتبات من المدونة النقدية العربية، وطبيعة مساهمتهن فيها، وحجم هذه المساهمة. الاصوات المشاركة هنا تعيد ظاهرة ميل المرأة إلى التعبير الأدبي، وضعف حضورها في حقل النقد الأدبي والتنظير الفكري إلى عوامل وأسباب موضوعية غالبا، تتصل بأولويات وميول الثقافة العربية من جهة، ومن جهة أخرى إلى هيمنة الرجال على حقل التفكير والتنظير. ولكنها، من جهة أخرى، ترى أن ثمة مبالغات كثيرة عندما يجري الحديث عن المرأة الكاتبة والفكر، فثمة إسهامات بارزة وأخرى ممتازة في هذا الحقل، خصوصا عندما نستعيد أسماء لشخصيات ثقافية لعبت أدوارا لا تقل شانا عن أدوار الرجال، كنازك الملائكة وعائشة بنت الشاطئ وهدى شعراوي و فاطمة مرنيسي ونوال السعداوي وصول إلى فريال غزول ويمنى العيد وسلمى الخضراء الجيوسي، وغيرهن من اعلام الثقافة العربية الحديثة من النساء اللواتي برزن في حقل البحث الفكري والنقد الأدبي.

مأزق سؤال الغياب

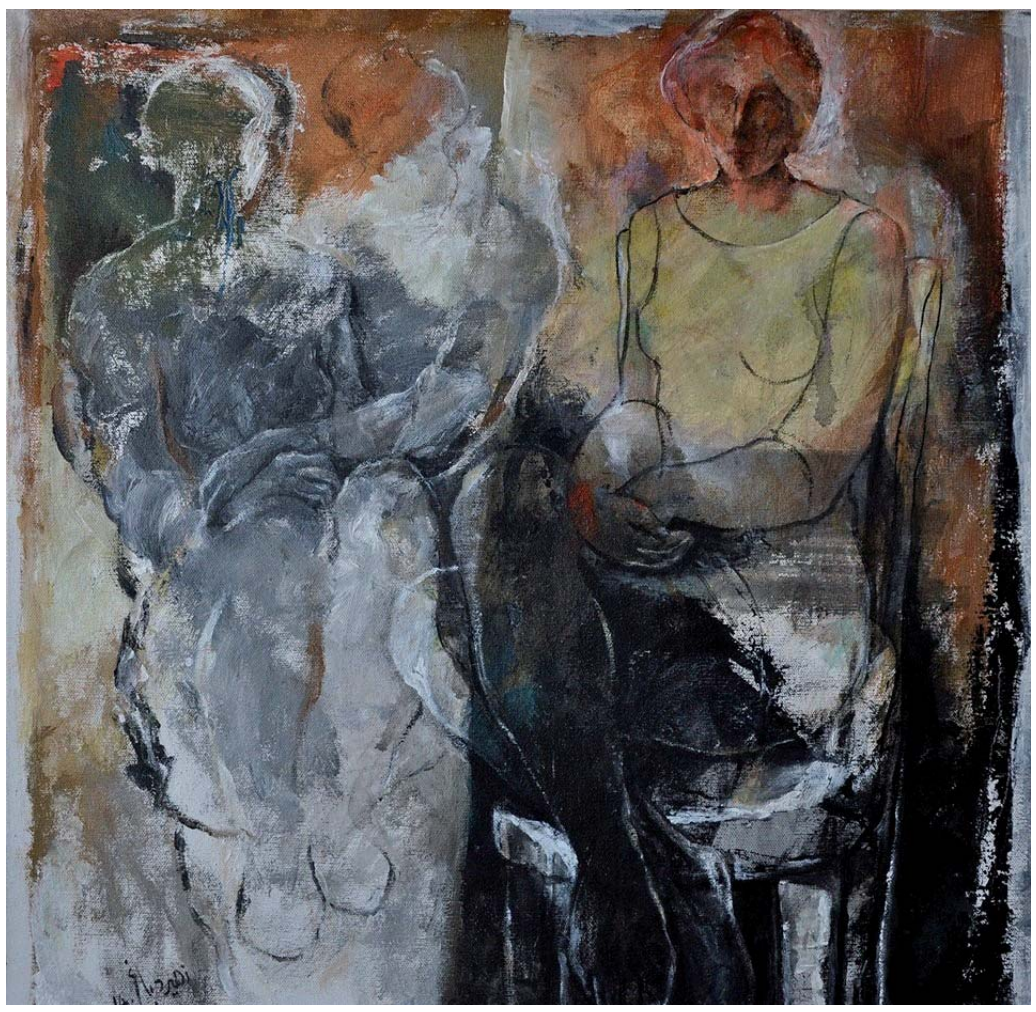

غياب المرأة الناقدة لا يُحدّد له مكان ولا شكل (لوحة الفنان زهير دباغ)

لمياء باعشن
ناقدة وأكاديمية سعودية

عندما يُطرح سؤال غياب المرأة الناقدة تمتد حمولاته الثقيلة إلى أبعد من التفقُّد والقلق واستقصاء الأحوال؛ هو سؤال يستبطن اتهاما بالقصور في أسوأ الاحتمالات، وبالتقصير في أفضلها. لذلك فالسؤال يضع المُجيب عليه على مستوى التحدي، ويجعله يتصدى جاداً لمهمة دفع التهمة عن المرأة، قاصرة أو مُقصّرة. أما وقد تم الاستدراج إلى خط الدفاع، فالمسار أمامه ذو اتجاهين، إما أن يستحضر نماذج نسائية كثيرة ويحشد رده بأسمائهن ونشاطاتهن النقدية وكأنه يكتب ورقة بحثية راصدة أقرب ما تكون إلى موسوعة بيانات، أو أنه ينجرف إلى سرد تبريرات الغياب المعتادة التي تُذكّر بالتاريخ التغييبي المشين وتستعرض الهيمنة الذكورية التي أقصت المرأة واحتكرت المشهد الفكري والثقافي، بل وجميع امتيازات الفضاء العام على مرّ العصور.

في هذا الاتجاه يتواطأ المجيب على سؤال الغياب مع معطياته ويُسلّم بالغياب، فورقته التظلميّة تهدف إلى رفع أصابع الاتهام من وجه المرأة، ثم إلقاء عبء اللوم على رأس الرجل، لكنها في ذات الوقت تعترف بالغياب.

وبعيداً عن الرصد أو التظلم، تجنح هذه الورقة إلى مسائلة السؤال ومجابهة منطلقاته ودوافعه، بدءاً من مسألة الغياب في حد ذاتها والتي هي بحاجة إلى الضبط والتدقيق. عندما يُطرح سؤال غياب المرأة الناقدة –وكثيراً ما يُطرح–، نجد التعبير عنه متفاوتاً في قياسه، فهو يتدرج من الغياب إلى شبه الغياب، ومن الندرة إلى القلة، ومن الحضور الخجول إلى الحضور الباهت، ومن العدمية إلى التغليب، حتى أننا في نهاية الأمر نستطيع أن نجزم بأن غياب المرأة الناقدة المقصود ليس انقطاعاً، وأن السؤال لا يشير إلى قطيعة بينها وبين الحضور، ولا إلى تقاعسها عن ممارسة النقد إلى حد يستدعي طرح السؤال.

ثم إن هذا السؤال الذي يفترض غياب المرأة الناقدة لا يُحدّد له مكان ولا شكل، أي أنه لا يذكر أين تم رصد غيابها ولا عمّا تغيبت. هل تغيبت عن الساحة النقدية والثقافية، أم أن إنتاجها هو الذي تغيّب؟ منطقياً، المرأة الناقدة موجودة في أماكن النشاط النقدي، ألا وهي الأندية الأدبية والمؤتمرات والمنتديات والملتقيات والصالونات الثقافية، كما أنها حاضرة في الجامعات كمتخصصة في المناهج والأدوات النقدية أكاديمياً وتنشر أعمالها في الدوريات العلمية والمجلات الثقافية، وهي حاضرة في الأنشطة المصاحبة لمعارض الكتب حيث تعرض على أرففها كتبها هي أيضاً.

من هنا نستخلص أن السؤال يستقصي حضوراً من نوع آخر، ألا وهو البروز والشهرة، ذلك الضجيج الإعلامي حول أسماء نجحت في لفت الانتباه وشد الجماهير، وليس الحضور بمعنى الإسهام الجاد في التيارات النقدية العربية المعاصرة.

> **سؤال الغياب المستحضِر بشكل دوري في كل الحقب الزمنية يسجل شهادة بحضور ولمعان أسماء نسائية ذات عطاء مهم في مراحل سابقة، لكنه أيضاً يضع المرأة الناقدة على مفرزة المقارنة مع الناقدات السابقات، ويومئ إلى حتمية التمثل بهن والحذو حذوهن**

هناك بالفعل ناقدات معروفات اسما وعملاً، لكن السؤال يظل يتردد في كل مرحلة زمنية وكأن هؤلاء النساء ما هن إلا استثناءات الحضور لقاعدة الغياب. لا يبدو أن هناك نقطة في الزمن يختفي منها السؤال تأكيداً لحضور متوالٍ، فبعد أن تسجل مجموعة من النساء بصماتهن على تاريخ النقد والفكر في الأربعينات من القرن الماضي، يطرح السؤال على نساء الخمسينات، فإن أثبتت المرأة قدراتها ومكانتها في الستينات، عاد السؤال ليؤرق ناقدات السبعينات.

وهكذا، تواجه المرأة الناقدة سؤال الغياب في كل مرحلة كسؤال ضاغط ومُحبط لها يرفع وتيرة التحدي وهو يعبر عن تسببها في انتكاس لمسيرة النساء السابقات، لأن السؤال يتكرر على صيغة واحدة: أين المرأة الناقدة بعد أن كانت هناك أم جندب زوجة امرئ القيس بن حجر وسكينة بنت الحسين وولادة بنت المستكفي وعقيلة بنت عقيل ابن أبي طالب؟ ولماذا خفت صوت المرأة الناقدة بعد أن كانت هناك مي زيادة وملك حفني ناصف وماري عجمي؟ ولماذا اختفت المرأة الناقدة بعد أن كانت هناك عائشة التيمورية ووردة اليازجي ولطيفة الزيات وسهير القلماوي؟ وما سبب تضاؤل عطاء المرأة الناقدة من بعد أن جاءت نوال السعداوي وغادة السمان، وسلمى الخضراء الجيوسي؟

سؤال الغياب المُستحْضَر بشكل دوري في كل الحقب الزمنية يسجل شهادة بحضور ولمعان أسماء نسائية ذات عطاء مهم في مراحل سابقة.

حضور أنثوي رائع

وجدان الصائغ
أكاديمية عراقية

إذا حصرنا التفكير النقدي في مجال النقد الأدبي فالأقلام النسائية قلائل قياسا بحضور الأقلام الرجالية، ولكن إذا اعتبرنا الإبداع نوعا من التفكير النقدي، لأن الروائية والشاعرة والقاصة والرسامة وكل أنواع الإبداع الأدبي ما هو إلا رؤية فلسفية للحياة يمتزج فيها النقد الثقافي والاجتماعي والأدبي، ألم تنقد أحلام مستغانمي الحرب الأهلية بالجزائر وكتّابها مثقفيها في روايتيها "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس"؟ ألم تنقد الشاعرة روضة الحاج في قصائدها الفساد السياسي الذي أوصل الشعوب العربية إلى ما آلت إليه من فقر وبطالة؟ ألم تنقد هدى العطاس في قصصها الثقافة الفحولية وممارساتها العدوانية ضد الحضور الأنثوي؟ ومثل ذلك ينسحب على بقية الأصوات النسائية التي تتربع الآن على عرش المشهد الإبداعي العربي.

هناك حضور طاغ للصوت الأنثوي الجاد الذي يحاول أن يحفر له مكانا في الذاكرة العربية، وليس أدل على ذلك من الأصوات النسائية التي وقفت ليس فقط بالكتابة بوجه التمييز الجنسي أو ما أسميه الثقافة الفحولية بل بشكل مباشر بوجه المجتمع الذي يبارك هذه الثقافة، أذكر على سبيل المثال الدكتورة نوال السعداوي والشاعرة والروائية جمانة حداد وغيرهن من الأصوات التي أثبتت حضورا وتأثيرا واضحا على وعي الجيل الجديد. بالإضافة إلى ما يوازيه من حضور متميز للأقلام النسائية التي استخدمت الرمز لتغيير السائد الاجتماعي الذي يهمش المنجز الأنثوي على كل الأصعدة وليس الكتابة فحسب، وتحضرني الكثير من الأسماء النسائية مثلا على صعيد الرواية ليلى العثمان ومنى الشافعي وبثينة خضر مكي وزينب حفني ونادية كوكباني وعزيزة عبدالله وميرال الطحاوي وصالحة غابش وهدى النعيمي وسمر يزبك وهالة البدري وحصة العوضي وهدية حسين ولطفية الدليمي وميسلون هادي وإرادة الجبوري وشهلا العجيلي وسعاد آل خليفة وفوزية رشيد وريم الكمالي وغيرهن كثر، وعلى صعيد الشعر سعاد الصباح وإيمان بكري وريم قيس كبة ونبيلة زباري وزكية مال الله والهنوف محمد وهاشمية الموسوي وسعاد الكواري ونجوم الغانم ومروة حلاوة وحمدة خميس وظبية خميس وغيرهن كثير.

السائد الثقافي ما زال ينظر للمرأة كجسد بلا رأس، هي نظرة الشارع إلى الصوت النسائي في ظل غياب قانون مدني يحمي إنسانيتها وإن كان هناك قانون فإنه لا يتعدى أن يكون حبرا على ورق ولا يطبق، الصوت النسائي ما زال يفتح بصعوبة منصات الإبداع التي يهيمن عليها المبدع "الرجل"، لا أنكر تفهم الرجل المبدع لدور المرأة ومساندته لها ولكن يبقى بزوغ نجم الرجل في سماء الإبداع أسهل من المرأة.

ورغم المعوقات الاجتماعية فإن صوت المرأة يشكل حضورا متميزا في المشهد الأدبي العربي، ولكني لا أفهم فكرة أنها لم تنجح في رسم ملامح المساواة في المشهد الفكري، لأني شخصيا لا أجد فرقا بين الفكري والأدبي، وأيضا لا أعتقد بأن المرأة بمفردها ودون سلطة القانون المدني تستطيع أن ترسي دعائم المساواة. المساواة لن تكون متحققة على الأرض دون قانون يحميها ودولة تسهر على تفعيل هذه القيمة التي تغنت بها المجتمعات لمداعبة مشاعر المرأة. بالقانون وحده يمكن أن تتحقق المساواة ويمكن للمرأة أن تقف جنبا إلى جنب مع الرجل لممارسة دورها الإنساني في المجتمع وليس خلف الرجل "العظيم" –حسب المثل السائد– وبالقانون الذي يكفل لها إنسانيتها وآدميتها يمكن لها أن تتصدر منصات الخطاب الأدبي بل والخطاب السياسي. ذلك أيضا يحتاج إلى تعديل المناهج الدراسية التي ترسم للطفل الطالب "صورة أمه وأخته اللتين في المطبخ وصورة أبيه وأخيه اللذين يشاهدان التلفاز" تحقيق المساواة يحتاج إلى إعادة خلخلة السائد الثقافي وتصحيحه ولن يتم ذلك إلا بالقانون والقانون الفعلي فقط.

> **المرأة الكاتبة تجد نفسها في نهاية المطاف في مواجهة ليس فقط الظرف السياسي أو الاجتماعي بل والعائلي حين يعاديها ابنها أو أقاربها الرجال الذين يوصلون لمسامعها ما يسيء لاستقرارها**

بالنسبة إليّ، فقد واجهت في بداياتي ما تواجهه أيّ كاتبة عربية إذا استثنينا المعوقات الاجتماعية، فثمة المعوقات الثقافية التي كانت تجبرني وأنا أتوقف عند صورة شعرية باذخة الجرأة في أن أبوح بتفاصيلها للمتلقي العادي، لذلك أستخدم أسلوب الترميز لأوصل مضامين كتاباتي للقارئ المتخصص، بمعنى أنني أهرّب أفكاري بحقائب الرمز لتعبر القارئ الرقيب، شأني في كتاباتي النقدية شأن المبدع الذي يوظف الرمز ليغلف بنية المسكوت عنه، ومن ثم فقد توقفت بالنقد لأجرأ النصوص التي تناولت البنية الثقافية والاجتماعية للبيئة العربية ولكتاب احترفوا الكتابة وأتقنوها.

أما السؤال عن تراجع المشروع النقدي والفكري للمرأة، وعلاقته بسياسات البنى الفوقية المتحكمة فهو سؤال بقدر ما هو بسيط بقدر ما هو يضع اليد على الجرح، فالبنى الفوقية المتحكمة لها علاقة بكل الذي ذكر آنفا لا سيما وأنها توظف الخطاب الديني لخدمتها، ولمصلحتها، فتلك "البنى الفوقية" من مصلحتها تجهيل العامة "البنى الاجتماعية وتحديدا الفقيرة"، ولن يتم السيطرة عليها دون خطاب "الحرام والحلال" وأول خطوات الحرام هو "صوت المرأة"، ولنا أن نخمن كيف هو حال "المشروع النقدي والفكري للمرأة" التي هي ابنة هذا المجتمع، وكيف هو "تحررها". بالمناسبة "تحررها" وحسب تلك المنظومة "تعني الخلاعة في اللبس والفعل والمروق عن النهج"، وليس القدرة على صناعة القرار وممارسة دورها الإنساني ولذلك فهو ما يدخل هنا في باب "الحرام" أو "العيب" في أقل تقدير.

المرأة الكاتبة تجد نفسها في نهاية المطاف في مواجهة ليس فقط الظرف السياسي أو الاجتماعي بل والعائلي حين يعاديها ابنها أو أقاربها الرجال الذين يوصلون لمسامعها ما يسيء لاستقرارها، حين تجد نفسها وحيدة بعد أن جاهرت بعدائيتها حارسات الثقافة الأبوية من النساء سواء الكاتبات أو بنات عائلتها، حين تجد نفسها دون معاش يكفل لها حياة كريمة ككاتبة وتجد نفسا مضطرة لأن تكون عالة على عائلتها، حين تجد نفسها مطلقة ودون معيل بسبب كتاباتها، نعم تتوقف عن الكتابة أو أن تغير مسارها على الأقل. وفي ذهني وأنا أذكر هذه الأمثلة حشد من الكاتبات المطلقات أو الأرامل دون معيل لأن الدولة لم تخصص لهنّ ما يحفظ لهن ماء الوجه. يتوقفن لأنه لا يوجد تقدير اجتماعي وثقافي للمرأة الكاتبة إلا فيما ندر.

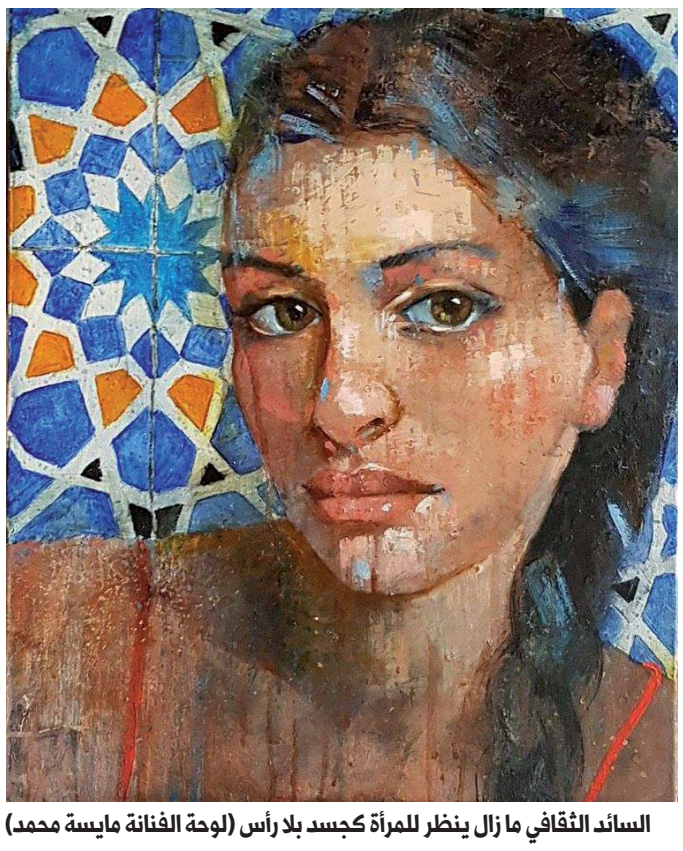

السائد الثقافي ما زال ينظر للمرأة كجسد بلا رأس (لوحة الفنانة مايسة محمد)

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

الخروج من الظلّ وعلى الأسطورة

سمية عزام
قاصة وناقدة لبنانية

استنطاق التجربة النقديّة النسائيّة المتأخّرة عن اللحاق بالنتاج الإبداعي الأدبيّ، أو عن مثيلتها الذكوريّة، ينطلق من ملاحظة مبتسرة لواقع مبتور من تاريخه، ومن أسطرة ثقافة أفرزت الواقع والتاريخ معًا، وهي مسؤولة في الوقت عينه عن تغييب رموز وتهميش ما لا يتوافق مع مفاهيمها. وفي الإجابة عن السؤال، إقرار ضمني بالمشكلة التي تلتمس تصوّرات حلول. إزاء أسئلة النقد النسائيّ يطرح المقال أسئلة عمّا ولّدها وزكّاها ورسّخها؛ وبعض التفاصيل شواهد -بأقلامهنّ- تدحض الأسطورة، وتفيد في إنعاش الذاكرة ونفض غبار التغييب عن رائدات في الفكر والوعي النقديّين.

من بين اتّجاهات تعريف الأسطورة الاتجاه البراغماتي الذي جاء به عالم الأنثروبولوجيا مالينوفسكي (1884–1942) قائلًا إنّها «عمليّة (براغماتيّة) في منشئها وغايتها؛ إذ أنّها تنتمي إلى العالم الواقعي وتهدف إلى ترسيخ عادات قبيلة معيّنة أو تدعيم سيطرة نظام اجتماعي ما». إذن، ترسّخت أسطورة البيولوجيا الأنثويّة، ودعمتها منظومات ثقافيّة أبويّة استندت إلى المقدّس لتوطيد أفكارها وتجذيرها في الوعي الجمعي، ومن ثمّ في اللاوعي الفردي، مثل أسطورة خلق زيوس لباندورا عقابًا للبشر.. فترى المفكّرة النسويّة سيمون دو بوفوار (1908–1986) أنّ «الطبيعة كالحقيقة التاريخية ليست معطى ثابتًا. والعلوم البيولوجيّة والاجتماعيّة لم تعد تعتقد بوجود كيانات ثابتة لا تتغيّر وتحدّد صفات معيّنة؛ فالسّمات رد فعل ثانوي على وضع ما. إنّ تطوّرًا تاريخيًا ما يفسّر وجود وضع معيّن للمرأة».

الأمر الذي يسجّل بشأن الاشتغال النقديّ-الفكريّ الأنثويّ يتعلّق بالزّمنيّة، والكمّ والتراكم والامتداد. ولئن كان النقد تنظيرًا وتطبيقًا يأتي في انشغاله لاحقًا على التجربة الإبداعيّة، فمن البداهة أن يتأخّر النقد خطوة عن التجارب الإبداعية شعرًا ونثرًا، ولا سيّما في السّرد الأقدر، في الزمن الرّاهن، على رصد تحوّلات الواقع وإعادة إنتاج قضايا المجتمع المنبثق عنه؛ وإن تنبّأ بتحوّل ما من خلال تجارب متناثرة هنا وهناك قد تحدث انعطافة وترهص بالتحوّل المتوقّع ذاك، فيأتي النقد والحال هذه، متقدّمًا على النصّ برسم رؤية مستقبليّة لتجنيس أو تنميط كتابيّ ما. هذا في ما يتعلّق بتأخّر النقد عن التجارب الأدبيّة بشكل عام، أمّا إذا تأخّرت التجربة الإبداعيّة النسائيّة عن قرينتها الذكوريّة أو لم تكن بالحجم والمستوى الكافيين لنقدها، فالأمر مماثل بالنسبة إلى النقد الذي يُعنى بهذه التجربة.

من ردّ الفعل إلى الفاعليّة

في «مؤنّث الرّواية»، ترى يسرى مقدّم أنّ الرجل سيطر على قوى الإبداع الروائي حقبة كبيرة من الزمن، وخلق من المرأة نموذجًا خاصًا بفكره، وقولبها بحسب نظرته إليها لا بحسب ماهيتها. والآن بعد أن أخذت بيدها زمام المبادرة، راحت تعبّر عن نفسها بواقعيّة. وفي المعنى عينه، تشير سعيدة تاقي في مقالها «شرارة التغيير وقوقعة الماضي»، (مجلة "الهلال"، مارس 2017) إلى أنّ التبعيّة نتيجة حتميّة لغياب الاستقلاليّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ومن ثمّ الاستقلاليّة السياسيّة والفكريّة؛ فالتابع لا يملك حق الاختيار المستقلّ والحرّ. وتتابع القول إنّ ما يصدق على الاختيار الحرّ يصدق على كل أفعال التفكير والتخطيط والتدبير. وفي العدد نفسه من المجلة، تورد شذى يحيى تحت عنوان «القوميّة المصريّة وتحرير المرأة قبل ثورة 1919» زعمًا لأمين خوري مفاده أنّ من اشتهرن من النساء هنّ من فلتات الطبيعة كجسم حيوان ورأس إنسان. وقد اهتمّت مجلة «الفتاة» آنذاك بالردّ على هذا الزّعم وغيره من مزاعم الكارهين في بدايات عصر النهضة.

> لا انفصام بين اللغة العربيّة، بوصف اللغة نظامًا بنيويًا من علامات وعلاقات ورموز وذات محمولات ثقافيّة، وبين المرأة

مسألة الاستقلال والاستغناء بوصفهما الخطوة الأولى نحو التحرّر، أكّدتها نوال السعداوي، وهي علامة فارقة في الحركة الفكريّة النسويّة، قائلة إنّها جاءت من مجتمع يقدّس السلطة الحاكمة في السّماء والأرض. وتورد في كتابها «تأمّلات في السياسة والمرأة والكتابة» شاهدًا دالًا على النهضة الثقافيّة الصينيّة الحقيقيّة، في أنّها حدثت في ثورة أيار 1919، حين أعادت قراءة التراث الصّيني ونزعت القدسيّة عن كونفوشيوس وجميع الأباطرة والملوك. معنى ذلك، تأكيد ضرورة التحرّر من قيود التقديس لحاكميّات المنظومتين الدينيّة والسياسيّة.

وتلاحظ ليلى الرّفاعي في أطروحتها المعنونة «فكر تربية المرأة العربية في عصر النهضة (مصر وبلاد الشام)» أنّ المجتمعات العربية عانت من نوع من مرض الفصام الاجتماعي... «وحاول المجتمع بمؤسّساته جميعًا أن يهمّش المرأة ويقصيها عن العمل الاقتصادي وعن العمل السّياسيّ، لأنّ معادلة التغيّر، مع المطالبة بحقوق المرأة، يشكّل تهديدًا للبنى الاقتصاديّة والأنظمة السّياسيّة والمؤسّسات الدّينيّة والتربويّة».

إنّما لا انفصام بين اللغة العربيّة، بوصف اللغة نظامًا بنيويًا من علامات وعلاقات ورموز وذات محمولات ثقافيّة، وبين المرأة. إذ رأى النحاة أنّ المذكّر هو الأصل والمؤنّث هو الفرع، والأمثلة كثيرة على هذا المثال، وتحتاج إلى إفراد مبحث مستقل لها. هذه الفكرة وإن تسرّبت من لغة التواصل إلى البنية الذهنيّة لأفراد المجتمع، فإنّ ميراثًا ثقافيًا اجتماعيًا عريقًا أفرز التقعيد لها والقياس على هذا النحو.

الأسئلة التي طرحت في عصر النهضة، وما بعده ما زالت قائمة، وإن خفت صوتها المقلق في بعض المجتمعات العربيّة، الأمر الذي يؤكّد ما تبيّنته الكاتبات العربيّات على توالي الحقب.

المرأة-الكلمة: أن تكون المرأة كاتبة

في كتابها «نقد المسكوت عنه في خطاب المرأة والجسد والثقافة»، تدين أمينة غصن الانحياز السّافر للذكورة التي رافقت فيه الأديان الفلسفة، قائلة إنّ «خطاب الجنّة وكل ما يحفّ به ويفصح عنه، يتّخذ نبرة ذكوريّة، ويقوم على أرضيّة ذكوريّة.. النساء غياب كمعنى متفرّد، قائم بذاته». وتورد قولًا لعبدالحميد بن يحيى الكاتب، في معرض تفصيلها في سكن المرأة الهامش وشغل الرجل المتن، «خير الكلام ما كان لفظه فحلًا ومعناه بكرًا»، مُدينة هذه القسمة الثقافيّة، ومعقّبة بالرأي أنّ الكتابة هي المصهر الجامع والموحّد بين اللفظ والمعنى، ومستندة إلى أنطولوجيا «الكلمة» لدى ابن عربي، إذ فسّرها بأنّها «الأنوثة» السّارية في العالم، حيث أنّ كل حقيقة مفردة هي حرف، وكل حقيقة مركّبة هي كلمة. فالكلمة الحاضنة للحروف تعني الليونة وقابليّة التشكّل بهيئة الحروف. ولكي تنفي الناقدة بداهة غلبة التذكير على التأنيث أو استغنائه عنه، تصف، في تمثيل رمزي للتذكير والتأنيث، القلم بالطاقة المتحرّكة، والدّواة بالطاقة المكنونة التي تحمل كل إمكانيّات التشكّل والوجود. فالقلم في علاقته بالمعاني لا يسعى للتسلّط عليها، وإنّما لإغوائها... فهو وعلى لحظة الإبداع يشدّه انبثاق فجر جديد يشعّ في الكتابة نفسها.

هذا الخطاب، وإن جاء في معرض ردّ فعل على خطابات تهميشيّة وإقصائيّة للمرأة ودورها، رسّخها كلّ من التاريخ والجغرافيا واللغة، فهو يحمل رؤية نقدية ترى التكامل في فعل التأسيس. في الكتابة فعل وانفعال وفاعليّة أثر، وذات وموضوع ينجدلان في الكلمة، ولفظ ومعنى وصورة ثالثهما، نون (دواة) وقلم، لا يُسأل متى ينتهي دور القلم ليبدأ دور الدواة. والتجارب الفكريّة النسائيّة ليست واحدة، وهذا ما أوضحته الناقدة البلغاريّة الفرنسيّة جوليا كريستيفا في قولها إنّ «كل امرأة تراكم في وجودها النفسي والاجتماعي تجارب عقليّة ووجدانيّة وجماليّة متنوّعة ومختلفة تميّزها عن الأخريات».

بانوراما تاريخيّة

يقاس الحضور بحجم الفاعليّة، بما يضيف ويبني ويعدّل ويحدث انعطافة في مسار التاريخ وحركته. في الجدول أدناه أسماء لكاتبات رائدات، في عصر النهضة، تركن آثارًا ملحوظة، لا سيما في الصحافة الأقدر على التأثير:

زينب فوّاز (1846–1914): كتاب "الدّرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور" ترجمت فيه لـ456 امرأة شهيرة في الشرق والغرب

مريم النّحّاس (1856–1888): جمعت كتاب سير ذاتيّة: "معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء" (1879)

هند نوفل (1875–1957): أسّست مجلّة "الفتاة" (1892)

ألكسندرا خوري (1872–1927): صاحبة مجلة "أنيس الجليس" (1898)

هدى شعراوي (1879–1947): أسست مجلة "الإجيبسيان" بالفرنسيّة

لبيبة هاشم (1882–1952): أنشأت مجلة "فتاة الشرق" في مصر(1906–1939) وتولت إدارة جريدة "الشرق والغرب" في الأرجنتين.

جوليا طعمة (1883–1954): أنشأت مجلة "المرأة الجديدة" (1921) وألّفت كتاب "ميّ في سوريا"

نبوية موسى (1886–1951): أصدرت مجلة "ترقية الفتاة" (1923)، ومجلة "الفتاة" (1937)

حبّوبة حدّاد (1897–1957): أنشأت مجلة "الحياة الجديدة" في باريس

سلمى أبي راشد (ت 1919): صاحبة مجلة "فتاة لبنان" (1914)

عفيفة صعب (1900–1989): صاحبة مجلة "الخدر" (1919)

ثمة أعمال نقديّة مبكرة بأقلام أنثويّة حاولت رصد الحركة الأدبيّة النسائيّة، كدراسات ميّ زيادة (1886–1941) حول رائدات ثلاث، هنّ وردة ناصيف اليازجي (1838–1924)، وعائشة تيمور (1840–1902)، وباحثة البادية (ملك حفني ناصف 1886–1918). مشيرة في حديثها عن التيموريّة إلى أنّها «رسمت من الذّاتيّة خطًا جميلًا حين كانت صورة المرأة سديمًا لمخبوءًا وراء جدران المنازل وتكتّم الاستئثار».

وليس بالجائز لأيّ باحث في هذا المجال، القفز على تجربة نازك الملائكة (1923–2007) النقديّة الرّائدة في قضايا الشعر، تنظيرًا وكتابة للشعر الحرّ، ومثاله قصيدة «الكوليرا» (1947)، مفتتحة عهدًا جديدًا للشعر العربي.

لوحة الفنان وليد نظمي

نقد كاشف للتسلط الذكوري

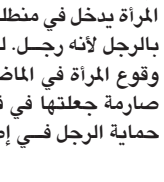

رزان إبراهيم
ناقدة أردنية

على مدار سنوات كان المطلوب من المرأة أن تصمت، فالرجل ملك القوة في التاريخ والأدب، وقد أثار احتمال ظهور ناقدات على الساحة الثقافية قدراً من القلق لديه، بل تراه قد توجّس خيفة من امرأة تتولى سلطة في جمهورية النقد العظمى، تتشجع من بعدها فتمارس ملكاتها النقدية على الأدباء الرجال، ومن ثم تفرض سطوتها في العالم الكبير خارج نطاق الكتابة، لذلك فإن الحديث عن الفكر النسوي لا بد من معالجته ضمن سياق عربي طويل عاشت فيه المرأة فترة من الإقصاء والتهميش، وكثيرا ما اختزل دور المرأة في دائرة أنماط معينة،عمدت إلى تأطير حركة المرأة تجاه الفكر والنقد، بل ونلمس حرصا على عزلها عن محيطها الاجتماعي وعن الاحتكاك المباشر في الحياة، مما أفقدها قدرتها وفعاليتها في اكتساب الوعي اللازم. وحتى وإن دخلت المرأة عالم النقد فإنك تجد من يتحدث عنها باعتبارها جسدا جميلا وليست عقلا جادا، كما فعل العقاد حين استخف بأدب مي زيادة جاعلا منه صالونا أنيقا وليس قلما كاتبا.

في حديثنا عن حاجة المرأة إلى مناخ صحي يحتضن مجمل الحالة الإبداعية للمرأة، أستحضر ما افترضته فيرجينيا وولف عن أخت عبقرية متخيلة لشكسبير، يقابل طموحها بالسخرية وينتهي بها الحال صديقة لرجل يصيبها بخيبة توصلها إلى اتخاذ القرار بالانتحار. لذلك فإن القول بأن الرجل مفكرا وناقدا يفضل المرأة يدخل في منطلقات جنسوية تحتفي بالرجل لأنه رجل. لذلك أعود وأؤكد على وقوع المرأة في الماضي تحت أعباء رقابة صارمة جعلتها في فكرها منضوية تحت حماية الرجل في إطار نظام من العادات والمفاهيم الاجتماعية الصارمة التي أدخلتها في حالة من الركود على صعيد أكثر من مسار ثقافي بما في ذلك الفكر والنقد.

واحدة من الأساليب المتبعة في خلق مناخات طاردة للمرأة الارتكاز على البعد البيولوجي الذي ينفيها كائنا قادرا على النتاج الفكري والنقدي، مع إغفال منظومة اجتماعية حرصت عبر سنوات على تأطير نتاج المرأة بكل السبل الممكنة. من هذه السبل، نذكر ما يشيع من قول بأن المرأة لها تكوين عاطفي خاص يصعب عليها الخوض في الأمور العقلانية كما يفعل الرجل، وهو خطأ شنيع ومرفوض يستغل الفروق البيولوجية ويحولها إلى فروق عقلية وفكرية ونفسية في الوقت ذاته، ويسوغ غياب المرأة عن الفكر والنقد اللذين يحتاجان عقلا، بينما ينسب إليها كتابة أدبية تنهل من العاطفة، وهو ما يشبه إلى حد بعيد أحكاما تقر بكل بساطة بأن النساء أقرب إلى الحساسية الوجدانية منهن إلى الحساسية النقدية، فهن يقرأن ويسمعن بروح نقدية أقل من الرجال، دون أن تكون لديهن اليقظة اللازمة لاكتشاف الأخطاء. وهو ما يدخل في إطار انطباعات مكرورة لا ركيزة علمية لها البتة.

صحيح أن النتاج الروائي للمرأة أكثر غزارة من النقدي، ولكني أحيل هذا إلى ساحة ثقافية مكتظة بعدد كبير من روايات يكتبها الرجال كما النساء يفوق كتب الفكر والنقد بكثير، وإن كان هناك ميل باتجاه القول بتأثير تركته الرواية التي تكتبها المرأة يفوق ما كتبته في عالم النقد، فهي حالة عامة أيضا تنطبق على الجنسين، أضيف إلى ما سبق في تفسير أثر النقد على المتلقي العربي بوجود حالة نقدية عربية عامة تستند إلى نقد غربي يطبق ما هو غربي على المرأة العربية، وهنا يحق لي السؤال فيما إذا كانت النظرية النقدية الغربية قادرة على تمثل خصوصية المرأة في المجتمعات العربية؟ وجوابي أختزله بظني أن تبعية الناقدة لنظريات قادمة من الغرب لها محاذيرها التي تستدعي ضرورة صياغة النظريات القادرة على تمثل الوضعية العربية بما يتلاءم ومتطلبات مجتمعاتنا والتحديات التي تواجه المرأة العربية.

إن قسما من النتاج النقدي والفكري للمرأة العربية متمحور حول الوقوف على حالات الهيمنة الذكورية، بمعنى أنه نقد معني بالكشف عن علاقات التسلط والهيمنة ومواجهة أنماط سلوك ذكورية يمارسها مجتمع حريص على تثبيتها، وإعادة إنتاجها لصالح الرجل. من هنا يشيع في النقد الذي تكتبه المرأة تفكيك كل ما من شأنه إعادة إنتاج أنساق ثقافية تعمل لصالح جنس معين، على حساب الآخر. وهو ما يقتضي أسئلة من مثل: إلى أيّ حد يقع النص قيد الدراسة في مطب تنميط المرأة؟ وهل كانت صورة المرأة قريبة من واقعها؟ كما تحتفي المرأة الناقدة بنصوص سردية تحضر فيها النساء نماذج مغايرة للنمطي المتداول حول نساء بقين مرهونات في ثنائيات من مثل "القديسة قبالة الغانية". وكثيرا ما تستنكر الناقدة المرأة نصوصا عمادها تنميط يحط من شأن المرأة، أمام تصعيد فاعل وإيجابي للرجل.

إن المتابع لنتاج المرأة النقدي لن يفوته نمط يحمل خصوصية تستدعي أساسا أيديولوجيا يطالب بتمثيل عالم المرأة على الصعيد البيولوجي والثقافي والنفسي، كما ينتصر لكتابة عارفة ومنخرطة بكيان الذات الأنثوية، علما أن كتابة نقدية على هذه الشاكلة التي ذكرت لا تعني البتة أن المرأة مهمومة بالخاص وحسب.

لوحة الفنانة علا الأيوبي

الخوف من الكتابة

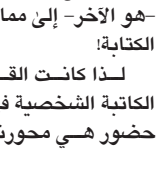

سوسن ناجي
أكاديمية مصرية

لقد تغيرت الأزمنة والمعايير، ولم يعد هناك مجال -ونحن في مطلع القرن الحادي والعشرين- للحديث أو الشكوى من صمت المرأة! فقد اخترقت المرأة مجال الأدب، وأصبح رواج أسماء الكاتبات أمراً عادياً، وانطوت صفحة طويلة من الثقافة العربية كانت "تتحدث عن المرأة بعداء واستهانة"، في صورة أبرزها منع النساء من تعلم الكتابة"! وهو القانون الذي وضعه "خير الدين نعمان بن أبي ثناء" في كتابه "الإصابة في منع النساء من الكتابة" ومن قبله "الجاحظ"، والذي رأى أن "الكتابة للرجل هي شرف وحق، والكتابة للمرأة خطر، لأنها وسيلة جنسية تفتح علاقات العشق والرفث"...

إن مسار الحديث -إذن- قد تغير بتغير الزمن، وبديلاً عن الحديث عن ثقافة تعمل على إلزام المرأة الصمت أصبح الحديث عن ثقافة تحتفي بكتابات المرأة، والقيمة التي تعود على المجتمع من استنطاق نصوصها، والاقتراب من عالمها بتفكيك كتاباتها لقراءة ما سكتت عنه، وما خافت فلم تُقله؟

وإذا كانت الثقافة قد تغيرت، ومعها تغيرت مفاهيم الأدب، فكان لا بد وأن تتغير معها الصورة التقليدية للناقد؟ فبعد أن كانت هذه الصورة تُعنى باكتشاف المؤلف من وراء السطور غدت مجدداً تُعنى بأن يلتحف -الناقد- عباءة المرتحل في أفق المعنى. وهو أمر يدفعه إلى معاودة الكتابة في كل مدخل ومخرج من مخارج النص. وبهذا يتحول النقد -هو الآخر- إلى ممارسة من ممارسات الكتابة!

لذا كانت القراءة لتجربة المرأة/الكاتبة الشخصية في الأدب من حيث هي حضور هي محورنا نقدياً بهدف قراءة المناطق المعتمة من كتابتها نصياً، وما لم تفصح عنه الكتابة -بوعي أو دون وعي- كمنطق أولي من منطلقات القراءة النقدية والتي تفيد من تفكيكية دريدا أو مفاهيمه عن الاختلاف والإرجاء لعملية توليد المعنى، ومن خلال جدله المستمر مع ثنائية الحضور/الغياب؛ حتى تتسنى قراءة دواعي خوف المرأة/غيابها، صمتها أو هروبها في النص ومن النص كذات مستلبة، أو وعي يعاني ثمة اضطهاد!

> إشكالية دخول المرأة المتأخر إلى ساحة الكتابة أكبر علامة استفهام تعكس معنى الخوف

وتبقى إشكالية دخول المرأة المتأخر إلى ساحة الكتابة أكبر علامة استفهام تعكس معنى الخوف وقد بلغ هذا التأخر قروناً، الأمر الذي انعكس على لغتها وفكرها، وحواسها وأسلوبها، غير أنها "إذا كانت بدأت مجدداً تتعلم وتعمل وتعيش في ظروف تكاد تشبه الظروف التي يعيش فيها الفتى.. وقد تخلصت من ذلك الحرج الذي كانت تعانيه جدتها، فليس معنى ذلك أن لقاءها مع الرجل قد خلا من العقد الكبيرة التي تؤثر في العلاقات بين الرجل والمرأة دائماً.

العرب الثقافي
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

نقد النقد الذكوري

زهراء منصور
كاتبة بحرينية

يؤمن المجتمع بكمية مسلَّمات تجعل السائد هو القانون الأقوى، والسؤال هنا يحمل كفتين مهمتين: المرأة والفكر! المرأة تحتاج كامل الطاقة والدعم لتمارس حقوقها الطبيعية في الحياة، بعيداً عن الكلمات التسويقية الرائجة الآن: القوية/المستقلة/الحرة، ولكن بمضمونها الذي يهيئ أن تكون هناك أنثى مفكرة، تتحرك داخلها مجموعة شكوك، وتساؤلات وعمليات ذهنية معمقة، فتحقق نتائج ملموسة تستحق أن تظهر للعلن مقابل المسلَّمات المعتادة. فأين الأنثى من كل هذا؟ إن تحقيق الشرط الأول في الاكتمال يتطلب منها صعود درجات، والقفز بينها أحياناً، لأن المجتمع الذي لم يستطع أن يبرز إمكانياتها سيكون أول من يدعو لقص جناحيها النابتين بجهدها، والشواهد شرقاً وغرباً؛ من سيمون دو بوفوار، وليس انتهاءً بفاطمة المرنيسي.

لا تتحمل المجتمعات العربية وحسب العبء الأكبر في التفريق بين الجنسين لصالح الذكور. فالمجتمعات الشرقية كلها مدينة للمرأة على الخيبات التي تلحق بها جراء هذا التراكم الممتد منذ زمن غير محدد، ربما كان هذا من وقت الوأد! لازالت الجاهلية تمارَس بأشكال أخرى تحجب هذا الحضور أو تحجِّمه، ولازالت المرأة لو خرجت عن النسق المجتمعي، لتلقفتها الأصابع الدالة على أنها متمردة و"خارجة". أقول هذا، برغم كل الزخم الثقافي الذي أعطى للمرأة أولوية وتفوقا بجهدها، الذي يشترط -بالمقابل- ألا يتعدى المسارات المحددة التي رسمها لها مبكراً. سابقاً كان المجال المفضل للمجتمع بالنسبة إلى الأنثى المتعلمة هو التدريس، لانحصار أدواره في توقيت محدد، وفئة معينة. فلما تقدم الزمن، وتطور، وأتيح للإناث الحصول على الشهادات العليا من أرقى الجامعات، تحوّل هذا المجال المفضل إلى التدريس في الجامعة، كمخرج بين مواكبة التطور والتشبه بسلوك الناس المتحضرة، وضمن المعايير المطلوبة، بينما الخروج عن هذه الدائرة يتطلب جهداً مضاعفاً من الأنثى نفسها، وبدفع ذاتي، لأن وجودها المتفرد سيضعها في دائرة الضوء التي تخشاها هي نفسها قبل مجتمعها.

كل الإشارات تدل على أن الذكورة مرتبطة بالجوانب العقلية. فالجانب الديني يلجِ إلى أن الأنثى في توقيت ما تكون "ناقصة عقل ودين"، تؤخذ في المجمل لصالح الذكورة التي ترتبط -حسب هذا الوصف- بالعقل ورسوخه. والجانب المجتمعي يعزز من حضور الذكر منذ الولادة، ويضع قيمة لمجمل أعماله، خاصة المرتبطة بالتميز، بينما تحتاج الأنثى إلى المطالبة بحقها في الاختيار والحياة إن قررت أن تشق طريقاً مغايراً عما جبلت عليه قريناتها في نفس المحيط، والرد على تهمة "الاسترجال" التي ستأتيها تلقائياً إن رغبت في نهل المزيد من العلم! لن نندهش من وجود الذكور الطبيعي، ولن تفوت الإناث الباقيات الدلال والخصوصية التي تتمتع بها في الخيار الأسهل المتاح، والمحصور في رموش طويلة، وأظافر مصقولة، وصورة جميلة.

وبصدد السؤال عن أسباب عدم نجاح المرأة العربية في رسم ملامح المساواة في المشهد الفكري، مقابل حضورها المتنامي في المشهد الأدبي، فإننا لو فكرنا في العودة للمربع الأول، سنجد أن قيمة المساواة كانت موجودة في حال الاتفاق على المسؤوليات بالتحديد؛ سيكون الرجل مسؤولاً عن أعباء البيت المادية في خارجه، والمرأة ستقوم بالمهمة بالكامل في داخله، والشراكة ستكون في تحمل الأعباء التالية بالشراكة المتراضية. لما اختلطت هذه الأدوار، حصل الالتباس، وتخبطت المسائل. هذا على المستوى المادي الملحوظ، أما في المشهد الفكري؛ فالمطالبة بالمساواة ليست مستحيلة، لكنها ممكنة، لأنها تتجه لفئة معينة من الناس، التي من الممكن أن تؤمن بك من دون معرفة شخصية، وعبر المنجز المادي فقط. عدا ذلك، لم تنجح المرأة -على أصعد كثيرة- في أن تكون على قدم المساواة مع الرجل في كثير من المجالات، لذلك هي تحتاج أن تثبت نفسها عبر منجزها أولاً، ومن ثم ستكون المساواة التي ستأتي، وتكون خطوة لاحقة وتلقائية.

أي مشروع نقدي هو فتح جبهة مع آخرين؛ طرف معنيّ بالنقد الموجه، وطرف آخر يتابع هذا النقد، ويكون رأياً بناء عليه. وعلى الناقد الوقوف بصلابة لتقييم وحكم نقد أدبي وفني، لأنها عملية كاملة، جمعية، مؤثرة، وموترة، صاحبها وصل إلى مستوى معين من الفكر. من سيود بعد ذلك إثارة الزوابع المقصود منها الإقصاء والتهميش و"الستر" في مفهومه العجائبي الضيق؟ من سترغب من الإناث أن تنشغل عن إنجازاتها بدخول حلقات صراع من أطراف عدة، هي طرفها الأضعف الدائم.

ولكن هل يمكن القول إن ندرة المفكرات العربيات راجع بالأساس إلى الظروف التاريخية والثقافة الاجتماعية والسياسية، أم لعوامل ذاتية خاصة بالمرأة؟ الإجابة عن هذا السؤال تقتضي بحوثاً معمقة، على أن كل تلك الظروف أسباب رئيسية في الندرة. لكن قبلها، هل هناك دافع داخلي قوي في الأنثى يدفعها لشقاء سعيد، لا تقدر عليه كثيرات.

لوحة الفنان بهرام حاجو

> أي مشروع نقدي هو فتح جبهة مع آخرين؛ طرف معنيّ بالنقد الموجه، وطرف آخر يتابع هذا النقد، ويكون رأياً بناء عليه

وبمعزل عن كمّ الكتابات الإبداعية -مجازاً- المصنفة تحت بند الروايات والشعر والأشكال الأدبية الأخرى، والتي تزدان بها المكتبات، تقف كتب النقد المهجورة بتوقيع إناث على زاوية خجولة من مجمل النتاج الفكري، يأتي بعضها كمشاريع للرسائل الأكاديمية التي تتوقف عندها أسماء كثيرة في الظل، تظل حبيسة المكتبات لدواعي التخرج ونيل الدرجات العلمية والترقي المهني. أما على مستوى الواقع، فمن الصعب حساب هؤلاء الأكاديميات مع الباحثات اللاتي يخضن معركة حقيقية مع الحياة. فإن كان الإنتاج الفكري قليلاً بشكل عام، فكم سيكون نصيب الإناث منه؟

النقد الذكوري

يعمل النقد الذكوري على محاولة تفكيك العمل الإبداعي إرجاعاً لجنس كاتبه، وهو عمل لا ضير فيه، بل إنه يشكل إضافة للنقد، في توضيح الأثر، سواء عبر التعبير عن جنس الكاتب/ة أو الجنس الآخر. لكن النقد المبالغ فيه في إظهار أن رواية الأنثى "بؤرة أحاسيس"، بينما يعيد الراوي الذكر "بناء العالم"، كما يذكر الناقد جورج طرابيشي، في إشارة إلى احتكار كل من الجنسين جزءاً محدداً لا يستطيعان المزج بينهما. وبهذه العقلية، تعرَّض لروايتين من أعمال نوال السعداوي، الشخصية الجدلية، والتي خرج فيها بتيقن عن ربط بطلة الرواية بالسعداوي شخصياً، نظراً لما حملته من تمرد جعل هاجسها الكبير التفرد، والذي حوّلها -حسب وجهة نظر طرابيشي- إلى المصابة بـ"العقدة الدونية الأنثوية"، مع الإشارة إلى استخدامه منهج التحليل النفسي لهذه الدراسة. وحتى النقاد الذين تناولوا الأعمال الإبداعية والنقدية للإناث لم يخرجوا عن تصنيفهم الرئيسي المتكئ على الجندر، دون الفصل التام بين المنجز وصاحبه.

تجربة المرنيسي

لا يمكن لأنثى تغرد خارج السرب أن تنجو بنفسها في عالم لا ينتظر منها إلا القبول و"الستر". القويات هن القادرات فقط على التعبير عن آرائهن المختلفة التي قد يهاجَمن عليها. ومع العلم المسبق بردة الفعل هذه، إلا أنه يأتي وقت لا بد من الظهور بما يعتمل في النفس، وتكون الآراء نابعة من عمل بحثي ودراسة، وليس من منطلق شخصي وهوائي، وهو ما فعلته نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي في دراساتهما وأعمالهما الإبداعية، فهوجمتا من قبل أقرب الناس لهما، قبل المجتمع الذي يمثل النقاد جزءاً منه، غالباً بالهاجس، ودائماً بالرفض. فالمسألة متعلقة بالصحوة والوعي في تقبل رأي مغاير عن السائد. لذلك أرى أن التسويق للرأي، دون شعارات مستفزة للإناث قبل الذكور في المجتمع، مهمة جداً، ورئيسية لطرح أيّ فكر، وقراءة المجتمع بشكل صحيح، حتى لا يصبح هذا الفكر محل نقاش عقيم يوأد قبل أن يخلق، وهذا ما مارسته المرنيسي بذكاء وتأنٍّ، رافضة الاشتغال تحت تصنيفات نسوية أو غيرها، بينما كان كل ما تنجزه لصالح بنات جنسها. وعلى الرغم من الآراء المهمة والجدلية التي تثيرها السعداوي عبر تخصصها، أو منجزها الإبداعي، لا تبدو على نفس مستوى القبول نقدياً أو شعبياً، وهو التحذير الخفي لكل من تفكر التقدم في دائرة الضوء، لتذكّر نفسها بالعراقيل التي ستكبر مع بروز اسمها ولمعانه.

أما بصدد ما هو تقييم حجم مساهمة المرأة في الجهد الثقافي النقدي اليوم، والسؤال يشمل حضورها في الثقافة العربية بصورة عامة، فمن الواجب الالتفات أولاً إلى ضرورة عدم التمييز جندريا في التعامل مع المنجز الإبداعي، حتى لا تقوى فكرة العقلية التقليدية المنحازة للذكور، والاحتكام يكون لمعايير الجودة والقوة والرصانة والإبداع. ويمكن أن يكون حجم المساهمة المادية من الإناث قليلاً وخجولاً على مستوى النشر والطباعة والظهور الإعلامي، وربما كان ذلك على المستوى الإبداعي أيضاً. فليس كل منتج أنثوي هو منتج بديع بالضرورة، لكنه ليس كذلك إن كان على مستوى الدراسات العليا التي ترفد مكتبات الجامعة بعدد غير قليل من "الجهد الثقافي النقدي" إن جاز لنا التعبير. لذلك فإن الظهور في العلن له متطلباته التي لا ترغب أو لا تستطيع الإناث إليها سبيلاً.

وفي نظري أخيراً، أن النظر في مدى أهمية المنجز النقدي والفكري النسائي في العشرية الأخيرة على نحو خاص يحتاج إلى دراسات ونوعا من التقصّي. ولكن في نظري إنّ كل منجز نقدي وفكري هو ذو قيمة، ومقدر، لكن المنجز المميز المقرون بالأنثى له تقدير وقيمة أعلى. فإن سعى المجتمع إلى تهميش الأنثى بداوعي الدين والعرف والعار والعيب، واستلّت هي لنفسها مكانة مميزة ومفيدة تقف عليها، فهذا أمر يدعو للفخر، في القدرة على العطاء والاستمرار. لم يعد يوجد -اليوم- في المجتمعات العربية مجال ثقافي يخلو من وجود الأنثى التي تضيف إليه قيمة مضاعفة، عبر الاحتفاظ بالأدوار التقليدية، والنهوض في أدوار أخرى جديدة تليق بها.

لوحة الفنان بهرام حاجو

لا مفكرات عربيات

سعاد العنزي
ناقدة كويتية

بشكل عام أرى أن نتاج المرأة العربية هو نتاج كمي وكيفي يكاد يقارب في العدد إنتاج الرجل، ولا يقل في أهميته عن طرح الموضوعات الإنسانية العامة التي يطرحها الرجل، بل أعتقد أن عددا لا بأس به من النساء استطعن الخروج من دائرة منافسة الرجل، وجودة النص حقيقة تعتمد على قوة العناصر الثقافية في المنطقة الجغرافية التي ينتمي لها الأديب أو الأديبة. وفي المقابل أيضا نجد الرجل ناشرا وزميلا سعيدا جدا بما تقدّمه المرأة، ويدعمها في أغلب الأحيان لأنه كمثقف أصيل يعي جيد أن من إشكاليات الثقافة في الوطن العربي هو تغيّب المرأة.

على المستوى الأدبي نجد هناك زخما في إصدار الأعمال الأدبية النسائية، وتزايدا في عدد الإصدارات من ناحية كمية، أما من ناحية الكيف فأيضا نجد تنوعا لافتا في الموضوعات المطروحة. أما على المستوى النقدي، نجد الناقدات الأدبيات يقدمن قراءات نقدية بها وعي نقدي كبير وفهم للمناهج النقدية المتعددة، المتاحة في زمننا هذا للرجل والمرأة. وعلينا أن نربط إنتاجها بإنتاج الثقافة العربية بشكل عام.

وهم الحرية

لكن عند التعمق بنظرة نقدية لإنتاج المرأة، أعتقد أن المرأة العربية اليوم تقع بفخ اعتقادها أنها استطاعت الخروج من القمقم التاريخي الذي احتجزها لقرون، وما إن استطاعت ذلك فهي حرة وقادرة على التعبير عن ذاتها بحرية كاملة، وهذا يقود إلى عدد من الأمور، الأمر الأول: هو عدم الانشغال بموضوعات المرأة وثيمات القهر الحقيقية، تحرّرا منها وخروجا من الأيديولوجيات النسائية بتعدد اتجاهاتها.

نجد المرأة تعبّر عن موضوعات إنسانية مشتركة لا يختلف عليها إن كانت مكتوبة من قبل رجل أو امرأة، فتنتفي بذلك خصوصية كتابة المرأة. وهذه ظاهرة كتابية أسبابها متعددة: منها أن هذه المرأة الكاتبة لا تعي بإشكاليات واقع المرأة المعاصر، وتعتقد بما أن الدول على المستوى السياسي والتمثيل الديمقراطي فتحت المجال أمام المرأة في عدد من الموضوعات فهذا يعني أن المرأة ليست بحاجة لمن يكتب عن موضوعاتها، مع التناسي التام لقضية أن هناك شرائح اجتماعية كثيرة لم يتم فيها تمكين المرأة، وتحتاج إلى الكثير من الدعم في الكتابة والمناقشة وطرح المزيد من القضايا، والالتفات إلى قضية الاختلافات الثقافية داخل المجتمع الواحد، فهناك مجتمعات أقل انفتاحا وأكثر تضييقا على النساء وبالتالي هن بحاجة إلى من يتحدث بالنيابة عنهن.

نموذجان أدبيان

على سبيل المثال، نجد روايات الكاتبة السورية لينا هويان الحسن تظهر فيها المرأة بدور تقليدي نمطي يسعى لإرضاء الرجل مصدر للمتعة والتسلية وخدمة السلطان، وهذا النمط من الكتابة لا يتحرك تاريخيا بل يجتر صورا تاريخية من حياة العرب في الماضي وسرديات ألف ليلة وليلة.

النوع الثاني من الكاتبات هن من يكتفين بطرق موضوعات نسوية كلاسيكية بحتة، مثل خلع الحجاب والتعليم والكتابة النسوية. وهذا النوع، برأيي، يسيء لموضوع المرأة لأنه يسطح قضايا المرأة الأساسية، ولأنه يستهلك قضايا قديمة تمت المطالبة فيها بشكل مسبق مثل مطالبات هدى شعراوي وقاسم أمين بقضية الحجاب، ويبتعد في الوقت ذاته عن القضايا الحيوية المهمة التي تحتاج الالتفات إليها بشكل حيوي ومعالجات ضرورية. وكأن قضية الحجاب أصبحت قضية سهل نقاشها لأنها طرحت كثيرا مما يعني توافر مراجعها الفكرية وسهولة البحث فيها، ولأن بها، أيضا، طاقة استفزازية لمتابعي السوشيال الميديا مما يجذب عددا أكبر من المتابعين المعارضين أو المؤيدين.

> إذا كانت هناك نسبة كبيرة من المثقفين الرجال استفادوا من فرص تعليمية مبكرة في الغرب لا نستطيع وصفهم بالمفكرين، فكيف تريد منا أن نصف الكاتبات النساء اللاتي دخلن الثقافة والكتابة متأخرات بوصفهن مفكرات

هناك نوع قليل واستثنائي جدا، الذي يركز على هوية المرأة ووعيها وقدرتها على بناء ذاتها معرفيا وإنسانيا، مثل رواية زهور كرام "غيثة تقطف القمر"، ورواية "فادية فقير "اسمي سلمى".

المرأة المفكرة

هل نستطيع أن نصف واحدة بأنها مفكرة؟ وإن كان لا، فلماذا؟ وهل نستطيع أن نصف واحدا من الكتاب والأدباء والنقاد اليوم بأنه مفكر، غير الرواد المعروفين مثل: محمد عابد الجابري، علي حرب. نحن لدينا أصوات روائية ونقدية جيدة في مشروعها الإبداعي وتستفيد كثيرا من الطروحات الفلسفية الكونية، وجيدة في تطبيقها الفعال لها، ولكن هل لدينا مشروع مفكر روائي مختلف، وأضاف شيئا أصيلا للثقافة العربية، فالنقد الأدبي والأدب العربي في أحسنه هو تمثل جيد لطروحات الفكر العالمي والإنتاج العالمي، لذلك ستكون أبرز الأسماء الهامة في الأدب والنقد مدينة لطروحات فكرية عالمية، خصوصا في مجال النقد: خذ على سبيل المثال طروحات الناقد السعودي عبدالله الغذامي واسعة الصدى، كل الذي قامت به تطبيق ذكي لنظريات نقدية غربية في النقد المابعد حداثي والنقد الثقافي على قضايا عربية صرفة في الوطن العربي، فالغذامي مدين بشكل كبير للنظرية الغربية. وبنفس الوقت انظر للناقد البحريني نادر كاظم واستثماره العميق لطروحات إدوارد سعيد في الهوية والهجنة، ونظرية "ما بعد الاستعمار"، وغيرها، فنحن لدينا العديد من الأسماء التي فهمت النظريات الغربية واستطاعت أن تحوّلها معرفيا إلى القارئ العربي بقدر أقل من سوء الفهم ومن دون تضليل للقارئ العربي، وفي أفضل أحوالهم هو كما أسلفت تطبيق هذه المعارف الغربية على قضايا عربية من دون الإشارة للسياق الأكبر الذي تم استثمارها منه.

إذا كانت هناك نسبة كبيرة من المثقفين الرجال استفادوا من فرص تعليمية مبكرة في الغرب لا نستطيع وصفهم بالمفكرين.

لوحة الفنانة مايسة محمد

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

أصوات النقد

عائشة الأصفر
روائية ليبية

عندما اخترع الإنسان الكتابة قبل الميلاد بألوف السنين، مستعملا المسامير في الرسم للتعبير عمّا بداخله، أرادها لغة يتواصل بها مع الآخر، وليخبئ فيها نتاجه التاريخي الثقافي والمادي من الضياع، وعندما اخترع الأبجدية وظهرت "التيفناغ"، كانت مهمة الكتابة منوطة بالمرأة خاصة، ولد الإنسان في الحياة دون تجنيس للمهام، وجد الحياة خاما طاهرة من كل فكر إلا فكر الطبيعة الحر، تفرض الطبيعة قوانينها الحتمية متنقّلة بين السبب والغاية، بطريقة تفرضها صيرورة قوانينها، دخلها الإنسان مع طبيعتها بقانون الغاب، فسار به إلى صيرورته ليتمدّن ويتطوّر ويفرض عليه واقعه طريقة تفكير تتلاءم ودرجة تمدّن هذا الواقع وثقافته وأخلاقه، لترتبط النظرة للمرأة الكاتبة العربية حسب الموروث والثقافة المحيطة.

إذا كانت الكتابة صوت الإنسان،

لم تعد «قضية المرأة» هي هاجس المرأة الواعية بمسؤولية الأدب والكتابة، صار هاجسها الإنسان والحروب والتمييز العنصري والفساد والعنف والمهجرين والإرهاب بشقيه الفردي والدولي

ستكون كتابة المرأة في المجتمع كما يرى صوتها في الواقع، هنا ستنتج لنا خيارين، إما كتابة عوراء محاصرة وحيية لغة وموضوعا، وإما كتابة متمردة تصرخ للخروج من نفق الانغلاق، فبدأ نتاجها خجولا كمّا ونوعا لا يخلو من استثناء، ولأن الكتابة في حد ذاتها ثقافة، ولأن الكتابة لم تكن من ثقافتنا، ولم تكن ظاهرة في مجتمعنا كما لم تكن القراءة، نأت بعض النساء عن الكتابة دون أسباب مع توفر ظروفها.

بدأت المرأة العربية منتصف القرن العشرين تعبر عن ذاتها ومشاعرها وطموحها البسيط، وعن الظواهر الاجتماعية السلبية، والسير والأحداث التاريخية، ثم لتعبر الكاتبة بمسؤولية أكبر عن ذوات ورغبات غيرها، وتجتازها الأكثر تحررا إلى رغبات الإنسان أيّا كان، وتعرّي المسكوت عنه. استهلت الكتابة بشخصيات واتتها ظروف تنويرية، فظهرت كاتبات أدب وشاعرات، منهن: مي زيادة، سهير القلماوي ، عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، فدوى طوقان، نبيلة إبراهيم، نوال السعداوي، غادة السمان، رضوى عاشور، مرضية النعاس، وأخريات، لتملأ اليوم الساحة أسماء كثيرة، لا يمكن حصرها.

الآن.. لم تعد "قضية المرأة" هي هاجس المرأة الواعية بمسؤولية الأدب والكتابة، صار هاجسها الإنسان والحروب والتمييز العنصري والفساد والعنف والمهجرين والإرهاب بشقيه الفردي والدولي، صارت بالكتابة تعالج مسائل القيم والفكر والوجود.

تنتمي الكاتبة إلى إحدى شرائح من ثلاث، (الأديبة المبدعة، أو الناقدة أو الأكاديمية)، لتتداخل وتتقاطع، والطبيعي أن يفوق الإنتاج الإبداعي الكتابة النقدية، لكن من غير الطبيعي أن يكون الفارق إلى درجة تجعل من النقد عاجزا عن مواكبة النتاج الإبداعي كما الحال، وهنا القصور النقدي يطال الجنسين. النتاج الإبداعي بكل أنواعه اليوم كبير جدا وغنيّ، بالتأكيد كمّا، وحتى كيفا بحالات فردية، تشير إليه المشاركات بالجوائز العالمية ونتائجها، إذا أخذنا أنها المقياس المطروح على الساحة حاليا، وفي شح القراءة النقدية التي لو توفرت لربما أبانت عن عدد أكبر من المبدعات. هذه النتائج التي أظهرت أن التميز الإبداعي لم يعد قاصرا على جنس بعينه. أما الحديث عن إمكانية وصفنا لكاتبة عربية بالمفكرة، فهذا سؤال فيه بعض غرابة مع احترامي للسائل!

إذا كان الفكر هو تفعيل العقل وإعماله في مشكلة أو قضية ما، للوصول في كل ما يتعلق بتفاصيلها وتوابعها، وإذا كان رؤية، ما دامت الفكرة هي الصورة الذهنية للشيء، فإن كل الكاتبات المبدعات والأكاديميات، وخاصة الناقدات، صاحبات فكر وإن تفاوتن في ذلك، بالطبع ليست كل صاحبة فكر مفكّرة بالمعنى الفلسفي، لكنها تلك التي حققت المفهوم الفلسفي الذي يرتقي بالمفكر إلى مناقشته للقضايا بأكثر عمقا وتعقيدا، فعلى المفكر لينصف طرحه ألا يخضع للفكرة المسبقة فنحن عرفنا الله بالعقل، وأن يتحرر من القديم والمحدث، وأن تكون نظرته إنسانية كونية، لا تعني بمجتمع، إلا إذا كان هذا المجتمع هو نفسه محل النقد، وإذا كان المفكر ذا رؤية وتطلعات نقدية عالية بفعل مهني عال وإن لم تتحرر بعض مفكراتنا من سلطة الفكرة المسبقة، فهنا نجد عددا قد لا يعتد به من المفكرات، لكن لا يمكننا حصره في واحدة! سأذكر للمثال وليس للحصر نماذج منهن لحقب ورؤى متباينة، لا يهمنا هنا إلا كونهن مفكرات، بغض النظر عن طبيعة هذا الفكر اتفقنا معه أو اختلفنا، فأمام الطرح النير للفكر علينا ألا ننجرّ لتلك التفاصيل الصغيرة فتعيقنا، فليتعامل كل منا بما يناسبه منها بعيدا عن الجوهر، وعندما نتحدث عن الفكر علينا أن ندرك أن الله دعا إلى العلم، ولا يتأتى هذا إلا باستخدام العقل.

سأبدأ بالدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) أستاذة التفسير، ولها أعمال أدبية وروائية، وأول من حاضر بالأزهر، وخاضت معركتها ضد التفسير العصري للقرآن، درّست الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب، وفي عين شمس، والإمارات، والرياض، والخرطوم، وأم درمان، ووصلت مؤلفاتها إلى أربعين كتابا.

لوحة الفنانة سارة شما

وحين نتناول المفكرات العربيات لا بد أن نذكر الدكتورة "نوال السعداوي"، الأديبة والمبدعة والطبيبة والباحثة في نقد الأديان، وحقوق الإنسان، أيضا وصلت مؤلفاتها إلى أربعين إصدارا.

الكاتبة والمفكرة الجزائرية رزيقة عدناني أستاذة الفلسفة التي تفرغت للكتابة، متخصصة في علوم الفلسفة والمعرفة والإسلام، تدعو للمصالحة، وتناقش العنف والحداثة والحرية، ولها مؤلفات عن العقل والفكر والفلسفة.

المفكرة الفيلسوفة المغربية حورية سيناصر عالمة الرياضيات، نالت دكتوراه الدولة من جامعة السوربون، ودرّست فيها، وهي مديرة أبحاث في المركز الوطني الفرنسي، ومديرة دار "فرن" المهتمة بالبحوث العلمية الفلسفية. المفكرة حورية سيناصر رغم ثقافتها الفرنسية فهي تؤمن بهويتها العربية المغربية.

ناقدة السرد

هدى الهرمي
شاعرة تونسية

لا يخفى على أحد ما حققته المرأة العربية في السنوات الأخيرة من غزارة الإنتاج الأدبي بصفة تكاد تكون لافتة للنظر خصوصا في السرد والشعر وحتى في البحوث والدراسات الفكرية وهذا الأمر يعد انتصارا للأدب النسوي الحديث رغم العوائق والتقاليد السائدة في فترة ما ولا تخلو منصات التتويج من جوائز منحت للمرأة العربية المبدعة ليختزل حكاية مثابرة وتميز منقطع النظير.

إن الإبداعات الأدبية النسوية بجميع أصنافها قد حققت نقلة نوعية من حيث الكمّ خصوصا وتقييم ذلك يظلّ بعهدة الإصدارات ومدى إشعاعها في الوطن العربي إذ تتجاوز الحدود الضيقة لتحلق هنا وهناك وتصل إلى القارئ العربي، وهناك العديد من الأسماء اللامعة التي فرضت بصمتها الخاصة وإنتاجها الغزير في الساحة الأدبية، لكن في خضم كل هذا، أعتقد أن النقد الموازي محتشم نوعا ما من حيث الإضاءات والتحليل الأدبي. وتقييم الأعمال النسوية بقي حكرا على الرجل الذي بدوره تحكمه بعض المرجعيات والأيديولوجيات النمطية في حق هذا الجنس الأدبي المصنف بأنه أدب نسوي إلى حدّ تقزيمه أحيانا والإخلال بشروط النقد النزيه.

أظن أن المرأة الناقدة تسعى بصفة حثيثة من أجل إرساء نقد فكري وحداثي دون تقسيم مصطلح نسائي ومصطلح ذكوري مما انعكس على اهتماماتها النقدية لكن لا يمكننا أن ننكر أن المرأة بطبيعتها الأنثوية مختلفة عن الرجل وتجنح إلى التفاصيل الدقيقة والفعل الحكائي، لذلك اشتغلت على النقد السردي أكثر من كل شيء، وبالتوازي نشهد عزوفها عن النقد السينمائي والتشكيلي. طبعا تظل هناك استثناءات مما يسِم تجربة بعض الناقدات بتنوع اهتماماتها وتعدد اشتغالاتها رغم أن عددهن ضئيل.

أسئلة في صلب المسألة

ريمة راعي
كاتبة سورية

قد يبدو الحديث عن غياب المرأة المفكرة أو الناقدة في البلاد العربية نوعاً من الترف، أو لعله حديث غير واقعي في ظل ما تعيشه المرأة اليوم بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام، وطبعاً هذا غير مرتبط فقط بالأحداث التي شهدتها المنطقة في الفترة الأخيرة (على الرغم من أهمية تأثيرها)، وإنما مرتبط بالتحولات التي شهدتها المجتمعات العربية على الصعيدين الثقافي والاقتصادي منذ عقود، وهذا يحتاج إلى مجلدات لتشريح الحالة والوقوف على أسباب التراجع في مناح مختلفة، وليس فقط غياب نساء مفكرات أو ناقدات. ولكنني سأحاول إظهار بعض النقاط التي قد تكون مفتاحاً نحو الولوج إلى تشخيص الحالة وبالتالي الوصول إلى نتائج:

المرجعيات الدينية والمجتمعية التي جعلت النسبة الأكبر من النساء مكتفية بالتبعية للرجل، وأخذ دور المنفّذ لإرادته متنازلة عن دورها خارج نطاق الزوجة والأم. أما من هن خارج هذه الدائرة (التبعية) فقد أصبحن أسيرات لهذا الواقع ومنخرطات في تكريسه من باب التماهي المصلحي معه، أو أنهن رافضات له ولكنهن غير قادرات على الخروج من أطره العامة خشية الثمن الكبير الذي يمكن أن يدفعنه، والمؤسف أن النساء هنّ أول من سيهاجمنهن، ناهيك عن النبذ المجتمعي الذي ستتعرض له المرأة التي تحاول أن تفكر خارج الصندوق، وليس هي فحسب، بل أسرتها كاملة؛ لذلك ستفضل الانكفاء على دفع نفسها وعائلتها إلى مرمى نيران المجتمع.

الوضع الاقتصادي الذي جعل المرأة العاملة تذهب في اتجاه الاختصاصات التي تحصل منها على مقابل مادي، وبما أن "الفكر" هو حالة اقتصادية خاسرة مادياً؛ فلن تجد امرأة تختار العوز كرمى للفكر، وهذا يوصلنا إلى النهج الذي تقوده الحكومات العربية، ويدفع بالمجتمعات إلى البحث عن فرص للعيش عوضاً عن التفكير بإنتاج تلك الفرص من خلال طرح فكري خلّاق. وهكذا فإن المعادلة القائمة على أن الإنتاج الفكري يساوي الفقر أحياناً والعيش بالحدود الدنيا غالباً، تجعل كل من يفكر قليلاً في هذه الاتجاه ينأى بنفسه مباشرة، وهنا تحضرني المقارنات السطحية التي يجريها البعض بين الشرق والغرب، مقتنعين بأن الغرب هو "المنتج الخلاق" ونحن "الكسالى الاستهلاكيون"، وهذا لا يتعدى كونه نظرة سطحية، فالإنتاج الفكري في الغرب (على أنواعه) يقابله مردود مادي جيد وفي كثير من الحالات يكون سبباً في الثراء، وهذا ما يجعل من التوجه نحو هذا النوع من الإنتاج فرصة حقيقية لكسب المال، وهذا أمر لا يمكن تجاهله كمعادلة، ولو كان هذا الإنتاج ليس مجدياً مادياً في البلاد المتطورة لما كنا لمسنا كل هذه الفروقات.

الإعلام بشقّيه الخاص والعام لعب دوراً هاماً في تهميش الحالة الفكرية وإظهارها كحالة خشبية وبالية غير ذات جدوى.

لوحة للفنانة مايسة محمد

أبعد من الثنائيات

نورة البدوي
كاتبة تونسية

هل يمكن أن نربط ما أنتجته المرأة العربية بالأزمنة الأمس واليوم والغد؟ في كينونة هذه المرأة المبدعة تحرر من الأزمنة وبالتالي غوص في جميع المجالات الإبداعية من أدب وفن تشكيلي وسينما وشعر، فهي حاضرة دائما لتترجم الواقع الإنساني للمجتمعات العربية بمختلف هزاته وأزماته وأفراحه وأتراحه.

ممّا لا شك فيه أن المسار الإبداعي للمرأة العربية في تطور مستمر تطور العصر وانعكاساته ورهاناته على المجتمعات العربية فهي دائمة الحضور على مرّ الأزمنة والعصور بل هناك مصادر قديمة أرّخت لدور النساء معرفيا في عدة مجالات مثل كتاب "الإصابة" للحافظ بن حجر الذي ترجم لـ543 ألف امرأة بينهن فقيهات ومحدثات وأديبات، كما ترجم السيوطي في كتابه "نزهة الجلساء" لسبع وثلاثين شاعرة وغير هؤلاء كثر من الذين أشادوا بمشاركة المرأة في الإنتاج الإبداعي الثقافي منذ القدم.

من خلال ما تقدم أردت إبراز أن نتاج المرأة العربية في كل المجالات الثقافية موجود عبر الأزمنة غير أن هناك اليوم زخما إنتاجيا لها في كل المجالات الإبداعية: الأدب والمسرح والشعر والفن التشكيلي والموسيقى والسينما، وفي هذه الحركة إثراء للمشهد الإبداعي الثقافي وإثراء للساحة الوطنية وإثراء للقراءات والسرديات على حدّ سواء.

ففي المجال الأدبي هناك أسماء لها أثرها وبصمتها الروائية كخيرية بوبطان ومسعودة بن بوبكر وآمنة الرميلي من تونس، كما توجد أنعام كجى جي من العراق وصابرين فرعون من فلسطين وفاطمة علي من المغرب وغيرهن من الأسماء، وكل منهن لها نفسها الروائي وتشكيلاتها للحس الجمالي والبعد المعرفي.

وبكل أسف، فالنقد شحيح جدا في الساحة الأدبية وإن كانت هناك بعض الأسماء النسائية التي لها حضورها في هذا المجال لكن الإصدارات الكتابية أو الروائية والشعرية فاقت النقد، وكما نعلم جميعا لقد أصبحنا اليوم نتحدث عن موت الناقد والنقد.

ولذلك أصبحنا للأسف نقرأ روايات دون معنى أو بالأحرى الفراغ عنوانها الأصلي، فأن نحمل صفة مفكرة أو مفكر فهذا جميل، ولكن على من نطلق هذا الوصف ومن سيطلقه؟ هنا يأتي دور الناقد والقارئ فالنص أو الرواية تكتب مرتين مرة أولى للكاتبة وأخرى للقارئ والناقد.

من هنا يأتي هذا التوصيف من باب قدرة الكاتبة على إنتاج منظومة من التفاعلات داخل الرواية ما ينتج وظائف تواصلية ووضع القارئ والنقد في الصورة ومن هنا يكون النقد والتأويل في إعطاء صفة المفكرة.

لقد تجاوزت المرأة في الكتابة مسألة الثنائيات امرأة/رجل بل أصبحت الأدوار واحدة وهذا من خلال رصد الواقع، فالكتابة ليست في انفصال عن الواقع وهذا بدوره انعكس على المرأة الناقدة.

، فالمرأة الناقدة تجاوزت تلك الهالة حول صراع المرأة والرجل وأصبحت تغوص في مضامين النص والعنوان وغلاف الكتاب وتشكيلات المعنى وبناء اللغة التواصلية مع القارئ.

لوحة للفنانة مايسة محمد

العرب الثقافي
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

جاهزية المعرفة

فاطمة الشيدي
شاعرة من عمان

في البدء علينا أن ننتبه إلى أن التفكير النقدي الحقيقي والأصيل، والذي يطرق مناطق حساسة في الوعي الإنساني، أو يتناول النص بأدوات جادة ومتجددة نحتا وتحليلا هو عملية شاقة، وخاصة ونادرة، وليست سهلة متدفقة كالفعل الإبداعي، ثم إن هذا الاشتغال المعرفي قليل جدا في عالمنا العربي بشكل عام، بل وربما هو نادر أيضا. وما هو موجود على الساحة النقدية العربية اليوم هو مجرد محاولات لدغدغة مفاصل النص، أو الوقوف على ضفاف المعنى، أو محاكاة لنظريات غربية قائمة أصبحت اليوم قديمة نسبيا، والقليل منها -أي تلك المحاولات- يصل مع الزمن والاجتهاد إلى مرحلة من النضج.

إذا كان هذا هو الحال لدى الجميع فليس غريبا ندرة وجود المرأة الناقدة، فالمرأة في عالمنا العربي أسيرة اللاوعي الجمعي بخصوصية الأدوار بين الذكور والإناث، وانحياز المرأة للشعر والسرد وقد أنتجت في ذلك نتاجات غزيرة لا ينكرها إلا حاقد أو جاهل، في حين اختص الرجل بالتفكير النقدي -طبعا مع الفعل الإبداعي شعرا سردا- واجتهد فيه ما وسعه الاجتهاد، وبرزت فيه بعض الأسماء القليلة بنتاجات مميزة.

إلا أن أمرا كهذا لا يمكن التعامل معه بشكل مطلق؛ فالاشتغال بمسائل الفكر والإبداع يعتمد في غالبيته على توافر الظروف الحاضنة للعملية الإبداعية كالمؤسسات البحثية والأكاديمية. ولذا تجد أغلب المشتغلين بالنقد والفكر هم من الأكاديميين والباحثين والمشتغلين بحقول المعرفة والإبداع. إلا أن هذا أيضا ليس معيارا نهائيا للظهور والبروز الفكري، لأن معظم هذه الاشتغالات تكون غالبا عادية وتنتج نتاجات سائدة، أما المائز والمختلف فيكون نتيجة المواهب الإبداعية بطفراتها التاريخية، فهذه هي التي تنتج التميز الثقافي وترسّخ بعض الأسماء في الذاكرة الإنسانية الخالدة، وهي -أي الطفرات الإبداعية- ليست مستمرة أو وفيرة من جهة، وليست حكرا على الذكور دون الإناث من جهة أخرى. ولكن تلك الطفرات -التي تكون ضمنها المرأة بطبيعة الحال- تحتاج أيضا للظروف المهيئة للفعل النقدي لأنه فعل يحتاج إعدادا طويلا وتراكما معرفيا غزيرا وتكريسا مستمرا للذات في خدمة الموضوع/المعرفة، وبالتالي يحتاج تفرغا تاما أو شبه تام للإلمام المعرفي والاستمرار فيه، وهذا ما يشكّل صعوبة على المرأة العربية المحاصرة بدوائر وأدوار لا تعد ولا تحصى ينبثق بعضها من بعض، وليس لديها الحرية الكاملة لاختيار طريقها الخاص وطريقتها الوجودية في الحياة.

> المرأة في عالمنا العربي أسيرة اللاوعي الجمعي بخصوصية الأدوار بين الذكور والإناث، وانحياز المرأة للشعر والسرد وقد أنتجت في ذلك نتاجات غزيرة لا ينكرها إلا حاقد أو جاهل

فالمرأة التي مورس على وعيها الفرداني كل ضروب العنصرية والتمييز التاريخي أصبحت -إلا من رحم ربي- مقتنعة في اللاوعي بعدم قدرتها أو عدم صلاحيتها لبعض الأدوار، وحتى لو حدث أن خرجت إحداهن على ذاتها الأنثوية بصناعتها المجتمعية فسيتلقفها عدم الإيمان بما تفعل، من قبل الجمع الذكوري، وستهمّش نتاجاتها الفكرية فقط لأنها أنثى. إن جبروت الوعي واللاوعي المجتمعي العربي الذكوري المنشأ والأصول لا يقبل بظهور مفكّرة تخالف سنة التكوين الجمعي والكينونة الفطرية وهي تفوق الذكور، فكيف يسمح لها بمشاركة صناع الفكر وفحولته منهم، ناهيك عن التفوق عليهم. ثم إن حدث ورفعت المرأة سيفها، وقررت دخول المعترك (الحرب الدونكيشوتية)، فكم تراها ستصمد أمام كل تلك الطواحين، وما هي النتاجات الفكرية التي سيمكنها أن تنتجها وهي مشغولة بخوض المعارك، وتبرير وجودها الفكري والإنساني، ومواجهة كل أولئك المعترضين، وتفنيد آرائهم ومناقشتهم، وغير ذلك مما يستنفد الوقت والجهد.

ومن المؤسف والصادم حقا أنه حتى اليوم لا يوجد تأسيس راسخ تبني عليه المرأة العربية المفكرة والناقدة الجديدة مشروعها الفكري، ولذا عليها أن تبدأ دائما من الصفر لتشكّل حلقة من البدايات المستمرة وغير المتصلة، وبالتالي فالتراكم المعرفي التأسيسي للمرأة العربية المفكّرة والناقدة هو تراكم هش وضئيل، ولا يعوّل عليه في إكمال البناء وصناعة الصورة المكتملة.

إن مشروع المرأة العربية الفكري ما أن يظهر حتى تُوَجه إليه السنان والرماح من كل سلطة في عالمنا الآسن بدءا من سلطة الدين الذي ما فتئ يحيّد دورها الفكري، ويحصرها بين علامتي تنصيص فطرية أنثوية حيوانية جدا، ومرورا بالسلطة السياسية والاجتماعية الذكوريتين اللتين استفادتا من نظرة السلطة الأولى للمرأة، ودورها في ترسيخ ذكوريتها عبر تكريس دور المرأة كما قررته سلطة الدين الذكورية.

بل إن الأمر وللأسف في تراجع وانهيار مستمرين فما بنته المرأة عبر حقب وحروب ومعارك ضارية وما حصدته من إنجازات ونجاحات واستحقاقات إنسانية وفكرية كالمساواة والحرية في بعض البلدان نجده اليوم في تراجع مستمر وتراخ يشمل كل شيء، كما نجد تراجع الحراك المدني والسلطة الثقافية ورموزهما من الناشطين والحقوقيين والكتاب والمثقفين عن دعم المرأة والدفع بها للأمام، وتأييدها في مشاريعها الفكرية والتنويرية كما كان يحدث قبل زمن قريب. والأدهى والأكثر وجعا أن بعض الرموز الثقافية والفكرية تقف منها موقف الخصم، تحركهم التربية الذكورية الاجتماعية في نظرتهم القاصرة للمرأة تحجيما وتقليلا. وبعد كل هذا فلا عجب أن تراجع مشروعها الفكري والإبداعي خاصة ضمن ما خلّفته الثورات العربية من تراجع صورة المرأة العربية إنسانيا وحقوقيا، ولا عجب أن تقل نتاجاتها الفكرية (القليلة أصلا أو المحكومة بمشاريع محددة جدا) مع الوقت والزمن الذي كان يفترض أن تزداد فيه وتتعمق.

إن تفكيك مشكلة المرأة العربية الناقدة والمفكرة ليس بالأمر الهين، فلا يمكننا أن نلقي التهم جزافا.

لوحة الفنانة مايسة محمد

المرأة المخدوعة

أسماء هاشم
كاتبة مصرية

يكفي أن تكتب المرأة العربية مفكرة على أحد محركات البحث لتظفربتكراسم المصرية نوال السعداوي 1931 والمغربية فاطمة المرنيسي (1940 – 2015) وتاريخ نضال كل منهما في مجال الفكرالاجتماعي والنسوي والجهد الفكري لكليهما والمنجزالكتابي الذي لخصت فيه كل منهما جل أفكارها، وعدد كبيرمن الكتابات عن هذا المنجز.

بتكرارالبحث وتخصيصه لن نجد إلا تكرارنفس النتائج ليصبح السؤال بديهيا لماذا تغيب المرأة المفكرة من الثقافة العربية؟ يحيلنا السؤال لواقع سياسي واجتماعي وثقافي تداخلت كل عناصره وبقصد أو بدون لنصل لنتيجة واحدة؛ نتيجة واحدة تعكس صورة المرأة العربية المخدوعة المُستَغَلة. مخدوعة من قبل القوانين التي طالها الاصلاح في أزمنة ازدهار دعاوي التحرر لتنال المرأة بموجب هذه الاصلاحات حقها في التعليم والعمل والمشاركة السياسية مخدوعة في مجتمع لم يمنحها الحق في العمل لنضالها لتنال حقها في الاستقلال عن الأبوي والذكوري بل تحول العمل لعبء جديد وحدد معايير تميزها وتفوقها بقدرتها على الجمع بين العمل والبيت والنجاح في كليهما دون أن يقدم لها المساعدة في الوقت الذي يحصد فيه وحده الثمار المادية لهذا العمل لتتحول من كائن مستقل إلى كائن مستغل على غرار ما فعلت الرأسمالية الغربية التي جرت النساء من البيت الى العمل ليس بغرض تحريرهن ولكن للاستفادة منهن في قوة العمل، مخدوعة من قبل المؤسسات النسوية التي تراجع خطابها التحرري الذي كان قد وصل إلى أفق مُرضي في فترات سابقة ليتراجع لأسباب كثيرة لحدود ضيقة لا تبرح حماية المرأة الإيذاء البدني والحفاظ على أعضائها الجنسية.

تتشابه – تقريبا – الظروف التاريخية والثقافية الاجتماعية والسياسية التي نشأت فيها كل من السعداوي والمرنيسي، وازدهر فيها المشروع الفكري لكليهما، النصف الأول من القرن العشرين، زخم النضال العام من أجل التحرر من الاستعمار ونمو الوعي العام لدى تلك الشعوب بأهمية التحرر، قضية المرأة وتحررها باعتبارها أحد نواتج تحرّر المجتمع. النصف الأول حتى بدايات النصف الثاني من القرن العشرين وازدهار الفكرالتحرري الذي طال وضعية المرأة وعمل على تغيرها على مستوى القوانين. ازدهر مشروع السعداوي والمرنيسي نهاية سبعينيات القرن العشرين حتى عادت الأصولية الإسلامية بقوة في المشهد الثقافي وفرضت وجودها وحاربت النسوية على نحو ما فعلت مع السعداوي في مصر من مصادرة كتابها وتشويه صورتها بل وشيطنتها واعتبار النسوية هي نضال المرأة للتخلي عن الأدوار البيولوجية والاجتماعية لها ولقيت دعوة الأصولية رواجاً في الأوساط الشعبية التي تُعاني من الأمية بنسبة كبيرة كما أن هذا الوسط هو نتاج ثقافة ذكورية أبوية أدى إلى تردي أوضاع المرأة.

لوحة الفنانة سارة شمه

صورة تونسية

ليلى العبيدي
كاتبة تونسية

حين نتحدث عن المرأة، والمرأة التونسية المناضلة بصفة خاصة، فنحن لا نخص بحديثنا النساء اللاتي شاركن في تحرير البلد من المستعمر ولا اللواتي ساهمن في الثورة التونسية إنما نحن نتحدث عن المرأة التونسية البسيطة، ونخص بالذكر الأم العاملة. إذا ما تتبعت أطوار حياتها اليومية فلن يعز عليك نعتها بلفظ المناضلة، فهي التي تتحمل أعباء الواجبات المنزلية ومتطلبات الأبناء والزوج علاوة على مشقة الحياة المهنية. ولعل ما يزيد من ثقل حملها هو تلك الضغوطات التي لا ينفك المجتمع يمارسها ضدها. فإذا ما اشتكت من أعباء العمل تواجهها الحناجر مستنكرة مذكرة إياها بمطالبتها بحق العمل مساواة مع الرجل. في حين أنها كلما أعلنت شقاءها في مطلب الإلمام بكل الواجبات الأسرية لا يرحمها لسان اللوم والانتقاد باعتبار أن شؤون المنزل والأبناء مرآة تعكس نجاحها الأسري. الأمر يتجاوز مجرد الحرص على إيجابية موقف المجتمع من المرأة ويتجاوز حياة المرأة إلى حياة الأبناء ومستقبل الأجيال الصاعدة. كيف لأسرة الأم فيها تعمل لمدّة ثماني ساعات يوميًا والأب كذلك أن تنشئ أبناء مشبّعين بالقيم الحميدة والتربية الصالحة وهم لا يجتمعون بآبائهم وأمهاتهم إلا في آخر يوم متخم بالعمل والجهاد أو في أيام العطل الأسبوعية حيث تتراكم الواجبات المنزلية المؤجلة. أين يقضي هذا الطفل يومه خارج أوقات الدراسة؟ فهو إن نجا من تشرد الشوارع ومخاطره سيجد نفسه في سن الطفولة الأولى مع أمّ مستأجرة ومع كمّ هائل من الإخوان في اليتم. لكأن التاريخ يعيد نفسه لكن بصورة أتعس فإن كانت المرأة التقليدية قديما متفرغة لتربية الأبناء الذين قد يبلغ عددهم العشرة أو يزيد، فها هو طفل القرن الحادي والعشرين يحرم من الأم البيولوجية ليحشر لا محالة مع حشد من الإخوان الذين لفظهم تيار الحداثة على أرصفة الانتظار. انتظار إعادة لملمة شمل العائلة أو ما تبقّى منها في آخر النهار. فما فائدة برامج التنظيم العائلي وأيّ قيمة لهذه الحداثة البلهاء التي تيتم أبناءنا كل ساعة وكل يوم لأنّها مبنيّة على مشروع الفرد لا الأسرة. لا غرابة إذن أنّ ذلك الطفل إذا ما بلغ سنّ المراهقة لن يكون غير بوابة مشرعة على مخاطر الانحراف والإجرام.

لقائل أن يرد كل ذلك لعامل الضغوطات المادية التي تعاني منها الأسرة التونسية عامة أو أن يحتج على خروج المرأة إلى العمل ويطالبها بالعودة إلى دورها التقليدي في رعاية الأبناء لكن الأمر في رأيي ليس بهذه البساطة والسطحية لأنه لا يمكن إنكار حق المرأة في التعلّم والعمل كما لا يمكن إنكار ما تتطلبه الحياة اليومية من حاجات مادية تجبر الآباء والأمهات على الانخراط في صفوف المناضلين المنسيين.

لوحة الفنان جبران هداية

غياب حرية التفكير

ابتسام القشوري
ناقدة تونسية

أعتقد أنّ ندرة حضور المرأة في حقل التفكير النقدي مرتبط آليا بحضورها المتأخر في الإبداع بصفة عامة وذلك نتيجة مفهوم الأسرة التقليدي المرتبط بتقاليد المجتمع الذكوري و الذي يرى في المرأة إما وزوجة وأختا وابنة فقط ويرمي على كاهلها مسؤولية الزواج والإنجاب وتربية الأبناء. ورغم دخول المرأة في معترك الحياة في الدراسة والعمل بقيت ترزح تحت مسؤولية التوفيق بين عملها وبيتها وهذا ما يعيقها عن فعل الإبداع بصفة عامة.

كما أن الإبداع ومنه التفكير النقدي هو الخلق والتجديد والرغبة في التغيير والإتيان بما هو غير مألوف وبكلمة واحدة هو التمرد والجرأة، والمرأة في مجتمعاتنا بفعل الوصاية الذكورية عليها لا يسمح لها بالتمرد لا على المستوى الاجتماعي ولا على المستوى الأدبي والفني.

غير أننا نستطيع أن نسجل حالات نادرة في المشهد الثقافي العربي لنساء استطعن أن يجتزن حاجز الخوف والمجتمع وكونوا مشروع فكرى نقدي جريء يقوم أساسا على نقد التراث ونقد المؤسسة الذكورية والدعوة إلى تحرير المرأة وحثها على المطالبة بحقها في تواجدها في كل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية نذكر من بينهم نوال السعداوي في مصر وفاطمة المرنيسي في المغرب،

إنّها دوائر مرتبطة بعضها ببعض فالمشروع الفكري يتطلب الكثير من الجهد والمثابرة والتراكم المعرفي والاعتماد على التفكير الفلسفي والعلمي وهذا يتطلب تفرغا تاما لكن بالنسبة إليّ أرى أن ذلك غير مرتبط بانشغال المرأة بمسؤوليات الأسرة والتربية ولكن هو مرتبط بحالة المشهد الثقافي العربي، فنحن ليس لدينا مشاريع فكرية مهمة نتيجة غياب التفكير الفلسفي منذ القرن السابع وحرق كتب ابن رشد، والعرب لا تمتلك مشاريع فكرية تقدم إضافة كبيرة للمشهد الفكري العربي باستثناء محمد عابد الجابري ومحمد أركون والبقية تبقى إما استنساخا للتراث أو الاتجاه نحو الثقافة الغربية.

وهو كذلك نتيجة غياب حرية التعبير وعدم التشجيع على التفكير النقدي في البرامج التربوية وهذا ما جعلنا في أسفل القائمة من حيث التفكير النقدي والمشاريع الفكرية فغياب المرأة هو تراكم لكل هذه الأسباب التي ذكرناها.

أما عن حجم الإنتاج الفكري والنقدي للمرأة العربية اليوم فأعتقد أنّه ضئيل جدا وغير كاف خاصة إذا تكلمنا على النقد الجاد الذي يلزمه الكثير من التمكن وليس تلك المقالات التي نقرأها يوميا على أعمدة الجرائد.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

الرقص وسيلة شعرية للتحرر من الحاضر

الراقصة الإسبانية ماريا ريبوت في عرض باريسي يختصر الرقص إلى علاماته الأولى

ذاكرة العنف والرعب

عمار المأمون
كاتب سوري

باريس - يَحتفي مهرجان الخريف المسرحيّ في باريس بالإسبانيّة ماريا ريبوت، الراقصة ومصممة الرقصات والمخرجة المسرحيّة والسينمائيّة، فريبوت التي بدأت نشاطها الفنيّ منذ منتصف الثمانينات مازالت حتىٰ الآن تنتج وتؤدي في عروضها، دامجة بين أشكال الرقص الكلاسيكيّ (الباليه ورقص الصالونات) وبين الحركة القائمة علىٰ الترفيه والتسلية كالتعري وكوميديا الجسد، منتقدة إيقاع الزمن المعاصر، كاشفة عن قسوته وأثره علىٰ الجسد الإنسانيّ الخاضع لأنظمة تبتدع أغراضا وتكنولوجيا تبدو مفيدة للوهلة الأولىٰ، لكنها حقيقة تختزن "دورا" سياسيا، يهدد مفهوم الإنسان نفسه.

يستضيف مركز جورج بومبيدو عرض "بانوراميكس" لريبوت، والذي تستعيد فيه علىٰ طوال ثلاث ساعات 34 لوحة راقصة أنجزتها بين عامي 1993 و2003، ليكون أشبه بأنطولوجيا لأدوارها المتعددة، تليه ثمانية عروض قصيرة أنجزتها عام 2016 بعنوان "الآخر المميز"، لنرى أنفسنا أمام تجربة مختلفة عن المعتاد، تدمج الرقص مع فن الأداء والتجهيز، ونكتشف خلالها قدرة الجسد التعبيريّة وإمكانيات الانتقال السريع بين العواطف عبر أغراض تتحول من خردة وأدوات مبتذلة إلىٰ عناصر سحريّة ومسرحيّة ترسم فضاء كاملا في عقولنا، ما يلبث أن يتلاشىٰ بعد عدة دقائق.

قبل الدخول إلى الصالة، نشاهد معرضا بعنوان "للبيع"، وفيه مجموعة من الدفاتر التي استخدمتها ريبوت لتصميم عروضها المختلفة، هذه الدفاتر تحوي صورا وكولاجات وتخطيطات تشكل المادة الأوليّة التي تعتمدها في بنائها للحركة، والمميز فيها أنها التي لا تحوي وصفا للحركات الجسديّة، بل نقرأ عبارات شعريّة، وأسماء كتب، وقوائم وأحيانا نرى فقط لطخات لونيّة، وكأن كل حركة هي نتاج سلسلة من العوامل اللاجسديّة التي "تستوعبها" ريبوت لتحولها إلىٰ رقصة أو "جيست" طفيف.

ندخل مساحة العرض لنُفاجأ بعدم وجود أي مكان للجلوس سوى الأرض، نحن في صالة واسعة بيضاء، تتوزع علىٰ جدرانها أغراض مختلفة؛ أثواب، ألعاب، راديو ترانزيستور، عدة غوص، لكننا نجد في أقصىٰ الصالة ريبوت تستلقي عارية، تتأمل نفسها بمرآة دائريّة، لا مكان محددا للجلوس، وعلينا كمشاهدين أن نتجمع حولها بالصورة التي نراها مناسبة.

تتحرك ريبوت عارية طوال العرض، تمشي بين المشاهدين، وتقودهم إلىٰ مكان كل "لوحة راقصة"، مستخدمة كل مرة غرضا من الجدار لتخلق "مكان العرض"، وهذا ما تستفيد منه في تكوين سلسلة العروض، إذ تحرك الجمهور وتتلاعب به، وتخلق مساحات مُحيرة وعبثية لتجمع الجمهور من حولها بصورة ارتجاليّة، فلا مكان ثابتا يقام فيه "العرض"، وما يضبط الإيقاع هو استجابة الجمهور لها، إذ تراهن علىٰ فضولية الحاضرين وجهدهم الجسديّ لملاحقتها كل عدة دقائق.

ضد المتحف وأزمة التنكر

يتحرر جسد الراقصة العاري أثناء العرض من تعريفاته السياسيّة، ليغدو لحما صرفا، وهذا ما نراه في البداية حين تركض بين الجمهور دون أي معنىً، بعدها، توظف حركات مايكرويّة وأغراضا بسيطة لتبني الفكرة التي تريد إيصالها، مُتنكّرة كل مرة بزي مختلف، لنراها إما تؤدي دور لاعبة جمباز، أو مغنية أوبرا، أو غواص يبحث في المياه عن ملاذه.

تنقل لنا ريبوت وعيها بأنها تؤدي دورا سياسيا في كل "سكيتش"، جاعلة من جسدها العاري مادة لاختبار خصائص كلّ دور وقسوته، فهي الحبيبة التي تنتظر، والسُلعة التي تستعرض، هي لا تدّعي الإتقان ولا استعراض المهارة، بل تسعىٰ لمُحاكاة إيقاع خارجيّ يفترضه الدور الذي تؤدّيه، لنتلمس أثره الجسديّ بدقة، علىٰ كل عضلة وطرف، فمساحة لحمها أشبه بلوحة تتراكم عليها آثار كل "دور"، في سبيل اختبار القدرة علىٰ التعبير دون موسيقىٰ أو إيقاع، ما يجعل تصميم الرقصة أشبه بعملية اختزال، تتقلص فيها "الجيستات" إلىٰ أصغر وحدة للتعبير لها خاصية واحدة، وهي حمل المعنىٰ بشكله الجوهري.

تحارب ريبوت نظام "المتحف"، فالأغراض المبتذلة الموجودة علىٰ الجدار والمحاطة بهالة من "القدسيّة الفنيّة"، ترمىٰ بعد الانتهاء منها علىٰ الأرض، ويمكن للجمهور لمسها ورميها بعيدا، كما تضبط بحركتها كيفية تلقينا لهذه الأغراض، فلا مكان محددا يمكن الجلوس فيه لمشاهدة "كلّ ما يحدث"، ولا ترتيب واضحا لمعرفة أي واحد من الأغراض سيستخدم، إذ يتغير "شكل" التلقي كل بضعة دقائق، وكأنها تخلق لوحات متنقّلة، إما لإضحاكنا كمحاولتها التوازن علىٰ حبل خفيّ، وإما لنشر الرعب بيننا كمحاولتها خنق نفسها.

تتقمص ريبوت في بداية العرض دور حورية البحر، في تحد لمفاهيم الرقص الذي يعتمد علىٰ حركة الجسد البشري، لتختبر بعدها قدرتها علىٰ التعبير بأشكال مختلفة ووضعيات تكون فيها مقيّدة، إذ نراها تغرق في البحر أو تحاول الطيران، لكن المثير للاهتمام أن هناك كراس علىٰ الجدران وأخرى بين الجمهور، في إحالة حسب تعبيرها إلىٰ مشاهد غائب، تحاول استحضار طيفه، وتقول في لقاء معها إن الكرسي يمثل بالنسبة لها أوج الهيمنة علىٰ الجسد الإنسانيّ، هو آلية اجتماعيّة لاستغلال الجسد وجعله بوضع الاستعداد للـ"عمل"، وكأننا عبيد غير متحركين وراء المكاتب.

ماكينات الضحك المخيف

يستضيف المركز الوطني للرقص في باريس ضمن مجموعة الفعاليات التي تحتفي بريبوت عرضا يمتد لمدة ست ساعات، بعنوان "حفرة الضحك" أنجزته ريبوت عام 2006، وتنتقد فيه نظام التسليع الغربي، وفيه ندخل أيضا صالة كبيرة، نجلس فيها أينما أردنا، لكن الاختلاف عن العرض السابق أن الصالة مليئة بقطع كرتون، مكتوب عليها بالبيد شتىٰ أنواع العبارات المرتبطة بالبيع والعنف السياسيّ وتسليع المرأة وجسدها، لتقوم بعدها ثلاث راقصات بحمل اللوحات، ورفعها بوجوه الموجودين وهن يضحكن علىٰ طوال العرض، لنرى أنفسنا أمام نوع من الرعب والترهيب الممارس علىٰ الجمهور، وكأننا أمام كتلة هيستيرية من العنف والتي تطبق تدريجيا علىٰ أنفاس الحاضرين.

> تتحرك ريبوت عارية طوال العرض، تمشي بين المشاهدين، وتقودهم إلى مكان كل «لوحة راقصة»، مستخدمة كل مرة غرضا من الجدار لتخلق «مكان العرض»، وهذا ما تستفيد منه في تكوين سلسلة العروض، إذ تحرك الجمهور وتتلاعب به، وتخلق مساحات مُحيرة وعبثية لتجمع الجمهور من حولها بصورة ارتجاليّة، فلا مكان ثابتا يقام فيه «العرض»

يعتبر العرض انتقادا لسجن غوانتنامو وكيفية التعامل الإعلامي معه، وكأن العنف الذي تمارسه المؤسسة الغربيّة ومساحات الاستثناء التي تخلقها ليست إلا وسيلة لنفي "عقل" الإنسان، الذي يواجه العنف عبر ضحك فصامي وهذيانيّ ينفي وعيه بذاته، خصوصا أنه أمام تيّار من الصور الوحشية التي تهدده وتهيمن علىٰ إدراكه.

إيقاع العرض لا تضبطه الضحكات، بل الراقصات الثلاث اللاتي يبدأن بتعليق اللوحات الكرتونية علىٰ الجدران، وشيئا فشيئا نرى أنفسنا محاطين بعنف لا مرئي، فكل عبارة تستدعي صورة شهدناها مُسبقا، كـ"حفلة غزّة"، "موت بالدرون" و"اغتيال سياسيّ"، وهنا يظهر الضحك بوصفه رد فعل علىٰ عبثية العنف، هو قوة خارجيّة قمعيّة، لا رد فعل علىٰ ما هو "كوميديّ".

ينشر هذا الجزء من الملف بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية

حورية من البلاستيك

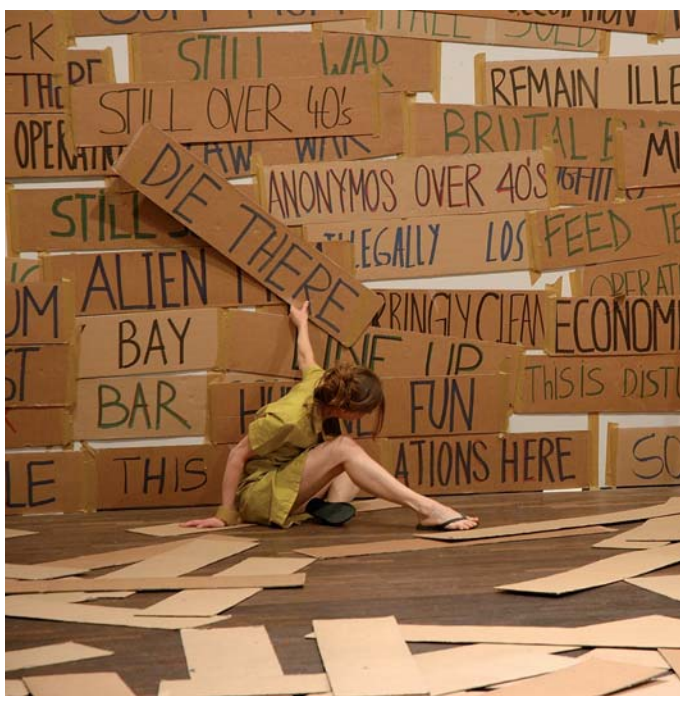

الضحك بمواجهة العنف

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

في حضرة ماو تسي تونغ

الصين تلون سياحتها بأحمر الشيوعية

السياح يتوافدون على الأطلال والآثار الحمراء وبلدات الشخصيات الثورية

السياحة، أفكار وتنويع واختلاف، فبعد سياحة المخاطر والسياحة البيئية والسياحة المظلمة، نجد السياحة الحمراء، هذه السياحة التي تعتمد تتبع تاريخ الثورة، صناعة صينية جلبت بها مواطنيها من مختلف الأعمار، ثم انبهر بها الأجانب وتوسعت بعد ذلك لتشمل دولا أخرى كروسيا وألمانيا وفرنسا وكوبا.

بكين - تتميز السياحة الحمراء بزيارة المواقع التاريخية التي تتمتع بإرث وتاريخ ثوري ونضالي، وهي بادرة صينية نشأت منذ تسعينات القرن الماضي، لتتشكل منذ عام 2004 ما يزيد عن 30 خطا سياحيا أحمر شائعا، بالإضافة إلى 123 بقعة ذات مناظر خلابة كلاسيكية في بلاد المليار وأربعمئة نسمة.

وباتت هذه السياحة تستقطب المزيد من الاهتمام والإقبال الجماهيري، تجذب السياح الصينيين من مختلف الأعمار؛ المسنون الذين يأتون لاسترجاع ذكرياتهم والشباب الذين يرغبون في أن يتعرفوا على مسيرة الحزب الشيوعي الصيني، ثم توسعت لتشمل الشباب الثوري من مختلف دول العالم.

وتتوزع مناطق السياحة الحمراء بين مدينة يانان التي كانت ذات يوم مقرا للجيش الأحمر وقيادة الحزب الشيوعي، ومدينة شاوشان في مقاطعة هونان وهي مسقط رأس ماو تسي تونغ، وجينغ قانغ شان في مقاطعة جيانغشي حيث تشكل الجيش الأحمر، وغيرها من المراكز السياحية ذات البعد الثوري في البلاد.

زوار من مختلف الأعمار

تلقى السياحة الحمراء باعتبارها منتجا يتذكر الماضي ترحيبا من قبل الصينيين من منتصف العمر وكبار السن، فالثورة الحمراء تعد فترة من تاريخهم، مرت عليهم وتعودوها في سمعهم وبصرهم على حد السواء، بحيث أصبحت مواقع السياحة الحمراء مناطق يتذكرون فيها التاريخ ويستعرضون الأحداث في السنوات الماضية.

يقول البروفيسور شيوي رن لي من جامعة شيان، في تحليله لهذه الظاهرة، إنها "مواجهة للعالم الواقعي ذي الأشكال والألوان المتعددة والمتنوعة، يحب هؤلاء الناس استخدام التسامح التاريخي في محو تجاعيدهم التي خلفها الزمان، ليستعرضوا من خلال السياحة في المواقع الثورية خلاصة تجاربهم".

ويضيف "كانت لهم فترة اجتازوها من التجربة والمعاناة الخاصتين بحياتهم، وكانت لديهم تطلعات للشباب وحماسة في الحياة، وقد احتضنوا العصر بصدق وإخلاص، وتشبثوا بعقيدتهم بجهد، عندما يتحول كل شيء إلى أحداث من التاريخ، تصبح حياتهم في ذكرياتهم مضمونا ذا قيمة روحية".

وقالت مصادر في صناعة السياحة الصينية، إن الأطلال والآثار الحمراء وبلدات الشخصيات العظيمة والشخصيات الأسطورية والمواد التاريخية، تلفت أنظار الشباب أيضا، لأنهم يرغبون في أن يتعرفوا على كيفية تطور الحزب الشيوعي الصيني من منظمة تتألف من عشرات الأعضاء إلى حزب حاكم، وكيفية إطلاق الجيش الأحمر المسيرة الكبرى، وكيفية اجتياز هذا الجيش الجبال المغطاة بالثلوج وعبور المستنقعات وقيامه بمسيرات ليلية ونهارية شاقة، متجاوزا أقصى الحدود من أجل التقدم نحو النصر.

وذكر تقرير صادر في أغسطس 2019 أن المزيد من الشباب يسهمون في ازدهار السياحة الحمراء في الصين، ومن المتوقع القيام بما يزيد على 100 مليون رحلة سياحية حمراء خلال عطلة الصيف، حيث سيكون النصيب الأكبر للأشخاص الذين ولدوا في الفترة ما بين 1985 و1989.

> منذ عام 2004 تشكل ما يزيد عن 30 خطا سياحيا أحمر شائعا، بالإضافة إلى 123 بقعة ذات مناظر خلابة كلاسيكية في الصين

وفي نفس الوقت، ستزيد رحلات السياحة الحمراء التي يقوم بها الأشخاص الذين ولدوا بعد 2000 بشكل ملحوظ على أساس سنوي، وفقا لتوقعات السوق التي نشرتها وكالة "سي تريب" الإلكترونية للسياحة.

المسارات السياحية

من البحيرة الجنوبية في جياشينغ والتي عقد فيها الحزب الشيوعي الصيني مؤتمره الوطني الأول على متن سفينة، إلى ميدان تيان آن من بكين الذي شهد العديد من الأحداث التاريخية الهامة، ومن جبال جينغ قانغشان التي أسست فيها أول قاعدة ثورية ريفية إلى الموقع الثوري بانان، يتصاعد، تزامنا مع ارتفاع حرارة الطقس، دفء السياحة الحمراء من "السير على خطى المسيرة الكبرى مجددا"، و"السياحة في مسقط رأس شخصية عظيمة"، و"جولة في قواعد المقاومة ضد الغزاة اليابانيين"، والمواقع ذات المناظر الخلابة الحمراء، بحيث تسير أفواج السياح من الصين ومختلف دول العالم في رحلة تزينها المناظر الطبيعية.

ومن القواعد الثورية الصينية التي يزورها الكثير من السياح، جبال جينغ قانغشان التي تقع في مقاطعتي جيانغشي وهونان بوسط جنوبي الصين، وتمتاز بالمناظر الخلابة والمواقع التاريخية القديمة، وتبدو فيها قمم الجبال العالية والأحجار العجيبة والشلالات والكهوف والينابيع الساخنة والغابات العذراء مع الحيوانات المختلفة، وأيضا المواقع التي تبرز تاريخ جيش العمال والفلاحين الصينيين الأحمر (1928–1937) مثل المتحف الثوري لجبال جينغ قانغشان، وقرية الجيش الأحمر على مساحة 10 آلاف متر مربع، ومقبرة جبال جينغ قانغشان للشهداء الثوريين وغيرها، مما يجذب الزوار إليها بحماسة كبيرة.

وجبة في الطبيعة على شرف الثورة

جبال جينغ قانغشان هي مهد الثورة الصينية، حيث قاد الرئيس الصيني الراحل ماو تسي تونغ جيشا أحمر من العمال والفلاحين إلى هناك، وأسس أول قاعدة ثورية ريفية في الصين بقيادة الحزب الشيوعي، وفتح بها صفحات الثورة الصينية، لذلك أطلق الصينيون على هذه الجبال اسم "مهد الثورة الصينية".

وخلال السنوات الأخيرة، ومع ارتفاع حماسة الناس لزيارة المواقع الثورية، لتذكر السنوات الأولى للثورة الصينية، شهدت السياحة الحمراء الثورية في منطقة جبال جينغ قانغشان تطورا سريعا. وعرضت في كل مكان منها أشياء تذكارية متنوعة، ومن ضمنها صور تذكارية للرئيس الصيني الراحل ماو تسي تونغ ومؤلفاته الثورية المطبوعة وغيرها.

يقول أحد السياح "كنت قد زرت مسقط رأس الزعيم الصيني ماو تسي تونغ ومنزل عائلته القديم ومعرض مسيرته الفريدة. وجئت إلى جبال جينغ قانغشان الثورية للتعرف على المزيد من الأحداث التاريخية".

هناك أيضا مكان سياحي مشهور بجبل جينغ قانغشان يسمى هوانغ يانغ جين، كان ميدان معركة حاسمة تكللت بنصر الجيش الأحمر الصيني، وأصبح اليوم مزارا مشهورا لا يخلفه الزوار، يستذكرون من خلاله دروس النضالات القاسية، ويحيون ذكرى الشهداء البواسل من أبناء الشعب الصيني.

ولم تكن جبال جينغ قانغشان مكانا لعرض تاريخ الثورة الصينية القديمة فحسب، بل هي موقع سياحي طبيعي رائع، إذ تختفي داخل الجبال ينابيع وشلالات كثيرة، وخاصة أن شلالات وولونغ معروفة بأشكالها المختلفة، كأن هناك خمسة تنانين ترقص بين الغابات.

وكلما تقف في أسفل هذه الشلالات وترفع رأسك إلى الأعلى لتنظر إلى تلك الشلالات الجميلة، تشعر دائما كم أنت صغير وضئيل أمام إمكانيات الطبيعة العظيمة.

ملحمة النهر الأصفر

تعتبر مدينة يانان نقطة ثورية في تاريخ الصين، حيث يبدأ الزوار المحليون والأجانب على الإيقاع القوي للملحمة الغنائية الشعبية "الدفاع عن النهر الأصفر"، جولتهم في منطقة شلالات هوكو التابعة لمقاطعة شنشي شمال غرب الصين.

الملحمة المستوحاة من مشاهد طبيعة النهر الأصفر، ألهمت أبناء الشعب الصيني الروح القتالية خلال فترة حرب المقاومة الصينية ضد الغزو الياباني.

ويعتبر شلال هوكو ثاني أكبر شلال في الصين وأعظم شلال "أصفر" في العالم، حيث يبلغ عرض منبع الشلال 300 متر، ويختلف عرضه باختلاف المواسم، ويتراوح من 20 إلى 30 مترا بعد مسافة أقل من 500 متر من المنبع.

ومع زيادة انهمار الماء، فإنه يندفع إلى فتحة ضيقة في وسط جرف، كما لو كانت المياه تنهمر من إبريق ضخم، ومن هنا أخذ الشلال اسمه ويعني باللغة الصينية "فم الإبريق".

وتجذب شلالات هوكو شمالي الصين، التي أصبحت وجهة سياحية طبيعية وحيدة للمياه على المستوى الوطني داخل يانان، عددا كبيرا من الزوار المحليين والسياح من مختلف أنحاء العالم، بسبب مناظرها الخلابة، خاصة مع انعكاس ضوء الشمس عليها وظهور قوس قزح.

وإلى جانب غناها بموارد السياحة الحمراء، تحل يانان على قائمة الدفعة الأولى لمدن الصين التاريخية والثقافية، حيث تجذب جبال باو ته وبانغ جيا لينغ وزاو يوان وموقع مؤتمر لوهتشوان وقرية لبانغ جيا خه وغيرها من المواقع عشاق التاريخ والثقافة.

وتقدم دول أخرى مثل روسيا وفرنسا وألمانيا وكذلك كوبا منتجات سياحية تلبي اهتمامات السياح المهتمين بالثورات.

مصر تحتفل بيوم السياحة العالمي

القاهرة - احتفلت مصر ومدنها الأثرية والتاريخية الجمعة بيوم السياحة العالمي، الذي يحل في السابع والعشرين من سبتمبر من كل عام.

وأقيمت احتفالات فنية وفلكلورية وسط الأهرامات والمعابد الفرعونية في الجيزة والأقصر وأسوان وقنا وسوهاج والفيوم والمنيا، فيما تم استقبال السياح بالورود والغناء والرقصات الشعبية في مختلف مزارات مصر ومعالمها السياحية.

وقال محمد عثمان رئيس لجنة التسويق السياحي في مدينة الأقصر الغنية بالمئات من المقابر والعشرات من المعابد الفرعونية، إن فرق الفنون الشعبية ستقدم عروضها للسياح في ساحة معابد الكرنك الفرعونية، وأن الهدايا ستقدم لزوار المدينة طوال اليوم.

واستعدت المنتجعات السياحية على شواطئ محافظة البحر الأحمر وفي مدن الغردقة ومرسى علم وسفاجا للاحتفال بذلك اليوم، فيما اكتست احتفالات منتجع الجونة بيوم السياحة العالمي بطابع خاص، إذ تتزامن مع استضافة المنتجع لفعاليات النسخة الثالثة من مهرجان الجونة السينمائي، والتي اختتمت الجمعة.

وبحسب محمد يحيى عويضة المدير العام لمنطقة آثار الأقصر ومصر العليا، فإن قدماء المصريين عرفوا أنماطا من السياحة ومارسوا السفر واستمتعوا بالرحلات قبل آلاف السنين.

وأشار عويضة إلى وجود نقوش ورسوم على جدران المقابر المصرية القديمة، تشير إلى رحلات التنزه والحج، وأن تلك النقوش التي تتحدث عن رحلات السفر والتنزه والحج موجودة في آثار سقارة وميدوم وبني حسن ومقابر النبلاء في الأقصر.

ضرورة تنويع السياحة التونسية

تونس - قال عاملون في قطاع السياحة في تونس إن إفلاس شركة السفر البريطانية توماس كوك لن يؤثر كثيرا على السياحة التونسية، لكنه يذكّر بشدة بالحاجة إلى عرض منتج آخر غير الإقامة التي تشمل كل شيء في المنتجعات الساحلية.

وأوضح خليل فخفاخ رئيس الجامعة التونسية للفنادق أن إفلاس الشركة البريطانية يمس مباشرة 40 فندقا في تونس، مشيرا إلى أنها "فنادق جيدة، ولا أعتقد أنه سيكون هناك إفلاس" لفنادق.

وقالت مسؤولة في وكالة سياحة، طلبت عدم كشف هويتها، إن توماس كوك "زبون منذ أمد بعيد، الأمر سيكون صعبا لكن يمكن تجاوزه". وأوضحت أن "توماس كوك غابت تقريبا عن البلاد لثلاث سنوات، وتعلمنا كيف ننهض".

وبحسب الجامعة التونسية للفنادق، أدى إفلاس عملاق السياحة البريطاني إلى إحياء الدعوات لتنويع المنتج السياحي التونسي في وقت يأتي فيه ثلاثة أرباع السياح التونسيين عبر وكالات سفر.

وقال هادي حمدي الخبير في القطاع "إنه نموذج آخذ في الانحسار". وأضاف "يجب القيام بانتقال مرن مع عرض منتج موجه للأجيال الجديدة".

ولتحقيق ذلك يطالب أصحاب الفنادق خصوصا بتوقيع اتفاق "الأجواء المفتوحة" الذي يجري تحضيره منذ سنوات مع الاتحاد الأوروبي. ومن شأن هذا الاتفاق تمكين شركات الطيران المخفضة الكلفة القدوم إلى تونس وتقليص اعتماد الزوار على رحلات "التشارتر" لوكالات السفر.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

سباق الطب التجديدي للعثور على «عشبة الخلود»

اختراقات علمية متسارعة لتجديد الجسد وإبقائه في شباب دائم

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

تزايدت المؤشرات على أن السباق العلمي نحو تجديد الشباب قد ينتزع صدارة جميع السباقات العلمية والتكنولوجية، التي تتنافس لاستقطاب اهتمام جميع سكان العالم.

ليس هناك خلاف على أن هذا المحور العلمي هو الأكثر أهمية للجميع، لأنه لا يعد فقط بمعالجة معظم الأمراض، بل يعد ذات يوم بتجديد الجسد وإبقائه في شباب دائم، وهو ما يعني إطالة العمر لفترة قد لا تكون محدودة.

ليس خيالا علميا

لم يعد الأمر مجرد خيال علمي بعد تسجيل اختراقات كبيرة مثل اكتشاف العالمة هاروكو أوبوكاتا من معهد ريكن الياباني طريقة بسيطة لإعادة خلايا حيوانية إلى حالة جذعية محايدة أي في ذروة الشباب.

يمكن أن نتفهم حديث العلماء المتحفظ عن تجديد شباب بعض الأنسجة فقط مثل خلايا الدماغ لعكس أعراض مرض الزهايمر، لكن ذلك لا يمكن أن يمنع مخيلاتنا من الذهاب إلى إمكانية تجديد الشباب ومواصلة الحياة بلا حدود.

هناك اليوم المئات من الاختبارات والنجاحات في إنتاج أعضاء بديلة في المختبرات مثل طباعة قلوب أو كلى في ذروة الحيوية من خلايا جذعية مأخوذة من المريض بعد تكثيرها في المختبرات.

أحد الأركان الرئيسية لهذه البحوث هو حقيقة أن جميع خلايا الجسم قادرة على إنتاج خلايا جذعية، أي خلايا جنينية محايدة في ذروة الحيوية ويمكنها التأقلم وتشكيل جميع أنواع الأنسجة.

> في سيناريوهات الخيال غير البعيد تدور فكرة تحفيز كافة خلايا الجسم لإنتاج خلايا جذعية تعيد كامل الجسد إلى شباب دائم

لكن خلايا الجسم لا تفعل ذلك إلا في حالات الطوارئ الخاصة مثل الجروح، ولذلك فإن أحد الجوانب الأساسية للطب التجديدي تركز على محاولة فك شفرة أو لغة الخلايا لإقناعها بأنها في حالة طوارئ لكي تنتج خلايا جذعية وتعيد الأنسجة إلى ذروة شبابها.

في سيناريوهات قد لا تكون بعيدة، تدور فكرة الوصول إلى توجيه "نداء" كيميائي أو كهربائي إلى كافة خلايا الجسم لإقناعها بإنتاج خلايا جذعية تعيد كامل الجسد تدريجيا إلى ذروة الشباب.

انقلاب موازين الحياة

قبل الدخول في واقع هذه الصناعة وبحوثها يمكننا أن نتخيل الانقلاب الشامل في حياة البشر، والمنافسة والصراع للوصول إلى إكسير الحياة أو "عشبة الخلود" في شباب دائم إذا ما تم الإعلان عنها.

هل يستطيع نسيج المجتمعات البشرية امتصاص مثل هذا التحول المزلزل لتاريخ الحياة حين نزحف جميعا نحو البقاء في ذروة الشباب بغض النظر عن أعمارنا؟ يحتاج هذا السؤال نظرة فكرية وفلسفية عميقة لا يتسع لها هذا المقال.

ينبغي أن نفترض أن البحوث المعلنة لا يمكن أن تغطي سوى جانب ضئيل مما يجري في أقبية المختبرات، خاصة التي تديرها الأجهزة السرية للدول أو علماء متحمسون في مختبراتهم الخاصة.

ولا بد أن تكون هناك بحوث كثيرة حققت اختراقات كبيرة، لكنها لم تعلنها لحين إجراء تجارب أوسع للتأكد من النتائج أو لخشيتها من المعارضة الأخلاقية والتنظيمية إذا كانت صادمة للقناعات التي تدعم استقرار المجتمعات.

أهداف واقعية قريبة

يمكننا جميعا أن نسرح في الآفاق البعيدة المدى لعلوم الطب التجديدي، لكن الإطار الزمني للوصول إليها لا يزال غير واضح المعالم، مع قناعة الكثيرين بأنها ستصل ذات يوم إلى إبقائنا في شباب دائم. أما العاملون في هذا المجال فيكتفون بالقول إن تلك العلوم تطبق مبادئ علوم الحياة والهندسة الجينية لتجديد الأنسجة والأعضاء المصابة والتالفة نتيجة الحوادث والأمراض والشيخوخة.

وينهمك الكثير من العلماء في محاولة الوصول إلى الأهداف المباشرة وهي تطوير أساليب لتحفيز الجسم على إصلاح نفسه وتطوير أعضاء أو أنسجة في المختبر وزرعها في الجسم بأمان، عندما يفشل الجسم في إصلاح أنسجته.

هناك اليوم نقص شديد في الأعضاء التي ينتظرها من يعانون أمراضا مثل عجز القلب والكلى. ويمكن لهذا القطاع توفيرها في المستقبل بعد تحقيق نجاحات كبيرة في إنتاج أعضاء ومساحات من الجلد في المختبرات من خلايا الشخص المريض.

آفاق وعقبات كبيرة

في المنظور القريب يمكن للطب التجديدي أن ينمو بسرعة فلكية لتقديم حلول لأمراض شائعة مثل السكري والتهاب المفاصل، حيث يصل أعداد المصابين إلى مئات الملايين من الأشخاص.

وتشير البيانات إلى أن سوق الطب التجديدي العالمي سجل في العام الماضي نموا بنسبة 16.6 وترجح أن يواصل النمو بمعدلات سنوية لا تقل عن ذلك حتى عام 2024.

ويمكن لمعدلات النمو أن تنفجر إلى مستويات فلكية لولا غابة القيود التنظيمية والأخلاقية التي تقف بوجهها وترفع تكلفة المرور بالمسارات القانونية والقضائية الطويلة للحصول على إجازة العلاجات من قبل السلطات الرقابية والتنظيمية.

لا يمكن إهمال مخاطر العبث بخارطة نمو الجسد ودورة الحياة المغلقة بهذا المستوى الشامل، وهي منطقة لا تزال مجهولة وتثير معارضة أخلاقية شديدة.

المتحمسون لآفاق علوم الطب التجديدي يقولون إن هناك آفاقا هائلة لتطبيقاتها بسبب انتشار الإصابة بالسرطان والأمراض العصبية، بعد تحقيق اختراقات علمية وتكنولوجية هائلة. وتقسم التقارير التي تدرس سوق الطب التجديدي العالم إلى 4 مناطق لأغراض تحليلية هي أميركا الشمالية وأوروبا ومنطقة آسيا والمحيط الهادئ وبقية العالم.

وتحتل أميركا الشمالية حاليا صدارة أسواق الطب التجديدي العالمي تليها أوروبا، لكن التوقعات ترجح أن تسجل منطقة آسيا والمحيط الهادئ أسرع معدلات النمو، بسبب قلة العوائق الأخلاقية والتنظيمية في دول كبرى مثل الصين والهند واليابان.

ويمكن للسلطات التنظيمية في تلك الدول أن توافق على علاجات ثورية، في وقت تجد فيه تلك العلاجات صعوبات كبيرة في أوروبا وأميركا الشمالية بسبب جماعات الضغط المعارضة التي تثير أسبابا أخلاقية لمنع استخدامها.

كما أن حكومات الدول الآسيوية وخاصة الصين تتولى بنفسها تمويل الأبحاث بإرادة سياسية حازمة، بعد أن وضعت سباقات تحقيق أقصى الابتكارات العلمية في صدارة أولوياتها.

ويعد ميدان تحفيز إنتاج الخلايا الجذعية في الجسم وتكثيرها في المختبرات المحور الأهم في علوم وسوق الطب التجديدي حاليا. ومن المتوقع أن يظل في الصدارة ويمكن أن تزداد أهميته إذا اتسع دور تلك الخلايا في تجديد المزيد من أنسجة الجسم.

وشهدت السنوات الأخيرة تراجع الحواجز التنظيمية وزيادة موافقات السلطات على تطبيقات استخدام الخلايا الجذعية في معظم دول العالم لخفض تكاليف الرعاية الصحية مع تزايد معدلات الشيخوخة ومخاوف التخلف عن ركب الدول المندفعة لتطوير تلك الأبحاث.

كما أن التقدم التكنولوجي انعكس في زيادة الوعي الشعبي بفوائد استخدامات علاجات الخلايا الجذعية وأجبر السلطات التنظيمية على إبداء المرونة في إجازة استخدامها في أغراض محددة.

سباق التطبيقات والاستخدامات

تذهب الدراسات والتقارير إلى تقسيم السوق بحسب العلاجات إلى أمراض القلب والأوعية الدموية ومرض السكري وأمراض الدم والمفاصل والجهاز العصبي والأمراض الجلدية وأمراض السرطان.

حتى الآن لا تزال الأمراض الجلدية تستأثر بأكبر حصة من سوق الطب التجديدي، لكن انتشار أمراض السرطان مع تغير أنماط الحياة وارتفاع معدلات الشيخوخة، يمكن أن يجعله الميدان الأسرع نموا في السنوات المقبلة.

كما تجري حاليا الكثير من الأبحاث حول تطبيقات تجديد العظام والجهاز العصبي الهيكلي. وقد تزايدت وتيرة الاستثمار والتمويل وجرت عمليات استحواذ كثيرة على مختبرات قفزت إلى الواجهة بعد تحقيق اكتشافات نوعية.

وهناك اليوم عدد كبير من الشركات الناشئة التي تأسست على تحقيق اختراقات علمية، والتي سرعان ما تتسابق شركات الأدوية الكبرى للاستحواذ عليها. كما أن غموض السباق نحو انقلابات الطب التجديدي يفتح المجال واسعا أمام رأس المال المغامر للبحث عن أصحاب الابتكارات وتقديم تمويلات صغيرة يمكن أن تحقق أرباحا هائلة في حال نجاحها على نطاق عالمي.

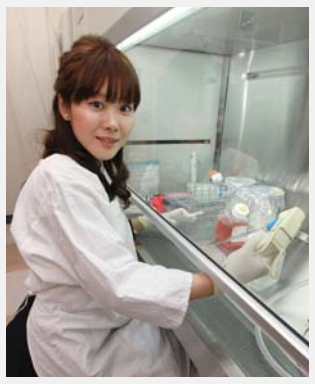

> هاروكو أوبوكاتا من معهد ريكن الياباني توصلت لطريقة بسيطة لإعادة خلايا حيوانية إلى حالة جذعية محايدة في ذروة الحيوية

هناك آراء متباينة في حجم الطموحات والتوقعات وتقييم الاختراقات العلمية، وهو ما يحدد في النهاية حجم الاستثمارات التي تستقطبها وبالتالي وتيرة تطويرها وانتشارها.

يمكن أن نعجب كأفراد بابتكارات عملية وتكنولوجية باهرة، لكن تلك الابتكارات لن تنجح إذا لم تجد من يراهن على إمكانية تحقيق عوائد مالية من خلالها، ولذلك فإن رهانات المستثمرين هي المؤشر الأكثر وضوحا لمستقبل أي نشاط أو قطاع اقتصادي.

وفي الخلاصة لا تزال آفاق علوم الطب التجديدي في غابة من الآراء والتوقعات المتقاطعة وهي تسير في حقل ألغام اللوائح التنظيمية والمعارضة الأخلاقية بسبب خطورة الانقلاب الذي يمكن أن تحدثه في حياة البشرية.

لكن النتائج العلمية المتحققة بالفعل لا تترك مجالا للشك في أننا سنصل ذات يوم إلى إكسير الحياة في شباب دائم.

> البحوث المعلنة لا تمثل كل ما يحدث ولا تكشف ما يجري في مراكز الأجهزة السرية للدول ومختبرات العلماء الخاصة

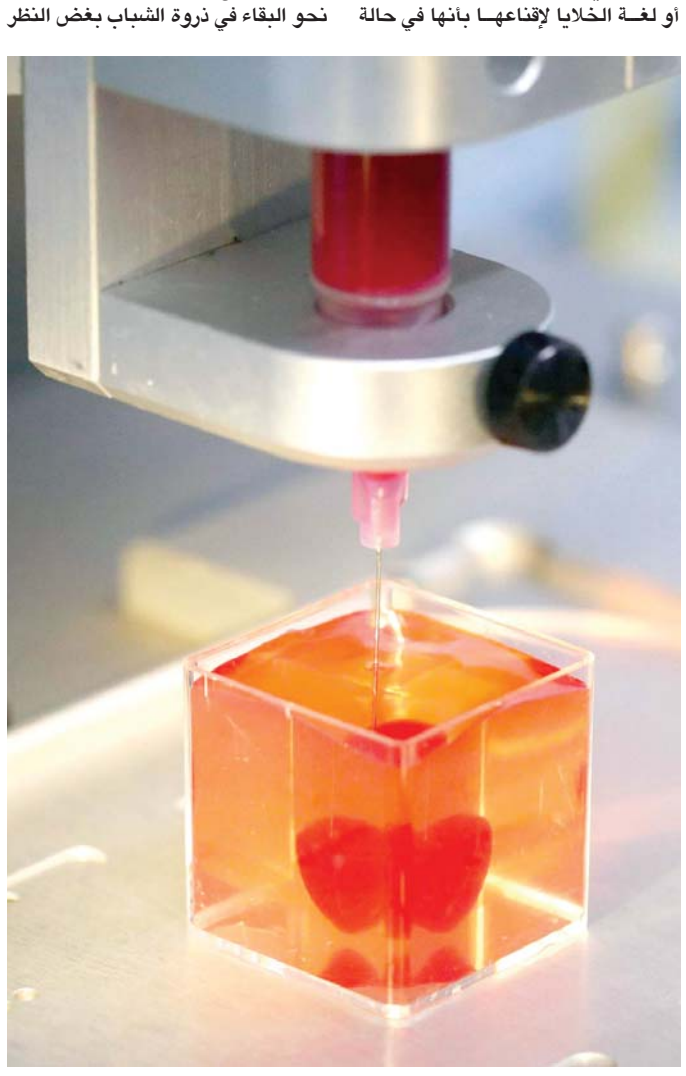

طباعة قلب مثالي في المختبرات حسب الطلب ومن خلايا الزبون الجذعية

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

التدرب على جهاز التجديف يقوي القلب والعضلات

سرعة الحركات وتكرارها يعزّزان عملية حرق الدهون

عرف التجديف خاصة كرياضة تمارس في مياه الأنهار والبحيرات باستخدام زوارق مخصصة ومجدافين. ونظرا لأن هذا النوع من الرياضات يتأثر كثيرا بعوامل الطقس كالرياح والأمطار، ابتكر أخصائيون جهازا يحاكي إلى حد كبير حركة المتدرب عند التجديف في المياه.

التجديف تمرين لكامل الجسم

باريس - يوفر جهاز التجديف فرصة ذهبية لأحباء هذه الرياضة للتدرب داخل قاعات الرياضة أو في منازلهم عندما يتعذر عليهم القيام بذلك في الأنهار والبحيرات. وكشف تقرير نشر في موقع "ليكيب" الفرنسي أن التدرب على جهاز التجديف هو بمثابة تمرين متكامل لكل الجسم وهو أداة مثالية لتقوية القلب وإنقاص الوزن.

وتعمل رياضة التجديف على تدريب مجموعات العضلات الرئيسية، وتساعد على تطوير جزأي الجسم العلوي والسفلي معاً في الآن نفسه.

ونظرًا لأن هذا النوع من التمارين يتطلب استخدام العديد من المجموعات العضلية الرئيسية، فإن آلة التجديف هي وسيلة فعالة لرفع معدل ضربات القلب وزيادة الحصول على الأوكسجين لممارسة تمرين قلبي فعال. وتتيح المقاومة القابلة للتعديل في معظم أجهزة التجديف للمتدرب العمل بسهولة.

يقول العلماء، وفق تقرير للموقع الطبي (دبلي ميديكال انفو)، إن التدريبات المنتظمة على جهاز التجديف يمكن أن تساعد على حرق السعرات الحرارية وتشكيل العضلات ومنح المتدرب طاقة أكبر. فيمكن لآلة التجديف أن تحرق ما معدله 600 سعرة حرارية في الساعة. ويعد ذلك أكثر كفاءة من العديد من أجهزة الصالة الرياضية المنزلية الموجودة في السوق. وكمثال على كفاءة آلة التجديف في حرق الدهون، على الدراجة الثابتة مثلاً دون استخدام الذراع، يحتاج المتدرب إلى التمرين حوالي 78 دقيقة ليساوي تمرينا مدته 60 دقيقة على آلة التجديف.

و توفر آلات التجديف تمرينًا مكثفا للجزء العلوي من الجسم. وهناك فوائد أكبر للظهر والكتفين وتشمل تحسين وضعية الوقوف وكذلك تقليل آلام الظهر. ويوفر جهاز التجديف أيضًا تمرينًا جيدًا لعضلات الباي والتراي والصدر، مما يساعد على تطوير بنية علوية أقوى. ونظرًا للحاجة إلى الحفاظ على قبضة قوية على المجاديف، يقوم المتدرب أيضًا بتدريب يديه ومعصميه بشكل أقوى، وهي ميزة مهمة لأي شخص يقوم بأنشطة مثل التسلق أو اليوغا.

وربما يكون أحد أفضل فوائد آلة التجديف هو التمرين الذي تقدمه للجسم السفلي. ويفكر عشاق التجديف بشكل أساسي في فوائده للجزء السفلي من الجسم، رغم أن عضلات الساق الرئيسية المعنية في التمرين هي الأرباع في الجزء العلوي الأمامي من الفخذين. ولكن عضلات الأرداف تتفاعل أيضًا مع التمرين. وهو ما يساعد على بناء أرجل وعضلات قوية، كما أن تمرين الجزء السفلي من الجسم يحرق السعرات الحرارية بالفعل بمعدل أسرع. بالإضافة إلى تحسين قوة العضلات وتناغمها، فإن التدريب على المقاومة على جهاز التجديف هو وسيلة ناجعة للحفاظ على المرونة والتوازن.

فوائد التجديف

يشير مدرّبو اللياقة إلى أن المتدرب على جهاز التجديف قد يشعر بالإرهاق في البداية، ولكن الفوائد طويلة الأجل للتمرين المنتظم ستزيد من قدرته على التحمل وتوفر له المزيد من الطاقة.

قد تشكل تمارين الكارديو مثل الركض والسير لمسافات طويلة ورفع الأثقال خطورة أكثر من كونها تمارين مفيدة للأشخاص الذين يعانون من سمنة مفرطة ومشكلات صحية مزمنة. لذلك يعد استخدام جهاز التجديف بديلا فعالا لتمارين الكارديو لهؤلاء الأشخاص ولا يضر بصحة المفاصل، كما أنه يساعد على تثبيت الركبتين بعد العمليات الجراحية.

يتساءل كثيرون عن الفرق بين استعمال جهاز المشي وجهاز التجديف وأيهما أفضل ورغم أن كليهما يقويان عضلات الجسم ويدعمان وظيفة القلب والرئة ويحسنان صحة العظام والمزاج ويعملان على تقليل الشعور بالتوتر ويرفعان مستوى الطاقة في الجسم ويساعدان على خسارة الوزن إلا أن جهاز التجديف يفوق جهاز المشي في بعض المميزات الأخرى. ويعمل جهاز التجديف على خسارة الوزن ولكن بشكل متناسق في كل أجزاء الجسم ويشد العضلات بعد خسارة الوزن ويمنع ظهور الترهلات.

ويركز جهاز المشي وزن الجسم على مفاصل الركبتين مما يزيد الشعور بالتعب سريعًا وقد تحدث إصابات خطيرة من استعماله، بينما يوزع جهاز التجديف ثقل الجسم بشكل متساو على عضلات الجسم فلا يسبب أي إصابات أو حوداث عند استعماله.

ويوصي الأطباء باستخدام جهاز التجديف بعد خضوع المرضى للعديد من العمليات الجراحية لتقوية العضلات والمفاصل ولكنهم يحذرون من استعمال جهاز المشي إلا بعد التعافي تمامًا.

> رياضة تجديف الصالات تعمل على تدريب جميع عضلات الجسم، وهي لا تحمل على جانب واحد دون الآخر

تقول جيل بنفولد، وهي مدربة شخصية مقيمة بلوس أنجلوس، إن التجديف لا يقتصر فقط على جعل معدل ضربات القلب يرتفع، والذي يساعد على تسريع حرق السعرات، وإنما يعمل أيضا على تدريب عضلات الساقين والأجهزة الأساسية والذراعين والكتفين وعضلات الظهر التي نتعود على استخدامها. وتوصي بنفولد بهذه الرياضة لحرق دهون البطن، وهو أمر صعب على المبتدئين والمحترفين على حد سواء. وأوضحت أنه من الأفضل البداية بـ20 ثانية من التجديف تليها 10 ثوان من الراحة، مع تكرار هذا التمرين لـ8 مرات، ومحاولة قطع مسافة أكبر في كل مرة. وعند الانتهاء من هذه الدورة التي تستغرق 4 دقائق، على المتدرب أن يقوم بالتجديف بسرعة 500 متر. تقول بنفولد "هذا هو الرقم الذي ينبغي الوصول إليه أو تجاوزه خلال جلسة التجديف التالية".

يقول مدربون ألمان إن رياضة تجديف الصالات تعد واحدة من الرياضات الحديثة المهمة، التي تساعد على منح الجسم المزيد من الصحة واللياقة البدنية. ورياضة التجديف إحدى رياضات قوة التحمل، التي تعمل على تقوية العضلات، وفي هذه الرياضة يجلس اللاعب ويمد قدميه ويثبتهما باتجاه سطح ثابت، ثم يقوم بيديه بسحب أثقال أو السحب ضد مقاومة عبر مقبض موصول بحبل.

وهناك عدة تقنيات وطرق لممارسة تجديف الصالات، إذ قد يتم التجديف مع تثبيت الجسم، كما قد يشمل التمرين تحريك الجسم للأمام والخلف. وتتم عادة ممارسة هذه الرياضة على جهاز اسمه "الإرغوميتر". وتعمل رياضة تجديف الصالات على تدريب جميع عضلات الجسم، كما أنها لا تحمل على جانب واحد دون الآخر.

ومع أن تجديف الصالات يعمل على تحريك جميع العضلات، فإنه في الوقت نفسه لا يحرك جميع العضلات بشكل شديد؛ فهو يتميز -مثل السباحة- بعدم التحميل على جانب واحد فقط من الجسم.

والساقان هما أكثر أجزاء الجسم استفادة من ممارسة التجديف؛ حيث إن 70 بالمئة من القوة لدى التجديف تأتي من الساقين. وأكد الأخصائيون الألمان أنه من المهم تعلم التسلسل الصحيح للحركات والتناسق بين الذراعين والساقين من أجل تحقيق الاستفادة المرجوة، ولجعل التدريب فعالا قدر الإمكان يوصى بتعلمه على يد متخصصين.

ويوصون بعدم ممارسة التمرين بشدة، مع الحفاظ على الوضعية المستقيمة للظهر وعدم إرهاق الجسم؛ حيث إن السرعة والشدة تؤديان إلى نتائج عكسية، لذا يفضل بوجه عام أداء الحركات بهدوء وتروّ وبقوة، ولكن دون ضغط. ويقول البعض إن رياضة تجديف الصالات قد تساعد في علاج آلام الظهر.

تمارين الكارديو

ترتكز رياضة التجديف سواء كانت في المياه أو داخل قاعات الرياضة على تمرين الكارديو. وتعرف منظمة "أميركان كولليدج" أو "سبورت مديسين" الكارديو أو التمارين الهوائية بأنها أي نشاط يستخدم المجموعات العضلية الكبيرة، بطريقة متناغمة ومستمرة، معتمدة في هذا على الأيض الهوائي لإنتاج الطاقة من النشويات والبروتين والدهون.

> هناك عدة تقنيات لممارسة تجديف الصالات، فقد يتم التجديف مع تثبيت الجسم، أو عبر تحريك الجسم للأمام والخلف

والكارديو هو اختصار للتمارين القلبية الوعائية وهو نوع من التمارين التي تحافظ على ضربات قلب مرتفعة. وهي حركات تؤدي لرفع معدل ضربات القلب مثل المشي أو الركض أو السباحة أو ركوب الدراجة أو الزومبا والرقص أو أجهزة الكارديو في الجيم مثل المشاية أو الأوربتراك.

وفي دراسة أجريت على مرضى فشل القلب، طلب الباحثون من المرضى أداء تمارين الكارديو في صورة تمارين هيت (تمارين الكارديو عالية الشدة المتقطعة) كولونيا في ألمانيا أن ممارسة تمارين الكارديو على معدة خاوية قد تؤدي إلى انخفاض نسبة السكر بالدم، مما تترتب عليه متاعب بالدورة الدموية أو الشعور بالغثيان. وفي مثل هذه الحالة ينبغي تناول طعام سهل الهضم بسرعة قدر الإمكان، مثل خبز الدقيق الأبيض أو البعض من الفاكهة. وأكد عضو الجمعية الألمانية للطب الرياضي، فينفريد بانتس، أن الاعتقاد السائد بأن ممارسة الرياضة في حالة جوع تساهم في خسارة الوزن الزائد خاطئ. وبيّن أنه توصل خلال أبحاثه إلى أنه في صورة الرغبة في التنحيف تجب ممارسة الرياضة بعد تناول وجبة من الطعام حتى يتمكن الجسم من حرق عدد أكبر من السعرات الحرارية. وأشار عضو الجمعية الألمانية للطب الرياضي إلى أن أغلب الراغبين في اكتساب قوام رشيق يمارسون الرياضة في الصباح الباكر على معدة خاوية، لكن الأفضل أكل ولو القليل من الطعام لتكون النتائج أكبر.

وينصح البروفيسور الألماني بريدل بتناول الإفطار قبل ممارسة تمارين الكارديو، مع مراعاة عدم ملء البطن، وإنما تناول وجبة خفيفة تحتوي على الكربوهيدرات.

وفي دراسة أخرى، تتبّع باحثون بلجيكيون طرق فقدان الوزن في مجموعتين من الشباب الأصحاء، الأولى مارس أفرادها تمارين شاقة وروتينية لكن بعد وجبة الإفطار.

يؤدي أداء الكارديو أيضا إلى تغيير الهرمونات في الجسم إلى حدّ كبير. والهرمونات الجديدة من شأنها أن تساعد في تخفيف أعراض الاكتئاب والتعب وتقليل الشهية. والأفراد الذين يشاركون في ممارسة هذه التدريبات، بانتظام، غالبا ما تكون لهم نظرة أكثر إيجابية للحياة وأقل عصبية وتوترا.

ويحذر مدربو اللياقة من بعض السلبيات عند الإفراط في التمارين الهوائية، حيث أشارت إحدى الدراسات إلى اقتران زيادة القيام بالتمارين الهوائية أو الكارديو بالوفاة.

وقد قدرت هذه الدراسة المدة المناسبة للتمارين الهوائية بساعة إلى ساعتين ونصف أسبوعيا وأن هذه المدة كافية للحصول على كل الفوائد المرجوة.

وقد يتسبب تكثيف هذا النوع من التمارين أو كثرة تكراره في حدوث إصابات بليغة. وأثبتت البحوث أن الإفراط في تمرين الكارديو ليس فعالا في بناء العضلات وقد يتسبب في فقدان الكتلة العضلية وهذا ما يفسر انخفاض الكتلة العضلية لعدائي الماراثون.

يقول الباحثون في مجال الطب الرياضي إن التمرين الهوائي فعال أكثر لفقدان الدهون "مع اتباع نظام غذائي منخفض السعرات".

ويقترح الأخصائيون ممارسة التمرين لمدة عشرين دقيقة و3 مرات على الأقل كل أسبوع وعرفوا التمرين الهوائي بأنه القدرة على استعمال المقدار المتوسط من الأكسجين خلال التمرين الشاق.

وأفراد المجموعة الثانية مارسوا التمارين نفسها لكن قبل وجبة الإفطار. واتبع المشاركون في البحث نظاماً غذائياً تزيد فيه نسبة السعرات الحرارية بنحو 30 بالمئة كما تزيد فيه الدهون بنسبة 50 بالمئة لمدة ستة أسابيع.

وخلصت الدراسة إلى أن أفراد المجموعة الأولى الذين مارسوا الرياضة بعد الإفطار قد اكتسبوا وزناً إضافياً، يقدر بنحو كيلوغرام ونصف الكيلوغرام لكل منهم وتطورت لديهم مشاكل الأنسولين، فيما لم يكتسب أفراد المجموعة الثانية الذين مارسوا التمارين الرياضية قبل وجبة الإفطار أيّ وزن إضافي وكانت لديهم مستويات الأنسولين صحية، كما قامت أجسامهم بحرق المزيد من الدهون طوال اليوم مقارنة بالرجال الآخرين.

وعند ممارسة الكارديو يجب أن يفرز الجسم العرق، بشكل معتدل، مع الحفاظ على معدّل نبضات القلب المرتفعة لمدة لا تقل عن 20 دقيقة. ويوصي مدربو اللياقة بالانتظام في ممارسة الكارديو 3 مرات في الأسبوع على الأقل، ولكن الجامعة الأميركية للرياضة تنصح بممارسة الكارديو لمدة لا تقل عن 30 دقيقة وأكثر على مدى أيام الأسبوع.

خطر الإفراط

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

الحياة الجامعية فترة دقيقة من حياة الشاب تحدد مستقبله

مرحلة التعليم العالي بوابة الحياة المهنية والاجتماعية للطالب

حالمون بمستقبل مزهر

ينشغل الشباب الناجحون في الثانوية العامة بالتفكير في التجربة الجديدة التي هم مقبلون عليها في حياتهم، يحلم بعضهم بالنجاح والتخرج في اختصاص طالما رغب فيه وآخرون يفكرون في إيجاد حلول للاختصاص التعليمي الذي فرضه عليهم التوجيه الجامعي، فيما تهمل فئة أخرى كل ما يهم التعليم وتركز على الحياة الاجتماعية الجديدة والابتعاد عن بيت الأسرة وما يعنيه من تحرر وتحمل للمسؤولية الفردية.

سماح بن عبادة
صحافية تونسية

تونس - في بداية العام الجامعي الجديد تعيش الأسر وأبناؤها فترة التحضير والاستعداد لمرحلة التعليم العالي التي سيتحدد وفقها مستقبل الطالب التعليمي والمهني وكذلك الاجتماعي. العديد من الطلبة والطالبات يبدأون تجربة الحياة الجامعية فيصفونها بداية بالسيئة سواء بسبب التوجيه الجامعي أو خوفا من الابتعاد عن الوالدين والإخوة أو بسبب السكن الجامعي الذي لم يعجبهم موقعه وظروف الإقامة فيه أو بسبب رفضهم الخروج من بيت العائلة. وعلى النقيض يفرح غيرهم ويقبلون على التجربة بكل معطياتها بتفاؤل ودون خوف ويفرحون لمجرد التفكير في أنهم في مرحلة تتويج سنوات التعلم وفي مرحلة الاستقلالية في كل شيء.

> الطالبات الجديدات شريحة هشة نفسيا وثقافيا وماديا وبالتالي فإنهن عرضة لشتى أنواع المغريات والتضليل خصوصا مع توفر مناخ من الحرية وعدم الرقابة التي لم تتعودن عليها سابقا

تتفاوت المخاوف من التجربة الجديدة مثلما تختلف مشاعر كل طالب جديد نحو المرحلة الانتقالية من تلميذ إلى طالب ومن المعهد إلى الجامعة ومن بيت العائلة، في أغلب الحالات، إلى السكن الجامعي ومن مرحلة التعلم فقط إلى مرحلة التعلم والتربصات والتدريب وربما من مدينة إلى أخرى تبعد عنه كيلومترات ومن فرد ينتظر على المائدة مع إخوته أن تأتي لهم الأم بالطعام إلى شاب أو فتاة مستقلة مطالبة بالاعتماد الكلي على نفسها في توفير جميع مستلزماتها.

وتحدد في أغلب الحالات طريقة البدء في هذه المرحلة نسبة من نجاح الطالب من عدمه، وكذلك الانتظارات من التعليم الجامعي بحسب الطالب وبحسب عائلته ومحيطه التعليمي والاجتماعي، لكن بعض الطلاب لكثرة رغبتهم في المغامرة وفي التمتع بجانب من الحرية الشخصية يجدون أنفسهم في مواجهة مخاطر متعددة قد يعجزون عن التصدي لها وتنتهي تجربتهم الجامعية بالفشل ما يؤثر حتما على مسار حياتهم كاملة.

ويرى الباحث المختص في علم الاجتماع، طارق بالحاج محمد، أن الجامعة تعد بوابة الدخول إلى الحياة الاجتماعية والمهنية لهذا يكتسي خوض هذه التجربة خطورة وصعوبة مستمدة من صعوبة الحياة نفسها. فهي تجربة بقدر ما هي مفيدة وأساسية في تكوين الشخصية بقدر ما هي محفوفة بالمخاطر ومحاطة بالصعوبات ولهذا فالنجاح في خوضها هو مقدمة للنجاح في الحياة والعكس صحيح.

ويوضح بالحاج محمد في حديث لـ"العرب" أن الجامعة ليست فقط فرصة للارتقاء في سلم المعرفة بل أيضا للتدرب على صعوبات الحياة وإكراهاتها والتزاماتها ومسؤولياتها. وهي الخطوة الأولى لتمرين الاعتماد على النفس واختيار أي السبل نسلك في الحياة.

وتعتبر الطالبات من أكثر الشرائح تعرضا للمشكلات عند خوض تجاربهن في الحياة الجامعية باعتبارهن الأكثر استهدافا سواء من أصحاب الميولات الإجرامية الفردية أو المنظمة وحتى من الشبكات الإرهابية، وعلى حد تعبير المختص الاجتماعي، لكي تجتاز الطالبة هذه المرحلة بنجاح وسلام يجب أن تتوفر مجموعة من الشروط منها ما يتعلق بالمؤسسات ومنها ما يتعلق بالأولياء ومنها ما يتعلق بالطالبة ذاتها.

وتتمثل مسؤولية وزارة وهياكل الإشراف في أن يكون الفضاء الجامعي وملاحقه فضاء آمنا ومضيافا تتوفر فيه شروط المرافقة والمراقبة والإحاطة والتأطير وخاصة للطالبات الجديدات اللاتي تنقصهن المعرفة والخبرة لمواجهة هذه التجربة الجديدة. ويتابع بالحاج "هذه المرافقة والمراقبة يجب توفرهما في جميع الفضاءات التي ترتادها الطالبات انطلاقا من قاعة الدرس والمكتبة وصولا إلى المطعم وخاصة المبيت الجامعي الذي يمثل أكثر الفضاءات التي يرتفع فيها منسوب السلوكيات المحفوفة بالمخاطر حيث تنشط شبكات الجريمة المنظمة والدعارة والتجنيد في الشبكات الإرهابية...".

ويشير بالحاج محمد إلى أهمية المسؤولية العائلية، إذ أن طيفا كبيرا من الأولياء يعتقدون أن مسؤولياتهم تنتهي بمجرد ترسيم أبنائهم في الجامعة والمبيت غير مدركين أن المسؤولية الحقيقية تبدأ بعد ذلك. فالشريحة الطالبية وخاصة الطالبات الجديدات شريحة هشة نفسيا وثقافيا وماديا وبالتالي فإنهن عرضة لشتى أنواع المغريات والتضليل خصوصا مع توفر مناخ من الحرية وعدم الرقابة التي لم تتعودن عليها سابقا مما يفتح أمامهن باب خوض بعض التجارب الخطيرة أو التورط في بعض السلوكيات أو الممارسات دون علم أو دراية كأن تقعن ضحية إحدى الشبكات الإجرامية أو الإرهابية الخطيرة.

وبالتالي فإن مسؤولية الأولياء اليوم تبدو مضاعفة في ظل تعدد المخاطر التي تحدق بفئة الشباب عامة وبالطالبات خصوصا.

ويفترض أن الحياة الجامعية هي مرحلة بداية النضج وتحمل المسؤولية الشخصية وبالتالي فالطالب من الواجب عليه تحمل جزء من مسؤولية نفسه وسلامته عبر تقدير المخاطر المحيطة به وتجنبها. ولتحصين نفسه من هذه المخاطر يجب أن يختار مجموعة من العلاقات الاجتماعية متكونة من الطلاب الذين يفوقونه سنا وتجربة واجتهادا وانضباطا حيث تتوفر لهم الإحاطة والنصيحة والمثل الأعلى. كما يؤكد الباحث في علم الاجتماع أن على الطلبة الانخراط في الأنشطة الثقافية والاجتماعية في الفضاء الجامعي وخارجه ليتسنى لهم تكوين ذواتهم واستثمار طاقاتهم ووقتهم واكتشاف الحياة بشكل مجد ومفيد ومثمر.

نجاح تجربة الطالب رهين التكفل بالتحولات الشخصية والاجتماعية

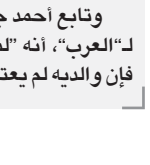

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر - يستفيق الكثير من الطلبة الجدد من نشوة التتويج بشهادة الباكالوريا، على صدمة ولوج عالم الجامعة بتعقيداته ومفاجآته التي حطمت آمال وطموحات العديد منهم، لاسيما الذين لا يستندون إلى تجارب الأقرباء والأصدقاء، أو الذين يفتقدون للتوجيه الجيد والتحضير النفسي والذهني لمواجهة المرحلة الجديدة.

كاد أحمد جبري (ناجح في شهادة الباكالوريا) أن يضيع موسمه الدراسي الجامعي الحالي، بعدما تهور في حلم الدراسة في الخارج، وانساق وراء عالم وردي صنعته ومضة إشهارية على شبكات التواصل الاجتماعي، وهي تغري متابعيها بتوفير فرص الدراسة في دولة أوكرانيا.

وفي تصريح لـ"العرب"، ذكر أنه "سجل في آخر اللحظات بالجامعة التي وُجّه إليها، وفقد فرصة الحق في الإقامة، وذلك بعدما استفاق من حلم مزيف كاد أن يعصف بمستقبله الدراسي، حيث اتضح له أن الوكيل المزعوم محتال يستغل اندفاع الناجحين الجدد وطموحاتهم".

واستطاع مقربون منه أن يقنعوه بالتريث قبل الإقدام على هذه المغامرة، وذلك بتثبيت مقعده في الجامعة الأصلية ببلدته، ثم التفكير في شيء آخر، فضلا عن التدقيق في العروض التي باتت تتهاطل على طلبة الجامعات، من وكلاء لجامعات مغمورة في بعض دول العالم.

وتابع أحمد جبري، في سرد تجربته لـ"العرب"، أنه "لما كان هو وحيد العائلة فإن والديه لم يعترضا على الفكرة، وأبديا استعدادهما لمساعدته برصيد العائلة، قبل أن يذعنا للأمر الواقع ولمستقبل غامض يلف ابنهما في ظل أزمة التعليم الجامعي وشبح البطالة الذي يهدد المتخرجين في الجزائر سنويا".

وأمام غياب آليات التوجيه الدقيق واختلال التكفل البيداغوجي بالمرحلة الانتقالية في حياة عشرات الآلاف من الناجحين الجدد، يبقى مصير هؤلاء مربوطا بفرص التوفيق المرتبطة ببرنامج كمبيوتر التوجيه والوساطات وإمكانيات العائلة، في حين يكون آخرون ضحايا صدمة ترهن مستقبلهم الدراسي، وسرعان ما تغتال فرحة التتويج بشهادة الباكالوريا مبكرا.

واضطر الطالب الجديد عبدالغني لطرش إلى التنازل عن معدله الممتاز الذي يؤهله للتسجيل في أحسن جامعات الجزائر، وسجل في جامعة تقرب من مقر سكناه لأن العائلة لا تملك الإمكانيات المادية اللازمة لمصاريف السكن، والتي تسمح له بمزاولة دراسته في جامعة قسنطينة التي تبعد عن سكنه 400 كلم.

و يقول لطرش "أحالني برنامج كمبيوتر التوجيه إلى صنف (خارج الاختيار)، رغم أن المعدل ممتاز"، وهو الطعن الذي أحاله إلى جامعة تبعد عن مقر سكنه بـ400 كلم، واضطر مرة أخرى للتنازل عن تخصصه الجديد، وعاد إلى الجامعة القريبة منه وثبت تسجيله في تخصص لم يكن في أجندته إطلاقا.

دخول الطالبات للجامعة أصعب

ويكون الأمر أكثر تعقيدا لدى الفتيات، لاسيما المنحدرات من المناطق المحافظة والداخلية، فالصور والمفاهيم المسوقة في بعض الأوساط عن الحياة الجامعية والطالبية بالذات، تشكل أول تحد لهن، لأن الطالبة تضطر أحيانا إلى إقناع أسرتها بضرورة مواصلة دراستها، وبكسر صور سلبية رسمت عن الجامعة، قبل أن تفكر في بداية مشوارها.

ويكون سبب توجس العائلة من التجربة الجامعية الخوف من أن ينحرف البحث عن مستقبل الطالبة ومسارها العلمي والمهني، إلى مسائل الشرف والأخلاق وسمعة العائلة، وكأن المرحلة الجديدة هي سقوط آلي في الرذيلة أو الانحراف، وإذ ذهب البعض ضحية تشدد أوليائهن، فإن وصايا الشرف والسمعة باتت تسبق نصائح المساعدة على الاندماج في المجتمع الجديد.

وصرحت طالبة رفضت ذكر اسمها لـ"العرب" بأنها "رغم اليتم والظروف الاجتماعية الصعبة لعائلتها، إلا أنها بقيت متمسكة بشخصيتها المحافظة، وأكملت دراستها في إحدى جامعات العاصمة، المعروفة بهيمنة تيار فكري حداثي، واستطاعت كسب احترام زملائها لأنها كانت تحترم أفكارهم وقناعاتهم".

ويرى أحد الأولياء أن البيئة الاجتماعية للطالب الجامعي تكون عاملا أساسيا في اندماجه، فبقدر ما يكشف خللا واضحا في آليات توجيه وزارة التعليم العالي.

واضطر الطالب للقيام بإجراء البعد وطبيعة الأسرة تكون المرونة أو الصعوبة، خاصة بالنسبة للفتيات.

وبناء على تجربته الشخصية، فإن التحاق ابنه كان سلسا ودون معوقات، أما بالنسبة للبنت فكان الأمر أكثر صعوبة، بسبب بعد الجامعة التي وجهت إليها عن مقر السكن، حيث تحول سفرها بين البيت والجامعة إلى مصدر إزعاج وسبب في زيادة نفقاتها، فيضطر إلى توفير مبلغ إضافي لتأجير سيارة خاصة لها لتفادي مشكلات التنقل.

وكان تحقيق تلفزي مغبرك أعدته إحدى القنوات الخاصة في الجزائر، قد أحدث صدمة قوية لدى الكثير من الأولياء، بعدما قدم بعض النماذج الشاذة، كصورة عامة عن الحياة الجامعية، وعرض الأحياء الجامعية كوكر للانحلال والرذيلة، ليغذي بذلك الصعوبات الاجتماعية التي تحول دون اندماج الطالبة الجديدة في الجامعة.

ويؤكد المختص في شؤون التربية وأستاذ البيداغوجيا في المدرسة العليا للأساتذة رابح الأصقع أن "مسألة التنسيق بين مختلف أطوار التعليم والجامعة كانت محل اهتمام العديد من علماء الاجتماع والتربية والتعليم، قياسا بما تمثله مرحلة التعليم العالي من تتويج لمسار كامل من الدراسة وتهيئة الجيل الجديد للاضطلاع بالمسؤوليات المستقبلية".

ويرى المتحدث في تصريح لـ"العرب" أن "الانتقال من التعليم الثانوي إلى الجامعي يمثل مرحلة مفصلية في المسار الدراسي، نظرا للتحولات التي تطرأ في حياة الطالب، وتدخل نتائج المرحلة التعليمية، كفاعل قوي في محيطه الاجتماعي، حيث يبدأ التحضير لها منذ إعلان النجاح في البكالوريا".

ويلفت إلى أن "الانتقال من الثانوية إلى الجامعة يرافقه انتقال نفسي واجتماعي للطالب، حيث يصبح أكثر استقلالية ويشرع في تكريس شخصيته الحقيقية، وهو التحول المعرض لمعوقات المحيط والنقائص المحيطة بالقطاع، بداية من الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية إلى التوجيه، مرورا بالاندماج التعليمي، فضلا عن ضغوط بعض الأسر التي تمارسها على أبنائها كونها ترى فيهم مشروعا مستقبليا للعائلة، والذي يصطدم في بعض الأحيان مع رغبة الطالب ويتحول الى أزمة في مطلع المشوار".

> هناك عوامل دراسية وقيمية في المجتمع تفرض نفسها في بداية مشوار الطالب، بسبب القطيعة الآلية بين التعليم المجاني والتعليم الجامعي

ويذهب المختص في شؤون التربية إلى أن هناك عوامل دراسية وقيمية في المجتمع تفرض نفسها على بداية مشوار الطالب الجامعي، بسبب القطيعة الآلية في هذه المرحلة بين التعليم المجاني والتعليم الجامعي، حيث تفتقد إلى جسور تواصل بين المرحلتين أو مرحلة تمهيدية لما بعد الباكالوريا، فضلا عن اختلال المنظومة القيمية للمجتمع، حيث تقترن الشهادة الجامعية بنهاية مسار دراسي وليس نهاية مرحلة تعليمية لا غير، أي أن الشهادة صارت إثبات مستوى وليس إثبات كفاءة.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

المرأة مفتولة العضلات جمال يناسب تطورات العصر

اكتساب النساء العربيات للقوة الجسدية رسالة احتجاج خفية ضد التمييز في التوظيف

أصبح إقبال الكثير من السيدات على الاهتمام ببناء عضلات بارزة وقوية ظاهرة ملفتة في بعض المجتمعات العربية. كما أنها تقدم صورة مختلفة عن طبيعة المرأة، ما جعلها مرهونة بكونها رسالة اجتماعية متعددة الأوجه، مع تأثير وتيرة العصر السريعة ولعب إمكانات الرجل القوية دورا للتمييز في العمل والحصول على الكثير من الفرص.

محمود زكي
كاتب مصري

نوع من التعبير عن النفس

أخذت الصورة النمطية لجسد المرأة أشكالا مختلفة ومتقلبة. واعتبر بعض الفلاسفة جسد المرأة انعكاسا للتطورات الحاصلة في المجتمع وبنيانه، باعتبار أنه مادة لتاريخ التغيرات وفهم ما يجذب الرجال وأحيانا سطوة النساء عليهم. ووصل الأمر إلى وصف الفيلسوف الفرنسي فرانسوا ماري آروويه لجسد المرأة بأنه صانع البهجة ومطلق الحروب.

عكس ظهور ثقافة جديدة حول جسد المرأة مفتولة العضلات والإقبال الكبير على صالات الألعاب الرياضة والألعاب القتالية الصعبة، حجم التغيرات المجتمعية، التي وصلت إلى ما يشبه الظاهرة، لاسيما مع ظهور فتيات يمارسن رياضة رفع الأثقال لبناء جسد قوي تبرز فيه انحناءات العضلات، وسط عالم كان مغلقا على الرجال.

كانت ممارسة السيدات العربيات للرياضة قاصرة على ألعاب معينة، تميل إلى الرقة والهدوء والتعبير عن المشاعر في الكثير من الأحيان، كالجمباز والسباحة والرقص الإيقاعي، وسرعان ما تحولت المسألة إلى مشاركة نسائية واسعة خرجت فيها المرأة لتزاحم الرجل في رياضات اتسمت بالقوة والعنف والكثير من الخشونة.

صوبت بعض السيدات تركيزهن على فكرة أن جمال الجسد يبدأ بخسارة الوزن، فأدى ذلك إلى ظهور العشرات من الأندية الصحية الخاصة بالسيدات ومزاحمة الرجال الباحثين عن كمال الأجسام لتساهم في فقدان الدهون الإضافية.

وقدم الاختلاط الواسع مع رياضة بناء العضلات الضخمة فهما دقيقا للتحول الظاهر مع رغبة الكثيرات منهن أن يشتركن مع الرجال في عالمهم وبناء أجساد مفتولة.

وقالت ميرفيت حمدي، وهي سيدة في بداية الثلاثينات، إنها تواظب على الذهاب إلى الصالات الرياضية المتخصصة في رفع الأوزان الثقيلة منذ أكثر من عامين، لأن الدراسات العلمية ودخول المرأة عالم القوة أثبتا أن المرأة قادرة على التعامل مع هذا النوع من الرياضات.

وأوضحت حمدي لـ"العرب" أن الرياضة عموما مجال مهم وواسع في الحياة، مثل مجالات أخرى كثيرة ظلت المرأة تناضل فيها من أجل البحث عن تكافؤ في الفرص والإمكانات.

وترى الشابة الثلاثينية أن تغير ثقافة المرأة من البحث عن الجسد اليافع والممشوق إلى ثقافة بناء العضلات والحصول على جسم قوي تعطي انطباعا أقرب إلى أن هناك مساواة بين الرجل والمرأة، وإن كان التمييز بين الجنسين يقوم على القوة، فالنساء أيضا لديهن القدرة على اكتساب الصلابة من صالات الألعاب.

تأقلم الجسد

يعتبر جسد المرأة وسيلة لتأريخ التغيرات الاجتماعية، حيث كشف متحف "يوركشاير" البريطاني، وهو مختص في دراسة علوم تطور الإنسان عبر الموضة والملابس والأطعمة، أن النساء عبر التاريخ يسعين غالبا إلى تأقلم أجسادهن مع المعايير السائدة في كل فترة.

بعد الثورة الفرنسية عام 1789، ساهم التحول السياسي نحو المزيد من الليبرالية في تغير ثقافة الجسد، حيث كان الجسد المترهل يمثل دليلا على الارستقراطية والثراء إلى نمط جديد يبحث عن الجسد الممشوق، كدليل على الانطلاق والحرية.

وطرأت، في القرن العشرين، العديد من التغيرات على صورة جسد المرأة في بعض الدول العربية، حيث ساهم خروج المرأة في احتجاجات في بدايات القرن 20 في بلدان مثل مصر ولبنان وسوريا للمطالبة باستقلال بلدانهن عن الاستعمار، في ولوج جسد المرأة إلى أنماط أخرى اهتمت فيها بالشكل الجمالي للوجه وممارسة الرياضة للحفاظ على اللياقة لتعبر عن المرحلة الجديدة.

يبدو أن الرجل قيمة أساسية في مسألة تغير رؤية السيدات لأجسادهن، ليصبح الجسد في كثير من الأحيان رسالة تحد أو احتجاج للمطالبة بالمساواة أو قضية جذب وتعاطف.

وقالت خلود عاصم، وهي مدربة كمال أجسام في صالة رياضية خاصة، "من حق المرأة أن تبحث عن الرياضة المناسبة للتعبير عن نفسها، والجسد القوي مفتول العضلات لم يعد كما يروج البعض يأخذ من أنوثة المرأة، لكنه يفرض عليها جمالا، لكن من نوع آخر".

وأوضحت عاصم لـ"العرب"، أنها عبر عملها الطويل في مجال كمال الأجسام واحتكاكها بالكثير من السيدات الراغبات في تقوية أجسادهن وجدت أن الأمر ليس اقتحاما أو احتلالا لعالم خاص بالذكور، لكنه رغبة في تحقيق قدر من القبول والاحترام والتأكيد على أن سطوة الرجل لا يمكن أن تبعث من قوته البدنية.

ولفتت عاصم إلى أنها تعرضت لمضايقات كثيرة بعد أن ظهرت العضلات على جسدها، وبات البعض يشبهها بالرجال ويطلق عليها ألقابا ذكورية للسخرية منها.

وأشارت إلى أن زيادة عدد السيدات المقبلات على ألعاب القوة غيّر الكثير من الثقافة وجعل وجود سيدة تجاور رجل في صالة الجيم أمرا اعتياديا، بل وصل الأمر إلى تشجيع الكثير من الرجال لهؤلاء الباحثات عن أجساد قوية وعضلات بارزة.

> الرجل قيمة أساسية في مسألة تغير رؤية السيدات لأجسادهن، ليصبح الجسد في كثير من الأحيان رسالة تحد أو احتجاج للمطالبة بالمساواة أو قضية جذب وتعاطف

رغبة في المنافسة

تمثل التنافسية مربط الفرس في مسألة ولوج المرأة عالم القوة. ومع ظهور سجالات حول الكثير من الوظائف القاصرة على الرجال بدافع احتياجها لعمل بدني قوي وشاق، كان على المرأة كسر نمطية قوة الرجل على حسابها باكتساب قوة أكبر تجعلها مؤهلة للعمل في كافة المجالات.

وأكدت علياء المحمدي، مهندسة متخصصة في كهرباء السيارات، أن العمل في مجالات الصناعة يحتاج إلى جهد مضاعف لتحمل الحرارة أو الوقوف لساعات طويلة بالمصنع أو المشاركة أحيانا في أعمال رفع بعض القطع الثقيلة، وبالتالي ينظر إلى العمل بأنه غير مناسب للمرأة لأنها كائن ضعيف.

وأوضحت المحمدي لـ"العرب"، أنها منذ الوهلة الأولى كانت على يقين أن إثبات العكس هو الحل الوحيد من أجل النجاح في عملها والترقي، وأصبحت تواظب على رياضة "كروس فيت" وهي رياضة تجمع ما بين رفع الأثقال وحركات المرونة والجمباز، لتقوية جسدها.

ولفتت إلى أنها تعرضت لتحذيرات جمّة بأن ذلك سيؤثر على شكل جسدها ويفقدها الكثير من أنوثتها بسبب الهرمونات الذكورية المتعلقة بتلك الرياضات، لكن في النهاية لم تهتم، وهي الآن قادرة على منافسة الرجال في التحمل، لأن معايير الجمال تغيرت عن السابق.

وقال حسام بهجت، أستاذ متخصص بالتجميل والجلدية بجامعة طنطا في شمال القاهرة، إن تكوين الأنثى يختلف تماما عن تكوين الرجل، من ناحية القوة والهيكل العظمي ونسبة الهرمونات داخل الجسم، واستخدام الأجهزة والأثقال الحرة للمرأة داخل صالات الجيم لا يؤثر مطلقا على أنوثتها، بل يزيد من مستوى لياقتها ورشاقتها وأنوثتها.

وأضاف بهجت لـ"العرب" "ما نراه للاعبات لديهن عضلات ضخمة تشبه عضلات الرجال، سببه الخلل الهرموني وارتفاع في نسبة هرمون التستوسيرون الذكوري، أو أنهن يتناولن هرمونات ذكورية مصنعة بهدف المشاركة في عدد من الرياضات التي تحتاج إلى قوة زائدة عن إمكانياتهن كرفع الأثقال أو كمال الأجسام".

وأشار إلى أن الشعور بالقوة مسألة يبحث عنها الإنسان، سواء كان رجلا أم امرأة، والوصول إليها فيه الكثير من الشغف الفطري، بالتالي لا يجب لوم الباحثات عن المزيد من القوة، فالأمر لا يخل بالميزان البيولوجي، ويقدم المرأة بصورة عصرية تناسب المرحلة التي نعيش فيها.

ويلعب تطور أشكال الرياضة دورا فعالا في تغير ثقافة رعاية الجسد لدى السيدات، ومع تغير فلسفة المجهود البدني من التركيز على الحركة المفرطة مثل الجري وقفز الحواجز أو ألعاب القتال التقليدية مثل الملاكمة إلى رياضات تجمع عدة أشكال من الرياضة معا مثل المصارعة التايلاندية والكروس فيت والملاكمة الحرة، حصلت المرأة على مجال أوسع لممارسة الرياضة.

وفتحت تلك الرياضات للسيدات فرصة لإثبات الذات واكتشاف جوانب خفية من تطور الإمكانات الجسدية لهن، عبر التدرب على حركات كالقفز العالي واللكمات وسرعة الارتداد وتأدية حركات سريعة مع حمل مكثف، لتبرز لدى المرأة قناعة بأنها ناجحة وفعالة ولديها قدرات كامنة.

تغيرات كبيرة

يرى البعض أن مسألة تربية عضلات قوية وبارزة لدى المرأة مرهونة بالرغبة في لفت الانتباه والشعور أنها مميزة وجذابة. وتعزز هذا الارتباط مع تغير نظرة الرجل نفسه مع الزمن نحو مفاتن المرأة والمعايير الخاصة بجمالها.

ويصعب وضع قائمة موحدة لما يفتن الرجل في جسد المرأة مع تغير الأذواق حسب البيئة والثقافة والجغرافيا والمستوى التعليمي. ويفرض تغير المجتمع الحالي نحو تقديس القوة والهيمنة والسرعة والقدرة على التأقلم والتكيف مع مصاعب وسرعة العصر، شكلا خاصا على المرأة التي باتت مطالبة أن تكسر "تابوهات" أو محرمات سيدة المنزل لتمارس أعمالا شاقة وتصبح متعددة المهام. ويناسب ظهور السيدات بمظهر القوة والاستقلالية ما يحتاجه الكثير من الرجال ويثير اهتمامهم.

ويبقى معيار الجمال الأنثوي مرهونا بالثقافة والفكر والتحولات الاجتماعية، وهي مسألة تكشف عنها الكثير من الدراسات.

وكانت المجتمعات العربية حتى منتصف القرن العشرين تربط جمال المرأة بجسدها الكبير ومفاتنها الضخمة. لكن الصورة تغيرت مع الانفتاح على العالم وتأكد أن الجسد النحيل الممشوق من أهم معايير المرأة الجميلة والجذابة.

خلود عاصم

> الجسد القوي مفتول العضلات لم يعد كما يروج البعض يأخذ من أنوثة المرأة، لكنه يفرض عليها جمالا من نوع آخر

وفي هذا الصدد، شبّه خبير التجميل أحمد شوكت أنماط جمال المرأة بصيحات الملابس تماما؛ فمثلما تتغير الموضة من السروال الواسع إلى الضيق، تصبح معايير جمال الوجه والجسد متغيرة وبسرعة كبيرة.

وكشف شوكت لـ"العرب"، أن النظرة للمرأة مفتولة العضلات كانت تدور في فلك أنها تشبه الرجل وتفقد بريقها، وهي محل شك، لكن التطور الذي شهده عالم الرياضة والتغير النوعي في أشكال الرياضة الحديثة والتطور الحاصل في السلوك العام في المجتمعات العربية نحو الاهتمام بالرياضة والحركة. كلها من العوامل التي غيرت مفهوم الجمال عند الرجل والمرأة.

وأضاف "لا تذهب المرأة إلى صالة الألعاب لبناء عضلات وتقوية جسدها فقط، لكنها تجذب الانتباه وتصنع جسما قويا وممشوقا يجذب الرجل ويجعلها تشعر أنها أكثر جمالا".

ولا تزال صور النساء وهن مفتولات العضلات قضية أكثر رحابة من مجرد تشويه لمظهر الأنثى الاعتيادي والتقليدي، وأقرب إلى الاحتجاج الاجتماعي، وآلية لرصد ما يفرضه العالم من سرعة لا تلتفت كثيرا للأمور التقليدية، الأمر الذي يؤكد أن الفترة المقبلة قد تشهد المزيد من التغيرات بشأن مقاييس الجمال عند المرأة.

ماركات عالمية تطلق مجموعات مكياج للرجال، فهل تنجح

رجل 2019 يعتني بجماله ويهتم بالمكياج لتصحيح وتغطية عيوب البشرة

لم يعُد التجميل ومستحضرات المكياج أو العناية بالبشرة والشعر والجسم حكرا على النساء. ويبدو أنّ إقبال الرجال عليها في طريقه نحو التطور. اليوم أصبحنا نشاهد رجالا يلحي مشكلة بطريقة جميلة ويتم الاعتناء بها بزيوت خاصة، كما أصبح الرجال يصفّفون شعورهم بالشمع ويستخدمون منتجات ترطيب الشعر، ويعيرون اهتماما للعناية بالبشرة... ويؤكد خبراء التجميل أنّ رجل 2019 أصبح يعتني بجماله.

باريس – يُقبل الرجال اليوم على عمليات التجميل مثلما يقبلون على استخدام مستحضرات العناية بالبشرة والشعر، ويزداد عدد قاعات التجميل الخاصة بالرجال مثلما تزيد خدمات التجميل التي تقدّمها للحرفاء الذكور.

ويقفز بعض المراهقين اليوم نحو المضيّ قُدما في استخدام المكياج، خاصة المستحضرات التي تعتمد لتغطية شوائب البشرة وإصلاح بعض العيوب.

وظهرت هذا العام مجموعات تجميل مخصّصة للذكور، وفي شهر يناير أطلقت شانيل مجموعتها "بوي" (boy) والتي تتكوّن من كريم أساس ومرهم شفاه وقلم حواجب.

وفي نفس التوجه قدّمت جيفنشي مجموعة منتجاتها للجنسين "ميستر" (Mister) وتضمّ قلم تصحيح وجال للحواجب مخصصين للرجال.

وفي شهر مارس اقترحت منصة "زالاندو" (Zalando) مجموعة واسعة للجمال الرجالي، بهدف تقديم مكياج متحفّظ وغير مرئي يُخفي عيوب المظهر عند الرجال ويمنحهم مظهرا أكثر جمالا وشبابا وحيوية.

ويتحدث الأنجلوسكسينيون عن منتجات الاستمالة (grooming) أيْ فن الاهتمام والعناية بالنفس، فن يتجاوز العناية باللحية فقط ليمر للتجميل.

ولا تعدّ هذه المحاولات الأولى لإيجاد مستحضرات مكياج خاصة بالرجال، ففي العام 2003 أعلنت ماركة "جون بول غولتيي" مجموعة من المكياج المخصص للرجال تحت شعار "كل جميل نظيف" ونسج على منوالها بعد أربع سنوات توم فورد بمجموعته لأحمر الشفاه للجنسين "بويز أند غيرلز" (Boys & Girls) لكن هذه المنتجات لم تجد الطريق مفتوحة أمامها لتحقيق مبيعات ضخمة في الأسواق.

وسوف تشهد مبيعات منتجات التجميل للرجال ارتفاعا يقدر بحوالي 14 بالمئة في غضون العام 2021 على مستوى العالم بحسب دراسة لمؤسسة يورومونيتور الدولية، وسوف تكون النسبة الأعلى في الدول المتقدّمة في المجال، مثل كوريا الجنوبية أبرز سوق لمجموعة بوي التابعة لشانيل.

ويعتقد خبراء التجميل أن مجموعات مكياج الرجال في طريقها للانتشار، تزامنا مع تراجع التفرقة بين الجنسين التي باتت خاضعة للانتقاد والمراجعة أكثر من أيّ وقت مضى.

وأصبحت علامات المؤنث والمذكر في حالة من الاندماج والاختلاط و"سينتهي الأمر إلى التأثير في عالم الجمال والتجميل" حسب تفسير توم سابان المحترف في المكياج وسفير علامة "ماك" (M.A.C) للجنسين.

وأردف سابان أنه على الرجال اليوم أن يستفيدوا من الحواجز التي ترفع تدريجيا بين جنس الذكر والمكياج. بالنسبة إلى سابان انطلق كل شيء من عالم الموضة ومن عروض الأزياء التي أصبحت مختلطة أكثر فأكثر.

وأوضح سابان أنه "منذ ثلاث سنوات تقريبا يظهر الرجال على نفس منصات العرض مع النساء، والعكس، وأصبح الاختلاط بين الجنسين في منصات العرض بارزا وملحوظا».

ويضيف «لاحظت أيضا أن المصممين صاروا يطلبون أكثر فأكثر من المختاصين في المكياج اعتماد نفس المكياج لكلا الجنسين خلال العرض".

وتنفخ رياح اللا – جنس على الشباب والمراهقين أكثر من غيرهم.

واليوم أصبحنا نرى أن الكثير من اليوتيوبير من الشباب المختصين في التجميل رجال، فالأميركي جايمس شارلز الذي يعلم الرجال طرق وضع المكياج يجتذب أكثر من 17 مليون مشترك في قناته على يويتوب.

وينتظر عالم التجميل سقوط الحواجز التي تقف بين الرجل والمكياج، وتقول فلسفة علامة شانيل أن "الرجل يجب أن يكون حرا في استخدام منتجات المكياج لتصحيح أو تحسين مظهره دون أن يعرّض رجولته للتشكيك".

العناية بالبشرة لا تعني التشكيك في الرجولة

شانيل «الرجل يجب أن يكون حرا في استخدام منتجات المكياج لتصحيح أو تحسين مظهره دون أن يعرض رجولته للتشكيك»

المظهر الطبيعي أساس الجاذبية في الخريف

ينصح خبراء التجميل بأن يتم اعتماد المكياج الخفيف في الخريف مع استخدام عطر هادئ يناسب هذا الفصل. ويعتبرون أن كريمات الأساس أو المنتجات التي تُخفي عيوب البشرة توفّر للسيدات مظهرا طبيعيّا دون أن يشعرن بأنهن بالغن في استخدام المكياج. كما يمكن إضافة لمسة خفيفة من الماسكارا لإبراز جمال الرموش، دون تكديس المساحيق على العينين.

سماح بن عبادة

بعد الصيف تحتاج البشرة إلى عناية مكثّفة بعد أن تعرّضت للإرهاق جرّاء التعرض لأشعة الشمس والحرارة والسباحة في البحر والمسابح التي تتسبب في جفافها وإسمرارها، وكذلك بسبب السهرات، فتبدو شاحبة.

وقالت خبيرة التجميل الألمانية بيرجيت هوبر إن البشرة تحتاج إلى عناية مكثّفة عقب انتهاء فصل الصيف؛ نظرا إلى أنها تتعرّض للجفاف بفعل أشعة الشمس ومياه البحر وحمامات السباحة.

ترطيب البشرة

تنصح هوبر المرأة باستخدام منتجات العناية، التي تعمل على ترطيب البشرة، كتلك المحتوية مواد مرطبة مثل الألوفيرا أو حمض الهيالورونيك أو البانثينول، مع مراعاة العناية بالساق بصفة خاصة؛ حيث إنه يعتبر أكثر أجزاء الجسم جفافا.

ويؤكد المختصون في العناية بالبشرة أن التلوث والأشعة البنفسجية والتدخين والضغط النفسي ونقص النوم، جميعها عوامل تؤثر على البشرة وتتسبب في تأكسد الخلايا، وبالتالي تصبح البشرة باهتة وشاحبة، وتحتاج إلى العناية لتسترجع نضارتها.

ويعدّ السيروم المغذّي لخلايا الجلد أفضل الأسلحة لمواجهة شوائب البشرة وعلامات الإرهاق. وتحمي العلاجات المضادة للأكسدة البشرة من المضارّ الخارجية وتقوّي الحاجز المناعي للجلد الذي يدافع على سلامة الخلايا.

المستحضر النجم للقيام بهذا الدور هو فيتامين "سي" الذي يحيّد الجذور الحرة المسؤولة على شيخوخة البشرة المبكّرة. وتساعد مواد التقشير على التخلّص من الخلايا الميتة.

ولا يمكن الاستغناء عن السيروم كأحد أهم مستحضرات العناية بالبشرة في الخريف التي ينصح بها الأطباء للحفاظ على نضارتها وشبابها، فهو يشمل نظاما متكاملا للعناية بالبشرة، وهو مثالي إذا كانت المرأة تعاني من جفاف البشرة بعد فصل الصيف. وتحمل الجسيمات المصنوعة من الفوسفوليبيد قدرة على الحفاظ على رطوبة البشرة، وتعمل على فترة زمنية محددة، وبالتالي، تعزّز ترطيب بشرتك بمرور الوقت. ورغم أنه يبدو مصمَّما للبشرة الجافة، يفيد السيروم البشرة الدهنية أيضا لأنه يعمل على تقليص مسامات البشرة الواسعة والتخفيف من نسبة إفراز الزيوت.

مظهر طبيعي

تتجه آخر صيحات التجميل هذا الخريف نحو المظهر الطبيعي من خلال استخدام المستحضرات ذات الألوان الهادئة، ويقول المختصون في المكياج إنه يجب على السيدات اللجوء إلى المستحضرات ذات الألوان القريبة من البشرة، وكذلك للشفاه والعينين والخدود، مؤكّدين على عدم إهمال الحواجب فهي التي تجمّل الوجه.

ولكي يكون لون الوجه طبيعيّا يؤيّد خبراء التجميل البساطة، ويمكن اعتماد كريم أساس قريب في درجته من لون البشرة من أجل أن تبدو كأنها من دون مكياج، مع الحرص على الوصول إلى لون موحّد تماما، خاصة في منطقتي الوجه والرقبة ولا تشوبه شائبة، حيث يخفي الكريم عيوب البشرة ما يجعلها تبدو نضرة وصحية.

كريم الأساس أو الفاونديشن أساس المظهر المثالي للبشرة، ويأتي كريم الأساس في ثلاثة أنواع من القوام منها المعدنية أو السائلة أو المدمجة. وبناء على اختيار الملائم منها للبشرة بحسب درجة التغطية المطلوبة، وكذلك درجة اللون المناسبة يمكن الحصول على اللون المثالي والذي يبدو طبيعيّا ومنسجما مع لون البشرة الأصلي.

ويضع المختصون مجموعة من القواعد التي يجب اتّباعها للوصول إلى نتيجة مرضية، أولها اختيار لون كريم الأساس الأقرب إلى البشرة دائما، فعندما يكون خفيفا للغاية فإنه سوف يعطي لون بشرة أقرب إلى الرمادي، وإن كان غامقا مائلا إلى درجات البرتقالي فإنه سوف يعطي تأثيرا غير طبيعي.

القاعدة الثانية اختيار القوام المناسب لدرجة تغطية الشوائب المرغوبة؛ كلّما كان ملمس كريم الأساس أكثر مرونة، زاد توحيد لون البشرة بسهولة ولكن دون إخفاء العيوب (احمرار، بقع داكنة...) ستبقى واضحة للعيان. في المقابل يسمح لك كريم الأساس ذو التغطية من المتوسطة إلى الكاملة بإخفاء كل العيوب الصغيرة لبشرتك.

ويلاحظ الخبراء أنه بناءً على قوام الكريم، معدني أو سائل أو مضغوط أي مدمج، تحدد درجة التغطية. كما يخضع اختيار كريم الأساس للمظهر المطلوب: بشرة طبيعية أو ذات مظهر جيّد وصحّي أو مشرقة. وأفادت مجلة "إن ستايل" الألمانية بأن مستحضر فاونديشن بالم "Foundation Balm" يعدّ سرّ جمال البشرة؛ حيث إنه يمنح البشرة مظهرا موحدا يشعّ نضارة وإشراقا وملمسا ناعما كالحرير.

> آخر صيحات التجميل هذا الخريف تتجه نحو المظهر الطبيعي من خلال استخدام المستحضرات ذات الألوان الهادئة

وأوضحت المجلة المعنية بالموضة والجمال أنّ "فاونديشن بالم" هو كريم أساس يتمتّع بقدرة تغطية كبيرة، وبالتالي فهو يداري المسام الكبيرة ومواضع الاحمرار ومواضع اللمعان لتبدو البشرة خالية من الشوائب والعيوب.

ويعدّ "فاونديشن بالم" مناسبا لكل أنواع البشرة، حتى البشرة الجافة أيضا؛ حيث إنه يعتني بها بفضل مواد العناية المرطبة، التي يحتوي عليها، كالزيوت وحمض الهيالورونيك.

وبفضل قدرته العالية على التغطية يكفي وضع كمية قليلة من "الفاونديشن بالم" مع توزيعه بواسطة فرشاة ذات طرف مستدير أو مسطح بحركات دائرية.

كما ينصح الخبراء باختيار ألوان أحمر شفاه ومكياج العيون والخدود التي تتلاءم أكثر مع كريم الأساس ثم مع لون الشعر والملابس والمناسبة، وتسود الألوان الترابية من درجات البنّي البيج والبني الفاتح والغامق، وكذلك الخمري الداكن لأحمر شفاه يبرز جمال الشفتين ويمنحهما إطلالة متوهّجة، وكذلك الخوخي وهو لون رائج هذا الخريف في أحمر الشفاه وبودرة الخدود.

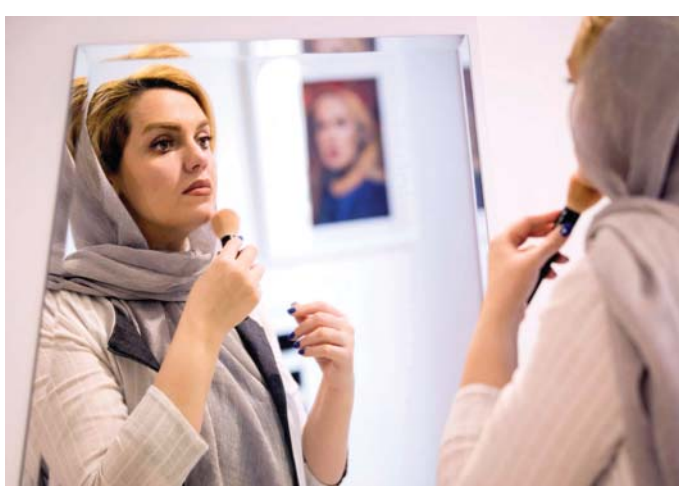

البساطة طريق للفخامة

إكسسوارات

الإكسسوارات زينة الشعر هذا الموسم

لندن – زيّنت عارضات الأزياء شعورهن في عروض أزياء شانيل، وبرادا، ودولتشي آند غابانا بالمشابك الجانبية والأطواق المرصّعة بالخرز. وخرجت عارضات دولتشي آند غابانا مع أطواق مصنوعة من الأزهار والورود على رؤوسهن.

وتبدو اللآلئ المُصمّمة لتزيين الشعر رائعة، وتجد فكرة وضعها على الشعر بدلا من العنق رواجا واسعا كونها تبدو أجمل.

وللمناسبات غير الرسمية، يمكن أن تضع السيدات الدبابيس العادية في المقدمة، كما ظهر في عروض ماري كاترانتزو وبلومارين، دون اختيار ألوان للدبابيس تطابق لون الشعر. حيث تعدّ الألوان المتناقضة (دبوس بلون النحاس على الشعر الداكن، وبنّي على رؤوس الشقراوات) طريقة أنيقة تظهر جمالية الإكسسوار.

مُصمّمو أزياء العلامات العالمية الشهيرة عن الإطلالات اللامعة في عروضهم، واعتمدوا تسريحات الشعر الكثيفة وتسريحات تشبه الموهوك. ونفشت الخصلات بشكل عفوي، مما يعطي النساء الراغبات في تمضية وقت أطول في السرير كل صباح أمل تحويل "تسريحة المخدة" إلى إطلالة يعتبرها خبراء الموضة أنيقة.

وأوضحت خبيرة الموضة الألمانية إنيس مايروزه، أن إكسسوارات الشعر، كالمشابك والأطواق والسلاسل، تتزيّن هذا العام بأحجار الستراس اللامعة أو اللآلئ أو مظهر صدفة السلحفاة.

وتمثّل الجاذبية عنوان موضة إكسسوارات الشعر هذا العام؛ حيث تتلألأ بحليات لامعة وبراقة لتُضفي على الشعر لمسة سحر تأسر الألباب.

وأضافت مايروزه، أن إكسسوارات الشعر المتلألئة ليست قاصرة على الإطلالات المسائية، بل يمكن أيضا تزيين الشعر بها في النهار.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

خفوت الرجل الرحالة يثير الجدل مجددا

حصيلة هزيلة وبداية مخيبة للنجم تعجلان بإقالة فوزي البنزرتي

أعلنت إدارة النجم الساحلي عن الانفصال بالتراضي مع مدرب فريق أكابر كرة القدم فوزي البنزرتي بعد الخروج من الدور السادس عشر لكأس محمد السادس للأندية العربية البطلة أمام شباب الأردن. وعقدت الهيئة المديرة للنادي اجتماعا عاجلا اتخذت خلاله جملة من القرارات الأخرى أهمها قبول استقالات رئيس فرع أكابر كرة القدم، كما تقررت أيضا الدعوة إلى عقد جلسة عامة تقييمية وأخرى خارقة للعادة انتخابية في ظرف لا يتجاوز غرة نوفمبر المقبل.

النجم التونسي يرفض البقاء على العرش العربي

تونس – دفع المدرب فوزي البنزرتي ثمن فقدان فريقه النجم الساحلي التونسي لقب بطولة الأندية العربية في كرة القدم، بإعلان ناديه الانفصال عنه بالتراضي غداة الخسارة أمام ضيفه شباب الأردن الأردني 0–1 في إياب الدور الـ32. ودعا أفراد الهيئة المديرة إلى عقد جلسة عامة عادية وجلسة عامة خارقة للعادة انتخابية في أجل لا يتجاوز 1 نوفمبر 2019 وذلك تزامنا مع توتر الأجواء في الفريق.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاجتماع الطارئ الذي جمع أعضاء الهيئة المديرة جاء نتيجة لتراكم المشاكل داخل الفريق. ويقر المتابعون لشؤون النادي بتردي مستوى الفريق منذ قدوم البنزرتي حيث شهد الأداء تراجعا ملحوظا ليغرق الفريق في أزمة نتائج مما حدا بالجماهير إلى المطالبة بإقالة الفني الرحالة الذي بات وفاضه خاليا ولم يعد قادرا على تقديم الإضافة في فريق في حجم النجم.

بالإضافة إلى ذلك لم يخف أنصار النجم امتعاضهم الشديد من انصراف رضا شرف الدين عن الاعتناء بالفريق. واعتبر البعض أن شرف الدين يستغل شعبيته وجماهيريته على رأس فريق في حجم النجم لتحقيق غايات وأهداف سياسية. ولم تستثن موجة الغضب الجماهيرية التي شملت العديد من المسؤولين بالفريق رئيس الفرع مهدي العجيمي الذي وجهت له انتقادات لاذعة خصوصا في مسألة الانتدابات المحدودة و"الفاشلة"، لاسيما أن خزينة النجم منتعشة بعائدات الكأس العربية وهو ما يعني إمكانية التعاقد مع أسماء تليق باسم النجم وسمعته.

وكان البنزرتي عاد الصيف الماضي إلى تدريب النجم الساحلي، بيد أن مشواره مع فريقه القديم الجديد كان مخيبا حيث خسر خمس مباريات وتعادل في واحدة مقابل فوز واحد. وسبق للبنزرتي أن أشرف على تدريب النجم الساحلي أعوام 1986 و2006 و2015 وحصد 3 بطولات وكأس الاتحاد الأفريقي في مناسبتين وكأس تونس.

> البنزرتي عاد الصيف الماضي إلى النجم الساحلي خلفا للفرنسي روجيه لومير، بيد أن مشواره مع فريقه القديم الجديد كان مخيبا

وسجل فوزي البنزرتي عودته إلى فريق جوهرة الساحل يوم 5 يوليو الماضي، فوجد أمامه تركة ثقيلة تركها روجي لومير الفني الفرنسي. لومير قاد الفريق إلى التتويج بكأس محمد زايد للأندية العربية كما أهّل الفريق لخوض نهائي كأس تونس وللمشاركة في دوري أبطال أفريقيا. وأمام هذه التركة لم يعرف البنزرتي كيف يحافظ عليها على أقل تقدير، فتوالت الخيبات واحدة تلو الأخرى، على النجم الساحلي وجماهيره.

كان الظهور الأول للنجم الساحلي في الموسم الجديد بقيادة المدرب فوزي البنزرتي يوم 11 أغسطس الماضي أمام هافيا كوناكري لحساب ذهاب الدور التمهيدي لدوري أبطال أفريقيا، وهزم حينها 2–1، ليوقع على بداية غير موفقة. المباراة الثانية لفوزي البنزرتي مع النجم الساحلي كانت في إطار نهائي كأس تونس لموسم 2018–2019، ورغم أفضلية الفريق الأحمر على مدار المباراة، لكنه خسر البطولة لحساب الصفاقسي، بركلات الترجيح 4–5، بعد التعادل السلبي 0–0 في الوقت الأصلي.

أول انتصار حققه النجم الساحلي بقيادة البنزرتي كان في لقاء إياب الدور التمهيدي لدوري أبطال أفريقيا أمام هافيا كوناكري، حيث فاز بومها فريق جوهرة الساحل بسباعية (7–1)، عوض بها خسارة الذهاب ليتأهل إلى الدور التالي. تواصلت النتائج السلبية للنجم الساحلي مع فوزي البنزرتي، فنال هزيمته الثالثة، بذهاب دور الـ32 لكأس محمد السادس للأندية العربية الأبطال، خارج الأرض، أمام فريق شباب الأردن بنتيجة (2–1).

على غرار البداية المتواضعة للموسم، جاءت انطلاقة النجم الساحلي في أول مباراة له بالدوري التونسي، وتعادل سلبيا مع ضيفه وجاره الاتحاد المنستيري (الجولة الثانية) ليجد نفسه في المركز التاسع بنقطة وحيدة، بعد أن تأجلت مباراتيه في الجولة الافتتاحية ضد هلال الشابة، وفي الجولة الثالثة ضد نجم المتلوي.

خيبات النجم الساحلي مع البنزرتي لم تتوقف، فخسر من جديد، ولكن هذه المرة بذهاب دور الـ32 من دوري أبطال أفريقيا أمام أشانتي كوتوكو الغاني 0–2. ويحتاج النجم للفوز بثلاثية، في الإياب، وهو الأمر الذي بات محل شك لدى الكثير من جماهير الفريق، بالنظر إلى الارتباك المتواصل في أداء الفريق ونتائجه تحت قيادة البنزرتي. وأكدت وسائل إعلام وجود اتصالات برود كرول بالتوازي مع الاتصالات مع أحمد العجلاني الموجود في سوسة والذي رفض مؤخرا عرضا إماراتيا كبيرا مخيرا الاستقرار في سوسة.

هزيمة تاريخية

القطرة التي أفاضت الكأس، وربما تجعل مستقبل البنزرتي على المحك، هي هزيمته في ملعبه من شباب الأردن 1–0، بإياب دور الـ32 من البطولة العربية (كأس محمد السادس). النجم الساحلي خسر ذهابا 1–2، لكنه عجز وسط جماهيره عن تسجيل هدف واحد للتأهل، وهزم في لقاء تاريخي صادم، ليودع البطولة مبكرا، بعدما فشل في الدفاع عن لقبه. وصبت جماهير النجم الساحلي جام غضبها على رئيس النجم الساحلي رضا شرف الدين والمدرب فوزي البنزرتي. حصيلة البنزرتي مع النجم حتى الآن بلغت 7 مباريات، هزم في 5 مباريات وتعادل مرة واحدة، وفاز مثلها، والأكيد أن الساعات القادمة ستأتي بالجديد في ما يخص مستقبل المدرب التونسي.

وهذه ليست المرة الأولى التي تتلقى فيها الكرة التونسية مثل هذه الضربة الموجعة في بداية البطولة العربية، إذ أن الترجي الرياضي لاقى نفس المصير بعد تتويجه بنسخة 2017 التي أقميت في مصر، وودع أيضا في العام التالي من الدور الأول على يد الاتحاد السكندري المصري. وهو ما يعني أن فرسان تونس يفشلون في الحفاظ على عرشهم العربي للمرة الثانية على التوالي.

توج الترجي الرياضي التونسي في أغسطس 2017، بلقب البطولة العربية للأندية للمرة الثالثة في تاريخه، بعد عودتها للحياة، وذلك عقب فوزه على الفيصلي الأردني بملعب الإسكندرية في الدور النهائي.

وكان فريق باب سويقة يمني النفس بالحفاظ على تاجه العربي في نسخة 2018 لكن الاتحاد السكندري المصري، أحدث يوم 2 سبتمبر 2018، مفاجأة مدوية بإزاحة حامل اللقب من الدور الـ32.

وافتك يومها الفريق المصري ورقة التأهل من الترجي على ملعب رادس بالذات، بعد أن تعادل ممثل مصر إيابا بنتيجة (2–2)، مستفيدا من قاعدة احتساب الأهداف خارج الملعب، حيث كانت مباراة الذهاب قد انتهت بالتعادل أيضا ولكن (1–1).

> النجم يكثف الاتصالات برود كرول بالتوازي مع الاتصالات مع أحمد العجلاني الموجود في سوسة والذي رفض مؤخرا عرضا إماراتيا مهما مخيرا الاستقرار في سوسة

ودفع الترجي الرياضي حينها، ضريبة التركيز على مسابقة دوري أبطال أفريقيا، حيث أراد اللعب على العديد من الجهات ما فرض عليه أن يجد نفسه خارج المسابقة العربية في مفاجأة مدوية. لكن فريق باب سويقة عوض هذا الإخفاق بتتويج أفريقي مهم على حساب الأهلي المصري، تاركا الملعب أمام النجم الساحلي ليسيطر على المسابقة ويبقي اللقب العربي في تونس.

وكأن الأيام تعيد نفسها، تكرّر نفس سيناريو الترجي الرياضي، مع النجم الساحلي الذي كان قد توج في أبريل الماضي، بكأس زايد للأندية العربية الأبطال لكرة القدم، بعد فوزه على الهلال السعودي بالمباراة التي أقيمت على ملعب هزاع بن زايد في مدينة العين الإماراتية، بنتيجة (2–1). ودخل فريق جوهرة الساحل، هذه النسخة، كمرشح بارز للحفاظ على التاج العربي، لكنه وجد نفسه خارج المسابقة من الدور الأول، وعلى يد فريق واعد مثل شباب الأردن الذي لم يكن مرشحا أصلا للتواجد في البطولة، لكنه شارك بعد اعتذار الفيصلي والوحدات. ويبدو أن تركيز فريق النجم على دوري أبطال أفريقيا أثر عليه أيضا خصوصا أنه منذ أيام كان قد تحول إلى كوماسي، لمواجهة أشانتي كوتوكو الغاني. وعانى النجم الساحلي من غيابات عديدة بسبب كثرة المشاركات، حيث خسر جهود أبرز لاعبيه وفي مقدمتهم القائد ياسين الشيخاوي وإيهاب المساكني، وحتى الانتدابات التي قام بها في الميركاتو الصيفي لم تكن في مستوى الانتظارات.

مسيرة حافلة

فوزي البنزرتي هو لاعب كرة قدم سابق ومدرب كرة قدم تونسي، ولد 3 جانفي 1950. لعب في الاتحاد الرياضي المنستيري، ثم صار مدربا له، قبل أن يدرب المنتخب التونسي لكرة القدم وأكبر النوادي التونسية: النادي الإفريقي والترجي الرياضي التونسي والنجم الرياضي الساحلي والنادي الرياضي الصفاقسي والملعب التونسي. ودرب أندية عربية كالرجاء البيضاوي المغربي الذي حقق معه أكبر إنجاز في تاريخ كرة القدم العربية وهو الوصول إلى نهائي كأس العالم للأندية سنة 2013 كما درّب أيضا منتخب الإمارات لكرة القدم، إضافة إلى المنتخب الليبي ثم عاد إلى المغرب سنة 2018 ليشرف على تدريب نادي الوداد البيضاوي، وتولى تدريب منتخب تونس لكرة القدم بعد كأس العالم حتى أكتوبر 2018.

وخلاصة القول يبدو أن الدوري التونسي سيواصل التخلي عن مدربيه منذ بداية الموسم حيث تؤكد كواليس عدة أندية أن مسؤولي الفرق باتوا يدرسون التخلص من المدربين، لاسيما مع الضغط الجماهيري الكبير الذي عرفته مباريات عدة أندية. النتائج دائما ما كانت المقياس الوحيد في تحديد مستقبل المدرب من عدمه مع الفريق، لكن في الدوري التونسي فإن إقالة المدربين ترتبط بعدة عوامل أخرى منها مزاج المسؤولين والخلافات مع اللاعبين والأهم الضغط الجماهيري للمطالبة بالتغيير لتعلن هذه العوامل عن عدم مواصلة المدربين لمهامهم. في مقابل ذلك فإن البداية أعلنت عن مؤشرات واعدة لعدد من المدربين في تجاربهم الجديدة مع أندية الدوري، ما جعل البعض يرجح أن تكون تجربتهم ناجحة وأن تعمر طويلا على الأقل إلى نهاية الموسم.

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

انتقادات لماراثون السيدات في قطر

مونديال القوى: حرارة.. رطوبة.. انسحابات

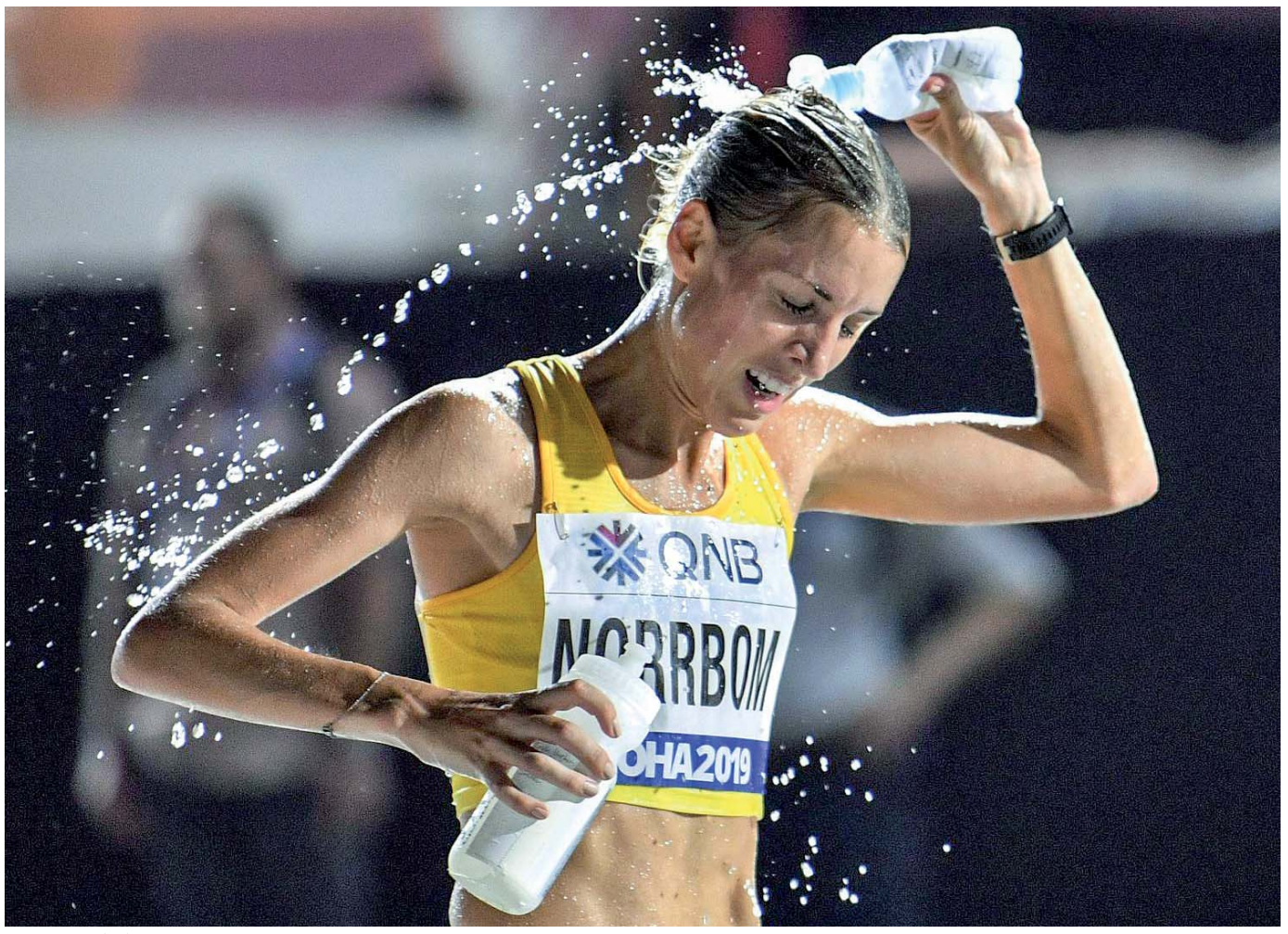

العدو ليلا في سابقة أولى للبطولة

أحرزت العداءة الكينية روث شيبنغيتيش الذهبية الأولى في بطولة العالم لألعاب القوى في الدوحة، مساء الجمعة، بحلولها الأولى في سباق الماراثون، وسط انسحابات وانتقادات جمة من المشاركات في السباق الذي عرف درجات حرارة قاسية ورطوبة عالية، رغم إقامته ليلا في سابقة لبطولات العالم.

الدوحة – واجهت عداءات الماراثون في اليوم الأول من بطولة العالم لألعاب القوى المقامة حاليا في الدوحة، العديد من الصعوبات جراء ارتفاع الحرارة والرطوبة، ما تسبب في انسحاب العديد منهنّ، وسط أصوات منتقدة لإقامة سباقات المسافات الطويلة في ظروف مناخية مماثلة.

وانطلق السباق الممتد على مسافة 42.195 كلم قرابة منتصف الليل بالتوقيت المحلي، في سابقة لبطولات العالم، سعيا لتفادي تأثير الحرارة المرتفعة خلال هذه الفترة من العام في قطر. لكن ذلك لم يحل دون فشل 28 عداءة من أصل 68 في إنهاء السباق، بعدما ناهزت درجة الحرارة عند الانطلاق 33 مئوية، وتجاوزت نسبة الرطوبة 73 بالمئة.

وأنهت صاحبة المركز الأخير السباق بفارق حوالي 45 دقيقة عن الفائزة بالذهبية الأولى في الألعاب، الكينية روث شيبنغيتيش التي اعتبرت أن خوضها التمارين "في أجواء حارة جدا" ساعدها في التتويج بالدوحة.

ولخصت العداءة الكرواتية بويانا بييلياتش التي اضطرت إلى الانسحاب عند الكيلومتر السابع عشر الوضع الصعب، بقولها "إنه الماراثون الأصعب الذي خضته في حياتي. ما كان يجب إعطاء شارة الانطلاق".

أما البحرينية روز شيليمو حاملة ذهبية بطولة العالم 2017 في لندن، والتي نالت الفضية في سباق الجمعة، فقالت "لم أكن أتوقّع أن أكون من بين المتوجات بالميداليات وسط هذه الظروف المناخية الصعبة".

وأضافت "كانت الظروف أكثر حرا منها في جاكرتا"، في إشارة إلى دورة الألعاب الآسيوية الصيف الماضي، والتي أحرزت خلالها الذهبية.

وكان الاتحاد الدولي لألعاب القوى واللجنة المنظمة للبطولة، قد عمدا إلى إقامة السباقات الطويلة (الماراثون والمشي) في وقت متأخر نظرا لاستحالة إقامتها تحت الشمس الحارقة نهارا في العاصمة القطرية، علما بأن المنافسات داخل ملعب خليفة الدولي لن تتأثر بهذا الحر، إذ يتمتع الملعب بنظام تبريد يتيح إبقاء الحرارة داخله في حدود 25 مئوية. ولكن إقامة السباق الوحيد في منافسات الجمعة، والذي تلا الافتتاح الرسمي للبطولة في وقت متأخر من الليل، لم ينعكس إيجابا على العداءات.

وأفاد المنظمون المشاركات في السباق أن موعد الانطلاق قد يعدّل، إذا تبيّن أن ظروف إقامته غير ملائمة، قبل أن ينطلق في وقته المقرّر سابقا. ومع انتصاف السباق، بدا واضحا أن كل المشاركات كن يتصبّبن عرقا بكثافة، وواصلت غالبيتهنّ الجري وهنّ يحملن قوارير المياه أو قطعا من الإسفنج المبللة بالمياه.

وقامت عربات غولف مخصّصة للمسعفين والخدمات الطبية، بنقل العداءات اللواتي لم ينهين السباق. وخضعت بعضهنّ لكشف من فريق يضم طبيبا متخصصا في تأثير الحرارة في المنافسات الرياضية.

وقالت العداءة الكندية ليندساي تيسييه التي أنهت السباق في المركز التاسع "كنا نرى العداءات ينسحبن الواحدة تلو الأخرى.. كان الأمر مخيفا، كان من المحتمل أن أكون أنا المنسحبة في الكيلومتر التالي".

وتابعت "أنا سعيدة لمجرد نجاحي في إنهاء السباق، وبعد التدريبات الشاقة التي خضعت لها العداءات أشعر بالأسى تجاههن. كلهنّ يردن الحضور هنا من أجل المنافسة، ولا واحدة منا تريد أن تنهي السباق بهذه الطريقة".

وقالت النامیبية هيلاليا يوهانيس صاحبة البرونزية "لا أستطيع القول إنني استمتعت بالسباق، لكني رفعت شعار يجب أن أنهيه"، ممازحة الصحافيين بالقول "شربت عند كل نقطة تُقدّم فيها المياه".

ولم تقتصر الانتقادات لإقامة السباق في هذه الظروف المناخية على عداءات الماراثون، بل شملت أيضا مشاركين في مسابقات أخرى. ووصف حامل الرقم القياسي في المسابقة العشارية الفرنسي كيفن ماير بطولة العالم بأنها "كارثة" لجهة الظروف المناخية.

وقال "الجميع يرى بأننا أمام كارثة.. درجات الحرارة غير مناسبة، ثمة حوالي 30 انسحابا في ماراثون السيدات. إنه أمر محزن. يجب الاحتكام إلى المنطق والتركيز أكثر على الشغف، ولولا ذلك لكنت قاطعت الألعاب".

وتابع "أنا هنا ولا أفكر سوى بمسابقتي العشارية وليس ما يدور حولي، لكنني لا أستطيع سوى التفكير بأنهم لم يضعوا الرياضيين كأولوية من خلال إقامة البطولة هنا". وأضاف "الأكيد أننا لسنا في أفضل الأحوال لتحقيق نتائج كبيرة".

وكان لسان حال مواطنه يوهان دينيز بطل العالم لسباق 50 كلم مشيا مماثلا، بقوله "أنا غاضب جدا. لو كنا في ملعب ستاد خليفة الدولي، لكنا خضنا السباق في ظروف عادية تتراوح فيها الحرارة بين 24 و25 درجة مئوية، لكن في الخارج وضعونا في أتون وهذا الأمر غير ممكن".

وباستثناء سباقي الماراثون للسيدات والرجال، والمشي، ستقام كل المنافسات داخل ستاد خليفة.

> **28**
> عداءة من أصل 68 فشلن في إنهاء السباق، بعدما ناهزت درجة الحرارة عند الانطلاق 33 مئوية، وتجاوزت نسبة الرطوبة 73 بالمئة

وتابع دينيز "أنا نادم لحضوري هنا. سنبدأ السباق وننهيه في أجواء مخيفة، وصلت إلى هنا وأنا في حالة بدنية رائعة، لكن أمورا كثيرة تقلقني".

ورغم الظروف المناخية الصعبة خارج ستاد خليفة الدولي، يتوقع أن يكون سباق 100 متر للسيدات، الأحد، أحد أكثر السباقات إثارة في النسخة الحالية، نظرا لقوة المنافسة بين أكثر من عداءة.

فالجامايكيتان إيلين طومسون وشيلي آن فرايزر برايس تدخلان المنافسة وفي رصيديهما أفضل توقيت لهذا العام (كلتاهما سجلت 10:73 ثوان)، ولكل منهما ذهبيتان أولمبيتان على الصعيد الفردي، إذ توجت طومسون بسباقي السرعة 100 متر و200 متر في ريو دي جانيرو 2016، بينما طوّقت فرايزربرايس عنقها بالمعدن الأصفر في 100 متر عامي 2008 في بكين و2012 في لندن.

ومعهما تأتي الإنكليزية دينا آشر سميث التي تعيش أفضل موسم لها على المضمار، إضافة إلى العاجية ماري جوزيه تا لو بطلة أفريقيا مرتين، والهولندية دافني شيبرز بطلة العالم مرتين أيضا في سباق 200 متر، والأميركية توري باوي حاملة اللقب قبل عامين في بطولة لندن.

وغابت فرايزر برايس (32 عاما) عن النسخة الأخيرة في لندن بعد وضعها مولودا خلال إقامة البطولة، علما بأنها توجت باللقب العالمي ثلاث مرات (2009 و2013 و2015)، ما يجعلها متصدرة على صعيد عدد الألقاب بين كل عداءات سباقات السرعة.

في المقابل، برزت آشر سميث في الأشهر الأخيرة بعدما توجت بطلة لأوروبا في سباقي السرعة قبل أن تهزم فرايرز برايس في لقاء بروكسل ضمن الدوري الماسي مطلع سبتمبر الجاري، ما قد يمنحها ثقة أعلى بالنفس للصعود إلى منصة التتويج.

كارثة مناخية

صنّاع الفرحة فقط

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

من النادر في عالم كرة القدم أن يتماهى المدرب مع اللاعب في النجومية، من الصعب أن يدوم بقاء بعض المدربين لفترات طويلة مع فرق بعينها، فالنتائج غالبا ما تحسم المصير، والقطيعة تكون الغالبة في معظم الأحوال.

لكن في إنكلترا يحصل دائما العكس، ففي الدوري الممتاز لا تنبني العلاقة بين النادي والمدرب على النتائج فقط، بل ترتبط أساسا بقدرات الجهاز الفني ومدى توافقها مع مبادئ النادي.

حصل هذا الأمر في السابق مع السير أليكس فيرغسون الذي أشرف على تدريب مانشستر يونايتد طيلة أكثر من ربع قرن، ثم سار أرسين فينغر على دربه عندما قاد أرسنال لأكثر من عشرين عاما.

واليوم قد يتكرّر المشهد، قد تعاد الفكرة ويكتب السيناريو ذاته لكن بأبطال جدد وواقع مختلف، اليوم في إنكلترا بدأت ملامح أسطورة جديدة في ليفربول تتشكّل، بات الجميع هناك مقتنعا أشد الاقتناع بأن الألماني يورغن كلوب هو أسطورة هذا الزمان والقائد الأجدر بإعادة الفريق الأحمر إلى منصات التتويج بلقب الدوري الممتاز بعد أن نجح في الموسم الماضي بإحراز لقب دوري الأبطال.

كلوب، هذا المدرب المحبوب من الجميع سواء تعلق الأمر بعائلة ليفربول وأنصاره أو الفرق الأخرى، كلوب الذي لا تقل نجوميته في ليفربول عن نجومية صلاح وماني وفيرمينو وفان ديك، هو صانع الفرحة الدائم في معسكر "الريدز".

الحديث عن هذا المدرب الضاحك والمبتسم دائما سواء في حالة الفوز أو الخسارة، يعود إلى سببين أولهما حصوله مؤخرا على جائزة أفضل مدرب في العالم وفق الفيفا، وثانيهما سرده لبعض تفاصيل مسيرته الحياتية، التي صنعت منه أحد "أعظم" وأفضل المدربين في هذا الزمان.

كلوب بدأ مسيرته من "الصفر"، لم يكن لاعبا مميزا أو نجما ساعدته نجوميته على أن يباشر تدريب الفرق الكبرى بعد الاعتزال، بل على العكس من ذلك تماما لم يكن سوى لاعبا مغمورا وهاويا، كان يشتغل صباحا كي يضمن لنفسه قوت يومه. غير أن دروس الحياة صنعت له المجد على مراحل، عاش ظروفا صنعت منه شخصا مختلفا، مندفعا، محبا للحياة، ضاحكا في أحلك الظروف.

يقول كلوب إن اللحظة الفاصلة في حياته تجلت لحظة ميلاد طفله وهو في سن العشرين، لقد أصبح مسؤولا عن حياة أخرى، تجرّد من كل النزوات والتصرفات الطائشة لمن هو في سنه، وعاد همّه الوحيد هو الاهتمام بالطفل الوليد.

يقول كلوب إن تلك المرحلة من حياته غيّرت فيه الكثير، غيّرته نحو الأفضل، والأكثر من ذلك أنها جعلته يدرك ماهية كرة القدم، فهذه اللعبة ليست سوى مدعاة للفرح والتفاؤل، أما اللاعبون والمدربون فإنهم لا يتحكّمون في الحياة ولا يصنعون الموت.

هم مجرد صنّاع الفرح، لذلك استقامت لديه الأحوال سواء في حالة الفوز أو الخسارة، فهو يحتفل بالانتصار بابتسامة عريضة ويتقبل الهزيمة أيضا بالابتسامة ذاتها.

اتخذ هذا الأمر شعارا ومبدأ أساسيا في حياته، حاول أن ينشر ما علّمته إياه الحياة حوله، أتيحت له فرصة تدريب نادي ماينس الألماني، فقضى هناك فترة طويلة، نجح خلالها بفضل نظرته المتفائلة للغاية في هذه الحياة، في أن يحقّق نتائج باهرة.

لقد صنع لنفسه اسما معروفا في ميدان التدريب بألمانيا، لتتاح له فرصة تدريب نادي بوروسيا دورتموند القوي، وهناك واصل رحلة صنع المجد لنفسه ولفريقه، ظلت ابتسامته العريضة عنوانه الدائم وشعاره الأول، بثّ كل هذه المشاعر المتفائلة صلب الفريق. فنجح وتألق، وافتك الإعجاب من مناصري الفرق الأخرى قبل محبي فريقه، لقد أصبح بكل بساطة محبوبا من الجميع.

كلوب لم يفكر يوما في أن يصبح ضمن صفوة أفضل المدربين في العالم، لم يفكر سوى في الاستمتاع بهذه الحياة أولا ثم الاستمتاع بمهنته كمدرب ثانيا، كان يرغب دائما في أن يصنع الفرح، حتى في لحظات الانكسار كان يرغب بشدة في أن ينفض غبار التبرّم والحسرة ويحوله إلى آليات لصنع الفرح.

كلوب تحدّث في هذا السياق عن تجربته مع ليفربول وتحديدا عمّا حصل في الموسم الماضي، عندما تعرّض الفريق الأحمر لهزيمة بثلاثية كاملة ضد برشلونة ضمن دوري الأبطال، عن تلك الهزيمة قال كلوب إنها الأسوأ في مسيرته.

لكنه طوّعها واستغلها كي يصنع النجاح والفرحة، لقد بثّ في قلوب لاعبي ليفربول عقب تلك المباراة كل مشاعر الأمل والروح الانتصارية العالية، قال لهم تمتّعوا ونافسوا في لقاء العودة وكأنكم تخوضون معركة حياة وليس مباراة كرة قدم.

كل هذه المشاعر تجسّدت على أرض الملعب، فنجح ليفربول وصعد للمباراة النهائية ونال اللقب، ومعه نال كلوب كل عبارات الإشادة والتنويه، نال أيضا جائزة الأفضل، واستحقّ معها أن ينال لقب صانع الفرح وملهم السعادة في الحياة.

ليفربول يفلت من كمين شيفيلد بهدف حاسم

لندن – واصل ليفربول تغريده المنفرد على صدارة الدوري الإنكليزي لكرة القدم وحقق انتصاره السابع على التوالي بفوز صعب 1/صفر على مضيفه شيفيلد يونايتد، السبت، في افتتاح مباريات المرحلة السابعة من المسابقة.

وجاء هدف ليفربول الوحيد في الدقيقة 70 من عمر المباراة، إثر تمريرة عرضية لعبها البديل ديفوك أوريجي من الناحية اليسرى وحاول الدفاع تشتيتها، لكنه هيأها لفاينالدوم المتحفز أمام منطقة الجزاء مباشرة ليسددها الأخير صاروخية لم يستطع الحارس الإمساك بها جيدا لتفلت من بين يديه وقدميه إلى داخل المرمى في الدقيقة 70.

ورفع ليفربول رصيده إلى 21 نقطة في صدارة جدول المسابقة، في حين تجمّد رصيد شيفيلد يونايتد عند ثماني نقاط في المركز الثاني عشر بجدول المسابقة.

وفي باقي المباريات فاز تشيلسي على برايتون 2/صفر، وتوتنهام على ساوثهامبتون 1/2، وولفرهامبتون على واتفورد 2/صفر، وكريستال بالاس على نوريتش سيتي 2/صفر، وتعادل بورنموث مع ويستهام يونايتد 2/2 واستون فيلا مع بيرنلي 1/2 أيضا.

بالعلامة الكاملة

العرب
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

«الجوكر» يضع الشرطة الأميركية في حالة تأهب قصوى

تلقت شرطة لوس أنجلس قبل بدء عرض فيلم "الجوكر" الحاصل على جائزة الأسد الذهبي بمهرجان فينيسيا، رسائل من أسر أعربت عن مخاوفها من حدوث مجزرة شبيهة بما حصل قبل سبع سنوات بقاعات عرض فيلم "باتمان".

الأقنعة ممنوعة والحضور يرافقه الكثير من الحذر

لوس أنجلس – أعلنت شرطة لوس أنجلس أنها تعتزم نشر المزيد من عناصرها حول دور السينما التي ستبدأ عرض فيلم "جوكر" بسبب المخاوف المتزايدة بشأن محتوى الفيلم العنيف.

وأوضحت روزي سيرفانتيس، وهي ناطقة باسم الشرطة، أن "الشرطة ستنتشر بكثافة حول الصالات التي ستبدأ في عرض الفيلم" رغم عدم وجود أي تهديدات جدية في منطقة لوس أنجلس.

وأضافت سيرفانتيس "نشجع الجميع على الخروج والاستمتاع بالنشاطات التي توفرها هذه المدينة خلال عطلة نهاية الأسبوع، لكن على السكان أن يكونوا متنبّهين ومتيقظين.. وكما هي الحال دائما، إذا رأيت شيئا مريبا بلّغ عنه".

ويصوّر فيلم "جوكر"، الذي أنتجته شركة "وارنر برذرز" الأميركية للإنتاج والتوزيع السينمائي والتلفزيوني والموسيقي وأدى دور البطولة فيه جواكين فينيكس، قاتلا شريرا كبطل، وأشار بعض النقاد إلى أن الفيلم قد يحرّض على العنف.

وأطلق هذا الفيلم بعد سبع سنوات على مقتل 12 شخصا في أورورا بولاية كولورادو عندما فتح مسلح النار على الجمهور أثناء عرض فيلم باتمان "ذي دارك نايت رايزز".

منذ واقعة إطلاق النار الجماعي في كولورادو التي راح ضحيتها أكثر من عشرة قتلى والعشرات من المصابين. ومن المقرر أن يبدأ عرض الفيلم في الرابع من أكتوبر المقبل.

ومن جهتها، نفت شركة وارنر برذرز أنها سعت إلى تمجيد الشخصية الرئيسية للفيلم أو أن القصة تشجع على العنف بأي شكل من الأشكال.

ونظرا إلى الجدل المتصاعد، أعلنت الأستوديوهات أنها ستحظر وصول الصحافيين إلى السجادة الحمراء في نهاية هذا الأسبوع في هوليوود لعرض الفيلم، وسيسمح للمصورين فقط بالتواصل مع الممثلين وطاقم العمل.

ومنذ أول ظهور لـ"الجوكر" في فيلم باتمان سنة 1940، وهو يجسد دور عدو باتمان اللدود. كونه تسبب مباشرة في عدة مآس في الحياة الخاصة بـ"باتمان".

وهذه الشخصية الخيالية الشريرة المستوحاة من شخصية البطل الأسطوري باتمان، كانت فازت منذ فترة قصيرة، بجائزة الأسد الذهبي لأفضل فيلم من إخراج المخرج الأميركي تود فيليبس في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي.

ودخل الجاني جيمس هولمز في يوليو 2012 قاعة السينما، حيث أطلق قنابل مسيلة للدموع وفتح النار على متابعي الفيلم بشكل عشوائي. وقبضت الشرطة عليه أثناء تواجده في مواقف السيارات خارج السينما، وأخبرها بأنه "الجوكر" في إشارة إلى الشخصية الشريرة من سلسلة أفلام باتمان.

وفي وقت سابق من هذا الأسبوع، أرسلت أسر بعض الضحايا رسالة إلى الشركة المنتجة تعرب فيها عن قلقها إزاء الفيلم الجديد.

وجاء فيها "استوقفتنا معرفة أن شركة وارنر برذرز ستطلق فيلما بعنوان 'جوكر' يصوّر شخصية مجرمة كبطل في قصة تدعو إلى التعاطف معه".

ولهذا قررت سلسلة دور عرض لاندمارك حظر دخول مشاهدين يرتدون أزياء وأقنعة خلال عروض الفيلم بعد أن عبرت الأسر عن مخاوفها.

وقالت سلسلة دور العرض ومقرها لوس أنجلس، والتي تدير 52 دار عرض في 27 مدينة، إنها تريد من المشاهدين الاستمتاع بالفيلم باعتباره "إنجازا سينمائيا".

وأضافت في بيان "لكن لن يسمح بأقنعة ووجوه مطلية أو أزياء داخل دور عرضنا".

وتنضم دور لاندمارك إلى سلسلة دور العرض (أي.أم.سي) الأكبر في البلاد والتي حظرت الأقنعة في دور العرض

صباح العرب

عدلي صادق

موقد الكيروسين

كثيرا ما تضيق الحياة بالناس، لذا نرى الكثيرين ينفعلون لأبسط الأسباب، فينفجرون بغضب قصير الأمد يعقبه هدوء ما قبل الزوابع أو بعدها. ففي القاهرة ومنها، نشأ وتفشى تعبير "أُنكش تِوَّلع" وهو الشخص، أو حال الشخص الذي ينفعل لمجرد كلمة أو احتكاك بسيط. وللمفارقة، لقد رأيت بنفسي، صغيراً، اللقطة التي أظنها منشأ هذا التعبير. ففي منتصف الستينات، كانت المحال في وسط القاهرة، تكاد تخلو تماماً من البضائع المستوردة، ولا تعرض سوى المنتوج المحلي من السلع والألبسة. وكان متوسلو الأرزاق، من الباعة على الأرصفة، يعرضون أشياء صغيرة لافتة للانتباه، هي مجرد سلع عابرة لا تأخذ حيزاً من الاستخدام اليومي، كأدوات بسيطة مصنوعة من أسلاك، لتقشير البطاطس والكوسا والجزر، أو مواد لإزالة البقع والأحبار. لكن الأطرف من بين كل تلك العروض، أن يحمل صاحب "السبوبة" موقد كيروسين، أو "بريموس" في أصل التسمية، وهو اختصاراً "بابور الكاز"، أيقونة مطابخ الناس في تلك الفترة، ووسيلة الطهي التي تجاوزت مواقد النار التاريخية. ففي قفة بجانب البائع، الذي ينادي واقفاً ممسكاً بالبابور مشتعلاً؛ كمية من قطع صغيرة، مقدودة من حجارة الصخور النارية المنصهرة. ينفخ رأس البابور الهادر، فيُطفئ شعلته، ثم ينكشه بقطعة الصخر الصغيرة، فيعود إلى الاشتعال. هنا، تظهر أمام المارة، الحاجة إلى الاستعاضة عن الكبريت المتعثر بالقطعة الصخرية الفعالة. يُطفئ الشعلة ثم ينكشها ببساطة فتعود إلى اشتعالها، فيما هو ينادي "أُنكش تِوَّلع"!

ربما تكون هناك مفارقة متفرعة، وهي أن أصحاب الفضل على دنيانا، باختراع موقد الكيروسين، هم حصراً وتاريخياً السويديون الهادئون الذين لا تُشعل "النكشة" رؤوسهم. وهم أيضاً الذين أنتجوا أعواد الثقاب السديدة. على الرغم من ذلك، انطلق الرأس المشتعل، من السويد الباردة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

ليس أدل على سرعة الإنفعال، غضباً حتى الشجار، أو دموعاً حتى انتفاخ العيون واحمرارها، من رأس بابور الكيروسين الهادر. فكأن الرأس في حال السكون لا يفارقه الإحساس بأنه يقوم في أعلى خزان من الوقود المضغوط القابل للاشتعال. ومثلما يحدث مع كل بابور أو في كل اشتعال، هناك من يتولى التأجيج لكي لا يتعثر. فلا ننسى الإبرة ذات ذراع، لتسليك عين أو ثقب اندفاع بخار الكيروسين إلى أعلى الرأس، لكي تظل النار ومعها الهدير، في ذروة الاشتعال. هكذا هم سريعو الانفعال، سواء أنتجوا ألسنة النار سريعة الاندلاع وسريعة الإخماد، أو أن عيونهم، سريعة إدرار الدمع عند الهطول، وسريعة التبسم عند الرضا!

الجونة: هند صبري أفضل ممثلة والسينما السودانية تصنع الحدث

الجونة (مصر) – فازت الممثلة التونسية هند صبري في ختام الدورة الثالثة لمهرجان الجونة السينمائي، بجائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم "حلم نورا" لمخرجته هند بوجمعة.

وتدور أحداث الفيلم التونسي الفرنسي البلجيكي المشترك الذي حظي عند عرضه في المهرجان بإشادة نقديّة، حول نورا التي يقضي زوجها سفيان عقوبته في السجن وتعمل، وهي أمّ لثلاثة أطفال، في محل تنظيف ملابس من أجل كسب قوتها إلى أن تقابل الأسعد الذي يصبح حب حياتها، وخلال انتظار الحبيبين إنهاء إجراءات طلاق نورا، يتعرّض حلمهما للخطر بإطلاق سراح سفيان الوشيك، فتتعقّد الأحداث وعندها يقرّران الهروب.

وعاد الفيلم السوداني إلى منصات التتويج من جديد في المهرجانات السينمائية بعد أن حصد فيلمان لمخرجين سودانيين الجائزة الأولى بمهرجان الجونة في مسابقتي الأفلام الروائية الطولية والأفلام الوثائقية الطويلة. وفاز فيلم "ستموت في العشرين" للمخرج السوداني أمجد أبوالعلاء بجائزة النجمة الذهبية في مسابقة الأفلام الروائية الطويلة.

الفيلم مأخوذ عن قصة بعنوان "النوم عند قدمي الجبل" للكاتب حمور زيادة، وفاز مخرجه في وقت سابق من هذا الشهر بجائزة "أسد المستقبل" من مهرجان البندقية.

وذهبت النجمة الفضية بالمسابقة للفيلم البولندي "عيد القربان"، بينما ذهبت النجمة البرونزية للفيلم المغربي "آدم" للمخرجة مريم توزاني. وحصل الفيلم الجزائري "بابيشا" للمخرجة مونية مدور على جائزة أفضل فيلم عربي روائي طويل.

وحظي البولندي بارتوز بيلينيا بجائزة أفضل ممثل عن دوره في فيلم "عيد القربان".

وأقيم حفل اختتام المهرجان بمسرح المارينا في مدينة الجونة السياحية المطلة على البحر الأحمر بحضور عدد كبير من نجوم وصناع السينما. وكانت مفاجأة الحفل حضور الممثل الأميركي ستيفن سيغال.

وفي مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة فاز فيلم "الحديث عن الأشجار" للمخرج السوداني صهيب قسم الباري بالنجمة الذهبية، فيما ذهبت النجمة الفضية للفيلم الجزائري "143 طريق الصحراء" للمخرج حسان فرحاني وجاءت النجمة البرونزية من نصيب الفيلم الأفغاني "مدينة في الريح" للمخرج أبوزار أميني. وحصل فيلم "إبراهيم إلى أجل غير مسمى" للمخرجة الفلسطينية لينا العبد على جائزة أفضل فيلم عربي وثائقي طويل.

وفي مسابقة الأفلام القصيرة التي ضمت 24 فيلما فاز بالنجمة الذهبية الفيلم الهولندي "امتحان" من إخراج سونيا حداد.

وحصد الفيلم اللبناني "أمي" من إخراج وسيم جعجع النجمة الفضية، بينما فاز بالنجمة البرونزية فيلم "لحم" للمخرجة البرازيلية كاميلا كاتر.

وفاز بجائزة أفضل فيلم عربي قصير فيلم "سلام" للمخرجة الأردنية زين دريعي.

وخارج المسابقات الرسمية فاز الفيلم الفرنسي "البؤساء" للمخرج لادج لي بجائزة "سينما من أجل الإنسانية" التي تمنح بناء على تصويت الجمهور، بينما منحت لجنة تحكيم الاتحاد الدولي لنقاد السينما جائزتها للفيلم اللبناني "1982" إخراج وليد مونس.

أقدم ديمقراطية برلمانية في مزاد بإمضاء بانكسي

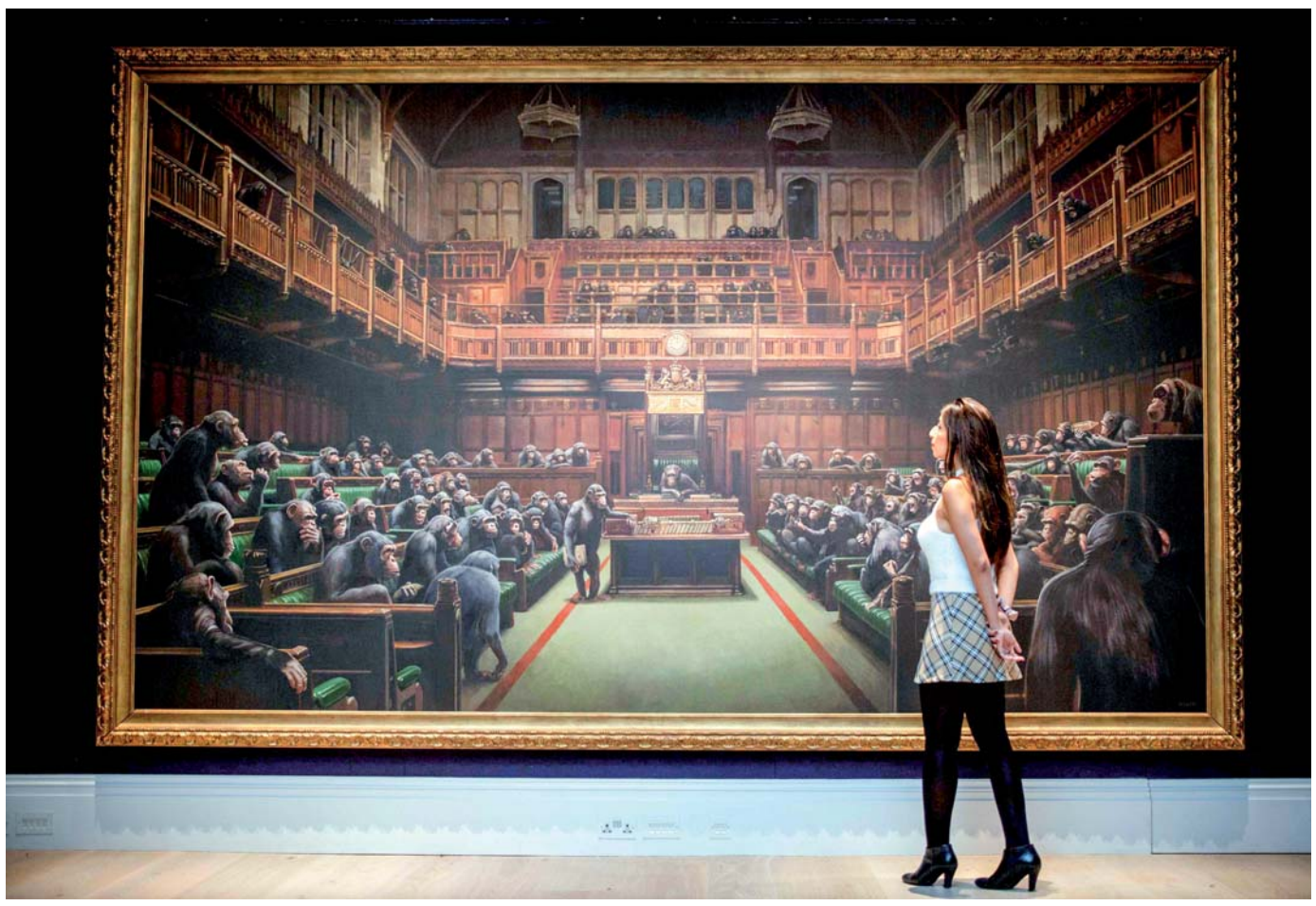

لندن – عرضت لوحة رسمها فنان الغرافيتي البريطاني الشهير بانكسي يصوّر فيها برلمانا تجلس فيه مجموعة من قردة الشمبانزي، السبت، قبل طرحها في مزاد علني.

ومن المقرر أن يستمر عرض لوحة "ديفولفد بارلمنت" التي أنجزها الفنان في العام 2009 حتى 3 أكتوبر المقبل، وهو موعد المزاد الذي تنظمه دار "سوذبيز".

ومن المتوقع أن يجلب هذا العمل الساخر بين 1.85 و2.45 مليون دولار.

وتأتي عملية البيع هذه بعد إلغاء المحكمة العليا قرار رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون تعليق عمل البرلمان لخمسة أسابيع، واصفة إياه بأنه غير قانوني، معتبرة أنه يؤثر سلبا على النواب قبل شهر من موعد دخول بريكست حيّز التنفيذ. وشهد البرلمان كذلك نقاشات محتدمة بلغت ذروتها، الأربعاء الماضي، ووصفها رئيس مجلس العموم جون بيركو بأنها "أسوأ جو" يشهده البرلمان "خلال 22 عاما".

وقال أليكس برانكسيك، رئيس قسم الفن المعاصر في دار "سوذبيز"، "لن يكون هناك توقيت أفضل من هذا لطرح هذه اللوحة في المزاد".

وأضاف "أصبح ما رأيناه في البرلمان خلال الأشهر والأسابيع القليلة الماضية بمثابة مسلسل تلفزيوني يومي ليس فقط في المملكة المتحدة.. لكن في جميع أنحاء أوروبا وفي العالم أيضا".

وتظهر هذه اللوحة، وهي أكبر عمل فني معروف لهذا الفنان المجهول الهوية، مجموعة من قردة الشمبانزي على المقاعد الخضراء في مجلس العموم من زاوية المدخل الرئيسي.

وتابع برانكسيك "ما يشار إليه هنا هو تراجع مستوى أقدم ديمقراطية برلمانية في العالم إلى سلوك حيواني قبلي، وهو النوع الذي رأيناه يبث على شاشات التلفزيون".

ولفت إلى أن "عبقرية بانكسي الحقيقية هي قدرته على اختزال هذا النقاش المعقد بشكل لا يصدق في صورة واحدة بسيطة، تستطيع الوصول بسهولة كبيرة إلى كل العالم في عصر وسائل التواصل الاجتماعي هذا".

وظهر هذا العمل مجددا في 29 مارس من هذا العام عندما كان من المقرر أن تغادر بريطانيا الاتحاد الأوروبي. وعلق بانكسي وقتها "اضحكوا الآن، لكن ذات يوم لن يكون أحد مضطلعا بالمسؤولية".